الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة أبي بكر بلقايد
*** تلمسان ***

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ وعلم الآثار

شعبة التاريخ

سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب و التداعيات

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

إعداد الطالب:

صديقي عبد الجبار

إشراف الدكتور:

مكيوي محمد

لجنة المناقشة

– أ.د عبدلي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
– د. مكوي محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مشرفا
– د.بوشقيف محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	مناقشا
– بلقاسم الطاهر	أستاذ محاضر (ب)	جامعة تلمسان	مناقشا

السنة الجامعية: 1434-1435هـ / 2013- 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

في هذه الفرصة الطيبة وفي فاتحة هذا العمل المبارك إن شاء الله تعالى أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، وأخص من بينهم الأستاذ المشرف الدكتور مكيوي محمد، ولا يسعني إلا أن أدعو له بظهر الغيب أن يجازيه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر للأستاذ خالد علال كبير الذي لم يبخل علي طيلة البحث بالنصح و التوجيه .

و لا يفوتني أن أشكر كل الأساتذة الذين كان لي شرف الدراسة عنهم أو لقائهم أو مجالستهم أو محادثتهم والاستفادة من خبرتهم.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين – حفظهما الله–

إلى العمين إبراهيم و سليمان

إلى الخال بن عامر

إلى رفيقة دربي زوجتي الوفية

إلى كل شهداء الجزائر و فلسطين

إلى كل الأهل و الأقارب و الأصدقاء و الزملاء

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع


مقدمة

شهد المغرب الإسلامي كغيره من الأمصار الإسلامية قيام عدة دول ،كانت الدولة الموحدية أعظمها بدون منازع ، لما كان لها من سعة الرقعة و انبساط النفوذ في المغرب الإسلامي و الأندلس ، و لما بلغته العلوم و الآداب و الحرف و العمران من شأن عظيم في التقدم و الازدهار على عهدها .

وكما هي السنن و النواميس الكونية و القوانين الحضارية ، دب الضعف إلى أركان هذه الدولة ، و نحن نتحدث عن الضعف و الاضمحلال الذي أصاب الدولة الموحدية ، تظهر ملامح طابع جديد للتأريخ يتناول الأزمة و تداعياتها ، فيخرج بنا من الطابع العام الذي ميز الدراسات التاريخية طيلة عقود من الزمن حيث أسهبت في مجملها في الحديث عن فترات القوة و ارتقاء الأفراد إلى مستوى الشعوب المتحضرة ، و في المقابل أهملت الحديث عن فترات الضعف و الانتكاسة لتظل مثل هذه المواضيع حلقة ضمن حلقات التاريخ المنسي – أو بالأحرى تاريخ للنسيان – فلم تنل الحظ الوافر من الدراسة رغم أهميتها البالغة ، عدا في ثنايا بعض الدراسات و البحوث اليسيرة ، في حين تستحق هذه المواضيع الوقوف عندها و دراستها بعمق و تمعن خاصة إذا أردنا بناء نسق تاريخي متكامل حول تاريخ المغرب الإسلامي ، و في جميع عناصر التكوين الحضاري و السياسي و الثقافي و الاقتصادي و الاجتماعي ، و خلال مختلف الفترات الزمنية سواء في مراحل القوة أو الضعف .

بناءا على ما ذكر أردنا من جهتنا التوصل إلى تشخيص عميق لعوامل و تداعيات سقوط أكبر صرح حضاري بالمغرب الإسلامي متمثلا في الدولة الموحدية ، و عليه وسمت هذه الدراسة بعنوان : "**سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب و التداعيات**" و عن أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع فهي تكمن في :

إن أهمية التاريخ تكمن أساسا في كونه عبرة و معلم طريق ، لذلك ارتأيت أن تكون دراستي حول ظاهرة تاريخية تحمل الكثير من العبر هي "اضمحلال الدولة " .

كما يستمد هذا الموضوع أهميته من كونه يلج بنا في شتى ميادين التكوين الحضاري للدولة الموحدية ، و يمكنه من تتبع تطورها منذ قيامها و حتى نهايتها ، كما أنه يسمح بمعرفة عوامل سقوطها و تبعات ذلك ، و من جهة أخرى يمكننا من معرفة الظروف التاريخية التي خلقها سقوطها و هو ما يسهل دراسة المرجعية السياسية و الثقافية للدويلات التي قامت على أنقاضها ، و للإلمام بجوانب هذه الإشكالية حاولنا الإجابة على التساؤلات التالية :

- ما هي الظروف التاريخية لقيام الدولة الموحدية ؟ و هل لهذه الظروف دور في سقوط الدولة الموحدية من بعيد أو قريب ؟
- ما هي الأوضاع العامة للدولة الموحدية في طور ازدهارها سياسيا و ثقافيا و اقتصاديا و اجتماعيا ؟ و هل كانت تحمل الدولة الموحدية بذور انهيارها منذ هذه المرحلة التاريخية ؟
- ما هي أبرز الأسباب التي حطمت أركان الدولة الموحدية ؟ ، وإلى أي مدى كانت درجة التفاعل بين هذه العوامل ؟
- ما هي انعكاسات سقوط الدولة الموحدية ؟ و إلى أي مدى أثرت على الجوانب الحضارية للمغرب الإسلامي ؟

للإجابة على هذه الإشكاليات رسمت خطة موسَّعة للمشهد التاريخي للمغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي ، استهليتها بمدخل خصصته لإعطاء صورة عامة لتاريخ المنطقة قبيل قيام الدولة الموحدية و ظروف قيامها . ثم الفصل الأول تطرقت فيه إلى الأوضاع العامة للدولة الموحدية في طور ازدهارها ، و ذلك في جميع الميادين المتعلقة بالتنظيمات و النظم و التركيبة الثقافية و الأوضاع الاقتصادية و الحياة الاجتماعية .

أما الفصل الثاني فتطرقت فيه إلى عوامل سقوط الدولة باختلاف أوجهها و أبعادها السياسية ، الثقافية ، الاقتصادية و حتى الاجتماعية .

أما الفصل الثالث فخصصته لتمحيص أهم التداعيات التي أفرزها سقوط الدولة الموحدية و الظروف التي نجمت عن ذلك في شتى مجالات الحياة .

جاءت خاتمة البحث لعرض أهم ما يمكن استخلاصه من هذا الدراسة كإجابة على ما ورد من تساؤلات ، فضلا عن تضمن البحث لمجموعة من الملاحق التي رأيتها وظيفية و هادفة و مثرية للدراسة .

في الأخير ثبت الموضوع بأهم المصادر و المراجع المعتمدة في البحث ثم اتبعتها بفهرس لمحتويات البحث مفصلا مع ذكر الصفحات .

و اعتمدنا في هذا البحث منهج تاريخي يقوم على التحليل و الوصف للوقوف على حيثيات المشهد العام للدولة الموحدية و استقراء و استنباط أهم أسباب سقوط الدولة و انعكاساتها و المقارنة بين المشاهد التاريخية و إتباعها بمجوعة الاستنتاجات و التحليلات لفهم و إدراك نصوص المؤرخين و أراء الدارسين للوقوف على أهم جزئيات الدراسة .

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على عدة مصادر و مراجع اهمها :

1. التراجم و الطبقات

- كتاب الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي و هذا الكتاب هو تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ، و كتاب الصلة لابن بشكوال و تتمة لما جاء من أئمة من بعد ابن بشكوال استدراكاً لما فاته ، و قد أفادنا هذا الكتاب في معرفة بعض جوانب الحياة الثقافية خلال العهد الموحدي و دور الفقهاء و العلماء خاصة في طور الانحلال .
- كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار محمد بن عبد الله (ت658- 1256) و هو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال و يحوي تراجم لأسماء علماء الأندلس و أئمته ، و قد استفدت من هذا الكتاب في تقصي علاقة الفقهاء بسقوط الدولة الموحدية .

- كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ - 1374م) و هو كتاب من أربع مجلدات تحوي تراجم لشخصيات لها صلة بتاريخ الأندلس ، و قد استندت إليه للوصول إلى عدة حقائق ذات صلة بسقوط دولة الموحدين و تبعات ذلك .

2. كتب التاريخ العام

- كتاب العبر لعبد الرحمان ابن خلدون (ت 800هـ – 1406 م) و هذا الكتاب عبارة عن موسوعة شاملة لعدة دول منها الدولة الموحدية ، و قد استفدت كثيرا من جزئه السادس و السابع خلال جميع مراحل بحثي .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت في النصف الثاني من القرن 07 هـ - 13 م) ، و يعد هذا المصدر من أهم مصادر الدولة الموحدية ، لأن صاحبه عاش في كنف الدولة الموحدية و عاصر كثيرا من أحداثها و هذا ما يزيد من مصداقية ما يرويه ، و قد أعاننا الكتاب في العديد من جوانب الدراسة .
- نظم الجمان في أخبار الزمان لأبي الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان (ت 628 هـ - 1230م) ، و على الرغم من انحيازه الواضح للخلفاء الموحدين و إقراره للعديد من مواقفهم إلا أنه احتوى على معلومات هامة أوردها في مصنفه ، كان قد عاصرها .
- كتاب أخبار المهدي ابن تومرت لأبي بكر علي الصنهاجي المعروف بالبيذق الذي كان من أتباع المهدي و مؤيديه و المتأثرين به ، و صاحب هذا الكتاب عمل على رصد كل ما قام به ابن تومرت و في ذلك إشارة هامة لظروف قيام الدولة الموحدية و الأسس الثقافية التي بنيت عليها .
- البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب لأبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي (كان حيا سنة (712 هـ - 1312) و يعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي و قد استفدت كثيرا من الجزء المخصص لتاريخ الدولة الموحدية و الذي يتحدث فيه بتفصيل وافي عن جوانب مختلفة لهذه الدولة و هو ما ساعدني في الحصول

أكبر قدر ممكن من المعلومات حول قيام الدولة الموحدية و عوامل سقوطها و حتى تبعات هذا السقوط .

- كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس لأبي عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبي زرع ، توفي في النصف الأول من القرن الثامن هجري و قد أفادنا الكتاب في دراسة جوانب من قيام الدولة الموحدية و الثورات التي قامت ضدها و أحوال خلفائها .

3- كتب الجغرافيا و الرحلات :

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من القرن السادس هجري و يفهم من خلال هذا المصدر أن صاحبه عاش في عهد أبو يوسف يعقوب المنصور ، ويحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة حول الحياة الاقتصادية و الاجتماعية الأقطار المغرب الإسلامي .
- كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن النعم (866 – 1461) ، ويعد هذا الكتاب معجما جغرافيا هاما لمدن الأندلس و المغرب ، كما يضم معلومات تاريخية لها صلة مباشرة بتلك المدن التي أوردها .

كتاب القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس للشريف الإدرسي (560-1164) : إسماعيل العربي وهو مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تكمن أهمية هذا الكتاب في المعلومات الجغرافية و حتى الاقتصادية التي يحتويها .

أما عن المراجع فاهمها :

- الحضارة الإسلامية بالمغرب و الأندلس لمؤلفه حسن علي حسن و الذي أفادني كثيرا في معرفة الأوضاع العامة للدولة الموحدية بمختلف جوانبها و تفاعلاتها الحضارية .
- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي لعز الدين عمر موسى و قد استندت إليه كثيرا خاصة في البحث عن العوامل السياسية لسقوط الدولة الموحدية .
- الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم لعز الدين عمر موسى و هو كتاب وافي حول تطور النظام السياسي و الإداري و الاقتصادي و القضائي و العسكري

للدولة الموحدية في طوري القوة و الضعف ، و قد أعانني هذا الكتاب في تلمس مختلف عوامل ضعف الدولة الموحدية و أسباب ذلك في مختلف الميادين .

- جوائح و أوبئة مغرب عهد الموحدين حسين بولقطيب ، و يحتوي الكتاب على تفاصيل هامة حول العوامل الاقتصادية و الاجتماعية لسقوط الدولة الموحدية .
- و في الأخير التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي و هي دراسة رائدة تفصيلية للحياة المذهبية و الثقافية للدولة الموحدية و قد استفدت منها كثيرا في استقصاء بعض جوانب الحياة المذهبية بالدولة الموحدية في طوري القوة و الضعف .
- كتاب دولة الإسلام بالأندلس لعبد الله عنان ، و كذلك كتاب تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين لأشباخ وكلا الكتابين يحتويان على معلومات وافية حول نظم الدولة الموحدية و الحياة الفكرية بها ، و العوامل السياسية و الأدبية لسقوطها بالإضافة إلى بعض انعكاسات سقوطها السياسية .

أما فيما يخص المراجع الأجنبية فأهمها :

- L’Espagne des goths et des arabes par Leon Geley
- L'Afrique septentrionale par Ernest Merciere
- Relation et commerce de L'Afrique septentrionale on Maghreb avec les nations chrétiennes au moyens âge par Le comte De Mas

أما فيما يخص الصعوبات فنخص بالذكر منها ، غياب المادة العلمية المصدرية التي تتناول عوامل سقوط الدولة الموحدية و تداعياتها ، خاصة في جوانبها الحضارية ، بالإضافة إلى ندرة في الدراسات المتخصصة الحديثة ، ناهيك عن الصعوبات المتعلقة بمنهجية معالجة الموضوع و إيجاد إطار زماني لبداية نشأة عوامل سقوط الدولة الموحدية وكذلك الشأن مع التداعيات ، بسبب اتساع الموضوع و تشعبه و تداخله في بعض الأحيان .

وفي الأخير يسَّر الله تعالى لنا إخراج هذا العمل بهذه الصورة مع الأمل في إخراج بحوث أخرى تكون أحسن تخريجا وضبطا بتوظيف ما اكتسبناه من قدرات وأفكار أثناء هذه

التجربة، باعتبار هذا البحث محطة من محطات التكوين وليس منتهى البحث ولا غاية التكوين .

مدخل

- **تمهيد**

أولا : أوضاع المغرب الإسلامي قبيل قيام الدولة الموحدية

ثانيا : تأسيس الدولة الموحدية

شهد المغرب الإسلامي منذ عصر الفتوحات قيام عدة دول في مختلف أقطاره ، تعددت عوامل قيامها و تنوعت مشاربها الثقافية مشكلة بنية حضارية متينة بقيت معالمها إلى يومنا هذا ، و نحن نتصفح هذا التاريخ بأمجاده و مآسيه ، تجلت لنا الدولة الموحدية التي شكلت حلقة متينة و لبنة أساسية كان لها دور جوهري في تغيير الوجه العام للمغرب بتمكنها من لم شمله و استعادة هيبته على الصعيد المحلي و الإقليمي ، و على المستويين السياسي و الحضاري ، غير أنه من الضروري الإشارة إلى أن قيام الدولة الموحدية لم يكن محض الصدفة و إنما هو نتاج ظروف ألمت بالمغرب الإسلامي تمخض عنها قيام هذه الدولة بكامل وزنها التاريخي.

1. أوضاع المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الموحدية

منذ أن اضمحلت دولة الأمويين في قرطبة[1] مطلع القرن(05هـ - 11م)شابهت أوضاع المغرب الأندلس تمزقاً و انقساما[2] ، فقد عصفت النزاعات القبلية و المذهبية و الخلافات الإقليمية و الشخصية بالعدوة المغربية و الأندلسية[3] ، وفي ظل هذا الوضع المتأزم تمكن المرابطون من تأسيس دولتهم التي كان لها الفضل الكبير في توحيد أجزاء واسعة من بلاد المغرب الإسلامي[4] ، واضعين بذلك حداً للخطر النصراني الذي كان يهدد بلاد الأندلس بعد أن تمكن النصارى من الاستيلاء على طليطلة [5] في(478هـ - 1085م) ، و

---

[1] - قاعدة الأندلس و أم مدائنها و مستقر خلافة الأمويين ، تقع على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة ، مساحتها 30 ألف ذراعا لها أربعة أبواب و حصن عظيم ، أنظر : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ط2 ، تح : لافي بروفنصال ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 ، ص153 .

[2] - لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج5 ، تح : أحمد مختار العبادي و آخرون ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ص139 .

[3] - أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص17 .

[4] - عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الإمارات العربية المتحدة ، ص200 .

[5] - هي مركز الأندلس وأهم مدائنه ، وهي مدينة عظيمة القطر كثيرة البشر شامخة البنيان بديعة البساتين و الحدائق منها يبدأ الأندلس الأقصى ، أنظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص130-135.

محاصرة سرقسطة [6] و بعد أمد غير يسير خسر المرابطون سرقسطة في (512هـ - 1118م) ومعها عدة مدن وحصون و توالت ضربات النصارى عليهم ، و تبع ذلك ظهور أمر الموحدين بالمغرب الأقصى (515هـ - 1121م) فواجه المرابطون وضعا متأزما داخليا و خطرا محدقا خارجيا ، ففي البداية أولوا الخطر الخارجي جل أمرهم فتفاقم الوضع الداخلي ، و لما توجهوا إليه بكل ثقلهم خرجت الأندلس عن سيطرتهم و دخلت عصر الطوائف ثانية ، وبعد فترة قصيرة فقدوا المغرب مقر حكمهم بعد أن قوض الموحدون دولتهم و استولوا على عاصمتهم مراكش[7] .

أما المغرب الأوسط و الأدنى فكان يعيش من جهته تحت وقع الزحف الهلالي و ما أعقبه من ضعف و انهيار للدويلات الصنهاجية ، و سقوط صقلية في يد النورماند ، وبروز خطرهم على السواحل المغربية[8] .

و عن الظروف الثقافية التي سادت هذه الفترة ، فقد ميزها عموم المنهج الذي رسمه المؤسس الروحي للدولة المرابطية عبد الله بن ياسين[9] ، و ازدادت تلك البنية الثقافية توطداً بفضل السند السياسي ، وعليه أصبح كافة الرعية تعتقد بالسلفية في العقيدة و المالكية في

---

[6]- مدينة تقع شرق الأندلس وتسمى أيضا بالمدينة البيضاء و هي من أكبر قواعد الأندلس و أحسن مدنه ، أنظر : الحميري ،المصدر السابق ، ص96 ؛ عبد الرحمان علي حجي ، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة (92هـ - 897هـ/ 711م 1492م) ط2 ، دار القلم ، دمشق ، 1981 ، ص421 .

[7] -Lieutenant – colonel Magin , La force noire , Libraire Hachette , Paris , 1910 , p121

[8]- عبد الرحمان ابن خلدون ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج6 ، تح: خليل شحاذة ، دار الفكر ، بيروت ، ص17 ؛ عبد المجيد النجار ، تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت ، ط2 ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، 1995 ، ص193 .

[9] - هو عبد الله بن ياسين بن مكوك الجزولي ، يعود نسبه إلى قبيلة جزولة في المغرب الأقصى ، ولد بقرية قرب أدغست في طرف صحراء غانة ، رحل إلى الأندلس طلبا للعلم ثم رجع إلى المغرب الأقصى ، اختاره شيخه وجاج بن زلو للقيام بمهمة الإصلاح في الصحراء موطن قبيلة لمتونة ، وقد اضطلع بمهمته على أحسن ما يرام وأصبح القائد الروحي لدولة المرابطين ، أنظر : ابن أبي زرع الفاسي ، روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1972 ، ص15 .

الفقه[10] ، و ذلك بتوجيه من الفقهاء الذين كانت لهم اليد العليا في تقرير النمط الثقافي السائد[11] .

إن هذا الانغلاق الثقافي على الفقه المالكي أدى إلى إيثار كتب الفروع و الاكتفاء بها عن الأصول ، فساد بذلك منهج فكري شرعي يقوم على التقليد باعتماد الأقوال و التفريعات التي أُثِرَت عن مالك[12] و أتباعه و أُهمل النظر في الأصول النصية لاستنباط الأحكام المناسبة للنوازل المستجدة[13]، و لم يكن الفكر العقدي في العهد المرابطي أكثر انفتاحا من الفقه ، بل كان متأثرا بالصورة التي أثرت على الصحابة من رفض للتأويل و الاستدلال العقلي[14] ، و لذلك كانت المقاومة شديدة لعلم الكلام و أهله بل اعتبروه كفرا و بدعة في الدين ، مع التشديد في نبذه و توعد من يخوض فيه[15] ، و هذا ما أدى إلى ظهور بعض الأفكار التي تميل إلى التجسيم و التشبيه خاصة لدى البدو و العوام الذين لم

---

[10] – إبراهيم التهامي ، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1426 – 2005 ، ص106 .

[11] – مغزاوي مصطفى ، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي و الأندلس خلال العصر الموحدي (6هـ- 8هـ) (11م– 13م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط،المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ،2011– 2012، ص28 .

[12] – هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غينان المدني إمام دار الهجرة و أحد أئمة الأعلام ، إليه ينسب المذهب المالكي أنظر : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608 –681) ، وفيات الأعيان و أنباء الأبناء الزمان ، ج4 ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ص135 .

[13] – عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص236 .

[14] – إبراهيم القادري بوتشيش ، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، ص135 .

[15] – عبد الحميد حاجيات ، ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين ، مجلة كلية الآداب ، المجلد 2 ، تلمسان 2000 ص104 .

يحظوا بثقافة دينية متينة كما نفهم من وصف ابن حوقل لأهل السوس في قوله :" و المالكيون من فظاظة الحشوية "[16]

و قد كان الفكر الفلسفي على عهد المرابطين يلاقي النكير و الرفض ، بل بلغ الرفض عداء أهل المغرب للفلسفة أن كانت العامة تطلق لقب "الزنديق" على كل من يخوض فيها[17] . كل هذا شكل مستندا و حجة لدى الموحدين لاتهام المرابطين بالانغلاق و التجسيم و التشبيه و تعطيل الاجتهاد و غيرها من الأوصاف التي استخدمت للدعاية ضدهم[18] .

و فيما يخص الواقع الاقتصادي فقد تميز بالتدهور نتيجة الغزو الهلالي و ما خلَّفه من دمار على المغرب الأدنى و الأوسط[19] ، فقد عاث هؤلاء الأعراب فساداً بكل المدن و المزارع التي حلوا بها ، و تسببوا في تشريد جموع كبيرة من الناس ، مما ترتب عليه اضطراب في البلاد و انعدام للأمن ، فتعطلت التجارة و انعدمت الزراعة بعد سيطرتهم على الأراضي ، كما فسدت الصناعة المحلية[20] .

ولم يختلف الوضع بالمغرب الأقصى ، فبالرغم من أنه كان بعيداً عن الغزو الهلالي و مخلفاته ، إلا أنه لم يكن أحسن حالا ، فالمرابطون وضعوا سياسة جباية مجحفة أحدثت

---

[16]- ابن القاسم ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، 1992 ، ص82 ؛ عبد الله كانون ، جولات في الفكر الإسلامي ، مطبعة الشيوخ ، تطون ، 1400 – 1980 ، ص88 .

[17]- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي ، الذخيرة، ط1، تح: محمد حجي و آخرون ، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1994م، ج13، ص213 .

[18]- محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب، تحقيق: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر ، المغرب ، ص232 ؛ صادق شكري محمود ، الفكر السياسي عند الموحدين على عصر عبد المؤمن ابن علي ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد 12 ، العدد : 03، ص16 .

[19]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب ، قسم الموحدين ، تح: محمد إبراهيم الكتاني و آخرون ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1985 ، ص 318 – 319 ؛ عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ط2 ، دار الصحوة ، القاهرة ، 2002 ، ص220 .

[20]- مراجع عقيلة غناي ، قيام الدولة الموحدية ، ط2 ، دار الكتاب ، ليبيا ، ص346 .

شرحا عميقا في الواقع الاقتصادي السائد[21] ، ناهيك عن الخطر النصراني في الأندلس و الثورات الموحدية في المغرب و ما أعقبها من تأثير سلبي على الحياة الاقتصادية[22] .

و ما زاد الأمر سوءاً أن بلاد المغرب و الأندلس مرت بسنوات جدب و قحط نتيجة قلة الأمطار، ليس هذا فقد عرفت البلاد هجمات هائلة للجراد أتت على البقية الباقية من المحاصيل الزراعية.

وترتب عن ذلك أحوال اقتصادية سيئة نتج عنها قلة في الطعام أودت بحياة أعداد هائلة من الناس جوعا، و لذلك أصبح الناس يترقبون الساعة التي يرتفع ذلك الشر عنهم و أصبحوا ينتظرون بعيون آملة إلى المخلص من تلك الفوضى التي عمت البلاد[23].

أما عن الظروف الاجتماعية ، فإن الدولة المرابطية رغم صلابتها و قوتها على هذا الصعيد في عصر ازدهارها، ورغم ما حققته من توحيد اجتماعي على منهج فكري يرتكز على فهم مذهب المالك ، فإنه لم يستجب للغاية الدينية المتمثلة في العدل و مكارم الأخلاق[24] ، فالنفوذ المطلق الذي كان للفقهاء أنشأ منهم طبقة محظوظة ، استأثرت إلى جانب الوجاهة بواسع النفوذ و الأموال و المكاسب و المناصب[25]، و ربما بلغ بعضهم من الترف مبلغاً كبيراً .

ويبدو أن مظاهر الخلاعة و المجون التي كانت متفشية بمدن الأندلس سرت عدواها إلى مدن المغرب ، فكثرت في هذه المدن مظاهر الفساد و مجالس الخمر و كان للعنصر النسائي

---

[21] -Telb Abdesselem , l'organisation financière de l'empire Marocain , Emile Larose Libraire , Editeur , Paris , 1911 , p 70

[22]- أمين توفيق الطيبي ، دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس ، ج2 ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1997 ، ص200 .

[23]- مراجع عقيلة ، قيام الدولة الموحدية ، ص347 .

[24]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص235 .

[25]- أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، ج2 ، تح : جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ص55 .

دور مهم في تدهور أوضاع الدولة عامة ، فقد استولين على الأحوال و أسندت إليهن الأمور[26] .

2. تأسيس الدولة الموحدية

تجمع المصادر التاريخية على أن مؤسس الدولة الموحدية وواضع قواعدها الأولى هو محمد بن عبد الله ابن تومرت[27] ، المنحدر عن قبيلة هرغة[28]إحدى بطون مصمودة[29]، القاطنة بالسوس الأقصى بجبال الأطلس في المغرب الأقصى و المرجح أن ابن تومرت ولد في (475هـ - 1082م) بقرية ايجلي[30] حيث تلقى دراساته الأولية بكتاتيبها[31] ، قبل أن يشد الرحال طلبا للعلم نهاية القرن الخامس هجري و مطلع القرن الثاني عشر ميلادي ، حيث حل بقرطبة و درس على القاضي أبي جعفر حمدين[32] ، و منها شد الرحال إلى المهدية أين

---

[26] – عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص241

[27] – عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص255 ؛ ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم و تحقيق : محمد الشادلي النيفر ، عبد المجيد الترآي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968، ص 99 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص305.

[28] – قبيلة مصمودية اسمها "أرغن" ، مسكنها جنوبي وادي السوس إلى الشرق من مدينة زودانة ، انظر: أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق ، المهدي بن تومرت و بداية الدولة الموحدية ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1971 ، ص33.

[29] – قبيلة بربرية من البرانس تسكن جبال الأطلس جنوبي مدينة مراكش بجبل درن ، انظر: البيذق ، المصدر السابق ، ص92 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص275 ويضاف إلى نسب ابن تومرت نسب عربي علوي ينتمي إلى النبي صلى الله عليه و = سلم ، انظر : مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ط1 ، تح: السيد البشير الفوري ، مطبعة التقدم الإسلامية ، بيروت ، 1991 ، ص35

[30] – أبي محمد حسن بن علي بن محمد عبد الله الكتامي المعروف بابن القطان ، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، ط1 ، تح : محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص61 ؛ مراجع عقيلة ، قيام الدولة الموحدية ، ص162 ؛ Magin , op , cit ,p130

[31] – ابن خلدون ، العبر، ج6 ،ص305 .

[32] – أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي ولي القضاء على قرطبة في 529 هـ ، في سنة 539 هـ قام ضد الموحدين ، توفي سنة 546 هـ بملقة ، ينظر لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج2 ، ط2 ، تح : لافي بروفينصال ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 ، ص254 ، ابن القطان ، المصدر السابق ، ص65 .

درس على أبي عبد الله المازني[33] ،ثم ارتحل إلى مصر حيث حل بالإسكندرية و أخذ عن عالمها أبي بكر الطرطوشي[34] ، ومنها قَصَدَ مكة لأداء فريضة الحج و طلب العلم و بعدها توجه إلى العراق و هناك لقي جمعا غفيرا من العلماء الذين كانت تعج بهم بغداد و حواضر العراق[35] ، أبرزهم أبو حامد الغزالي[36] ، و يبدو مما تقدم أن ابن تومرت تلقى بالمشرق علوما متنوعة جمعت بين العلوم العقلية و النقلية ، بفضل من لقيهم و تلقى عنهم من العلماء و الفقهاء الذين كانوا على درجة عالية من الحفظ و التحرير و التمكن[37] .

بعد هذا المشوار الطويل في طلب العلم شرع المهدي في طريق العودة إلى مسقط رأسه في رحلة دامت أربع سنوات ، كان خلالها يتوقف بالمدن و القرى التي يمر بها فيأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر متشددا في إنكار الحال الذي كان عليه أمراؤهم ، لذلك يمكن اعتبار هذه الرحلة من حياته البداية الحقيقية لثورته و البذرة الأولى لقيام الدولة الموحدية[38] .

---

[33]- أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تح : محمد ماضود ، ط2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1960 ، ص4 .

[34] - هو أبو بكر بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الطرطوشي ولد سنة 450هـ بطرطوشة ، كان من كبار علماء زمانه نبغ في علوم الرياضيات و الفلك و الفقه و القراءات و هو أول من أدخل علم القراءات إلى مصر ، أنظر : إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري المعروف (بابن فرحون) (ت799هـ / 1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ط1، ، تح : مأمون بن محي الدين جنان ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417 – 1996، ص371 .

[35]- علي محمد الصلابي ، دولة الموحدين ، دار البيارق، عمان ، 1998 ، ص11 .

[36]- هو الإمام محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الإمام الجليل أبو حامد الغزالي ، العالم المبرز في الأصول و الفقه و علم الكلام ، أنظر: أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ط1 ، علق عليه : أحمد علي سليمان ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، 2005 ، ص3 .

[37] - أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ط4 ،ج9 ، راجعه و صححه: محمد يوسف دقاف، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 – 1423 ، ص 195 .

[38]- البيذق ، المصدر السابق ، ص13 ؛ عبد المجيد النجار – المهدي بن تومرت – أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي ، المتوفى سنة 524 هـ - 1129م ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1403 هـ - 1983 م ، ص84 .

انطلق ابن تومرت من مكة ثم دخل الإسكندرية ثم توجه إلى طرابلس ثم إلى المهدية [39] و من بعدها قسنطينة[40] ليحل ببجاية[41]، و الملاحظ أنه كان يدخل في صراعات مع الأمراء و العوام أدت إلى إخراجه من عديد المدن التي نزل بها مرغما[42] .

و بعد صراع مرير في بجاية مع أمراء بني حماد خرج ابن تومرت و استقر في قرية ملالة[43] أين لقي خليفته و المؤسس الفعلي لدولته عبد المؤمن بن علي[44] متجها إلى المشرق طلبا للعلم ، غير أن ابن تومرت استطاع أن يصرفه عن ذلك و يقنعه بأن ما هو ذاهب من أجله يمكن أن يتحصل عليه بملازمته بعدما لمح فيه من علامات النبوغ و الذكاء[45] .

خرج ابن تومرت من ملالة متجها إلى مراكش[46] التي وصلها في (514هـ – 1120م[47]) و هناك واصل دعوته متخذا من فساد الطبقة العليا مادة لوعظه ، فكثر أتباعه و التف حوله جمع غفير من الناس ، الأمر الذي أثار مخاوف المرابطين الذين أخرجوه من

---

[39] – مدينة بناها عبد الله الشيعي في 300 هـ يحيط بها البحر من ثلاث جهات و هي بعيدة عن مدينة القيروان ب 60 ميلا ، أنظر : ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 73 .

[40] – مدينة بالمغرب الأوسط أهلها مياسير وهي من أحسن المدن ، يحيط بها الواد من جميع جهاتها ، تبعد عن بجاية بمسيرة ستة أيام ، أنظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص265 ؛ ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص91.

[41] – مدينة بالمغرب الأوسط عامرة بالتجار و الصناع و هي عامرة بسكان الأندلس وهي قطب لكثير من البلدان ، تبعد عن سطيف بمسيرة ثمانية أيام : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 265-267.

[42]– البيذق ، المصدر السابق ، ص 11-13.

[43] – هي مدينة من أعمال المغرب الأدنى ، تقع بالقرب من بجاية ، عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب جزء من كتاب المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص 85 .

[44] – هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلي الكومي من مواليد ضواحي تلمسان بمنطقة تسمى تاجرا سنة 487هـ – 1095م و هو خليفة بن تومرت و المؤسس الفعلي للدولة الموحدية ، أنظر: عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص197 ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص237 .

[45] -Kaddach Mahfoud , l'Algérie Médiéval , Société National , d'Edition et de diffusion , Alger, 1982 , p114

[46]– مدينة عظيمة أسسها يوسف بن تشفين سنة (459هـ -1067م) ، تقع على بعد ثلاثة أميال من وادي تانسيفت وهي مدينة طيبة التربة كثيرة المزارع ن أنظر: مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق: سعد زغلول ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص208 .

[47]– مؤلف مجهول ، الحلل الموشية، ص82 .

المدينة[48]، فسار إلى أغمات [49]و هناك حدث تحول في أسلوبه الدعوي عندما خلع ببيعة علي بن يوسف[50] ، و في هذه المرحلة يبدو أن دعوته بدأت تستهدف إلى جانب الفساد الأخلاقي و الاجتماعي الفساد السياسي متمثلا في سيرة الأمير و حاشيته[51] .

بعدها سار إلى موطن قبيلته هرغة ، ونزل برباط ايجليز[52] سنة (514هـ – 1120م) مستغلا عامل العصبية بنزوله بين قبائل مصمودة ، الذين كانوا في صراع مع المرابطين[53] وهناك بدأ في تنظيم أتباعه و أعوانه و ظل عاما يعظ و يدرس على هدي المذهب الأشعري[54] ، و يحرض الناس للخروج على الحكام ووجوب قتالهم ، فذاع صيته بين أهل السوس[55]و اجتمعوا عليه[56] ، ولما استوثق من قبيلته و أقنعهم بأفكاره أعلن مهديته[57] ، فبايعه أصحابه و دخلت

---

[48]– البيذق ، المصدر السابق ، ص27 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية، ص107 ؛ يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، ج1 ، ط2 ، تر : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1996 ، ص 199 .

[49] – ناحية في بلاد المغرب قرب مراكش ، وهي مدينتان متقابلتان البحر المحيط بالسوس الأقصى بأربع مراحل ، و سجلماسة بأربع مراحل ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، 1398 ، 1977 ص125.

[50] – ابن القطان ، المصدر السابق ، ص83.

[51]– عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت ، ص111 .

[52] – ضيعة تقع بالسوس و هي تعرف " بإيجلي أن و الرغن "، أنظر : عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص178 .

[53]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص275 ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1411هـ - 1991م، ص39 .

[54]– هم أصحاب أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري لهم أقوالهم الخاصة في إثبات وجود الله و الصفات و الأيمان و الإرادة و غيرها من المسائل العقدية ، أنظر: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الهر الثاني ، الملل و النحل ، ج1 ، ط3 ، تح: أمير علي منه و آخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، 1993م ، 1414هـ ، ص106 ؛ عبد المنعم الحقي ، موسوعة الفرق و الجماعات و المذاهب الإسلامية ، ط1 ، دار الرشاد ، القاهرة ، 1413 – 1993، ص52 .

[55] – إقليم واسع يقع بالمغرب الأقصى ، تحديدا جنوب مدينة مراكش وراء جبال الأطلس ، أنظر : مِؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص211-213

[56]– مؤلف مجهول ، الحلل الموشية، ص107 ؛ عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت ، ص113 .

[57]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص78 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص108.

دعوته طورا جديدا بإعلان الحرب على المرابطين لاجتثاث حكمهم الباطل حسب رأيه ، و إقامة الدولة الراشدة على هدى التعاليم التي بشر بها أتباعه[58].

و قبائل أهل تنملل[59] ، و عندما وجه المرابطون جيوشهم إليه استطاع أن يهزمهم في السوس في(517هـ - 1122م) ، فغنم منهم أموالا و أسلحة و زادته هذه الانتصارات هيبة و دعاية بين قبائل البربر فأطاعته و زادت حوله التفافا[60] .

لم يهمل المرابطون حرب الدعاية على المهدي فنعتوه "بالخارجي المرتد" وكان رده بأن وصفهم "بالحشم و الزراجمة و المجسمة" [61]، و لما اشتدت عليه هجماتهم هاجر إلى تنملل[62].

و في هذه المرحلة طهر صفوفه من العناصر المشاغبة و ركز على تربية أتباعه تربية وثيقة على مبادئ دعوته[63] ، و في سنة (519هـ - 1125م) تحولت خطته من الدفاع إلى الهجوم فأغار على أحواز مراكش ، ووصل إلى أغمات ، وفي عام (524هـ - 1130م) ركز هجومه على مراكش نفسها لكنه مني بهزيمة كبيرة من طرف المرابطين في واقعة البحيرة التي فقد فيها جندا كثيرا ، وقادة عظماء هم نصف مستشاريه العشرة ، و لم يلبث المهدي بعدها إلا قليلا حتى توفي[64] بعد أن أسند خلافته لعبد المؤمن ابن علي الذي ورث تركة

---

[58]– عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص40 .

[59]– قبائل شتى يجمعها اسم هذا الموضع ، أنظر : عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص423 ؛ ابن القطان ، المصدر السابق ، ص129 ، ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص360

[60]– مؤلف مجهول، الحلل الموشية ، ص129 .

[61] – ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 94 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية، ص110

[62]– جبل عالي شديد البرودة ، يزدحم بالسكان وعلى قمته مدينة تحمل اسمه ، وهي عامرة و مزدحمة و يخترقها نهر جار ، أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ، ج1 ، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، الرباط ، 1982 ، ص141 .

[63]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص148 ؛ البيذق ، المصدر السابق ، ص39 ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ج1 ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1990 ، ص141 .

[64]– البيذق ، المصدر السابق ، ص40 ؛ ابن القطان ، المصدر السابق ، ص160 ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية ، ص114.

Erest Mercier , l'Afrique Septentrionale , T1 , Ernest Leroux , Editeur , Paris , 1888 , P72 .

مثقلة بعد هزيمته في هذه المعركة ، فوفاة المهدي و ارتداد بعض القبائل عليهم كان لها أثرها المعنوي العميق في نفوس الموحدين و لذلك مكث عبد المؤمن في تنملل يتألف القلوب و يحسن إلى الناس[65] حتى تمكن من إعادة الثقة لإتباعه ، حينها باشر الموحدون حروبهم على المرابطين و القبائل المرتدة ، و مع أول انتصار أخذ الناس يَفِدُون إليهم ويلتفون حولهم و سيطروا على حصون أغمات و بسطوا نفوذهم على منطقة السوس و في نفس الوقت كان عبد المؤمن يرسل الدعاة لمختلف القبائل لإخضاعها سلميا[66] ، ومنذ سنة (530هـ - 1130م) بدأ الموحدون في شن حملاتهم خارج منطقة السوس[67] فأغاروا على درعة [68]و زناتة[69] و تادلا[70] واشتبكوا مع المرابطين في معارك ضارية[71] ، و قد اتبع الموحدون إستراتيجية تقوم على الهجوم مع التحصن في الجبال دون النزول إلى السهول و الأوطية إلا للغارات السريعة[72].

أما من جهة المرابطين فقد تولى تاشفين بن علي أمر المواجهة كقائد أعلى ثم كأمير بعد وفاة أبيه في سنة (537هـ - 1143م)[73]، غير أنه فشل في مقاومته رغم حشده لعساكر

---

[65]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص201.

La comtesse Drohojowski , l'histoire de l'Algérie , A-Allwrd , Libraire , Editeur commissionnaire , Paris , 1848 , p114 .

[66]- ابن القطان ، المصدر السابق ، ص162 ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص41 .

[67] - إقليم بأقصى المغرب يشتمل على مدن و قرى كثيرة ، يقع أكثرها على نهر درعة و ماسة ، و أهلها أخلاط من البربر المصامدة ، أنظر : مجهول ، الاستبصار ، ص211-213.

[68] - تقع بالمغرب الأقصى ، تبعد عن سجلماسة بثلاث مراحل ، أنظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص226

[69] - هي قبيلة مغربية بربرية ، تتكون من بطون عديدة متشعبة وتتواجد أكثر بطونها بالمغرب الأوسط، حتى تسمى باسمهم "وطن الزناتة" من سهل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا، أنظر: ابن خلدون ، العبر، ج7، ص 43 .

[70] - مدينة بالمغرب الأقصى تبعد عن أغمات بأربعة أيام ، أنظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص241.

[71]- ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 224 ؛ مراجع عقيلة ، قيام الدولة الموحدية ، ص288-300 ؛ صادق شاكر محمود ، المرجع السابق ، ص19 .

[72]- عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج2 ، ص184 .

[73]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص25 .

من سجلماسة[74] و بجاية و الأندلس ، بل و قتل في خضم الصراع في (539هـ - 1145م)[75] ، و بالرغم من المقاومة الشرسة التي أبداها المرابطون ، إلا أنهم لم يثنوا الموحدين عن التوسع حيث دخلوا مدينة وهران، ثم تتابع سقوط المدن المرابطية فسقطت تلمسان[76] في 539هـ و سجلماسة و فاس[77]
في (540هـ - 1145م) و سلا[78] و سبتة[79] و أغمات و طنجة في (541هـ - 1146م) ، و مراكش عاصمة المرابطين في (541هـ - 1147م[80]).

لكن الحكم الجديد لم يستقر من فوره ، فالروح القبلية الكامنة في نفوس المغاربة حفزها نصر المصامدة ، فقام محمد بن عبد الله بن هود الماسي بالسوس و تلقب بالهادي و سيطر على البلاد
ماعدا فاس و مراكش غير أن عبد المؤمن تمكن من القضاء على هذه الثورة في (541هـ - 1147م)[81] ، و أرادت الجيوب المرابطية استغلال الأمر لاستعادة سلطتها فبايعوا القاضي

---

74 – مدينة في جنوب المغرب الأقصى ، تقع على طرف بلاد السودان ، تبعد عن فاس بعشرة أيام نحو الجنوب ، أنظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص192 ؛ شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، ص231.

75– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص182 .

76 – مدينة شهيرة بالمغرب الأوسط ، مسورة على سفح جبل الجوز ، ولها خمسة أبواب ثلاث منها إلى القبلة ، وكانت تلمسان دارا لمملكة بني عبد الواد ،أنظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص250.

77 – مدينة شهيرة بالمغرب الأوسط ، مسورة على سفح جبل شجرة الجوز ، و لها خمسة أبواب ثلاثة منها إلى القبلة ، أنظر : البكري ، المصدر السابق ، ص 79.

78 – مدينة على ساحل المحيط الأطلسي بينها وبين مراكش تسع مراحل على ساحل البحر ،أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص319 ؛ عبد المنعم محمد حسين ، مدينة سلا في العصر الإسلامي ــ دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري ــ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993 ، ص17 .

79 – مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر ، مقابلة للجزيرة الخضراء ، أنظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص249.

80– مراجع عقيلة ، قيام الدولة الموحدية ، ص300 – 311 ؛ عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3، ص269 -280 .

81– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص30 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص190 .

عياض[82] بسبتة ، و قام بنو غانية في ميورقة و تحالفوا مع دكالة[83] و برغواطة[84] و لكن ثوراتهم أخمدت[85] ، لتتوجه بعدها أنظار الموحدين إلى الأندلس و افريقية[86] ، فعبد المؤمن كان يطمع في التوسع على حساب الأندلس و المغرب الذي لم يخضع له بعد ففي أول الأمر بايعه ابن قسي[87] ثم نكث ، وفي أواخر عام (541هـ - 1146م) دانت له شريس[88] و طريف و الجزيرة الخضراء[89] ، و كانت هذه الانتصارات سببا في بيعة أعيان غرب الأندلس للموحدين بدءا بإشبيلية [90]في نفس السنة[91]، غير أن الجيوب المرابطية ظلت

[82] – هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى من مواليد سبة عام 476هـ ،كان من أئمة زمانه في الحديث و فقهه و أصوليا متكلما و فقيها حافظا و أديبا عارفا ، ولي القضاء بسبتة و غرناطة ، و اشتغل إلى جانب ذلك بالتدريس و الإقراء ، و في سنة 543 هـ قام ضد الموحدين ، أنظر : أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال ، الصلة ، ج2 ، ط1 ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1410-1989 ، ص572 ؛ شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ج3 ، تح : مصطفى السقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1361 – 1942 ، ص157 _ 158 ؛ أبي عبد الله محمد بن القاضي عياض ، التعريف بالقاضي عياض ، ط2 ، تح : محمد بن شريف ، مطبعة فضالة ، المغرب ، 1982 ، ص4-5 .

[83] – – قبيلة مصمودية من قبائل الموحدين سكنت مراكش و أحوزها ، أنظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص425 ؛ الإدريسي ، المصدر السابق ، ص236.

[84] – مجموعة من القبائل المغربية اتبعت طريف أبو صبيح الذي ادعى النبوة وسن لهم شرائع غريبة ، أنظر: ابن خلدون ،ج6 ، ص207

[85]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص30 .

[86]– نفسه ، ص46 .

[87]– أبي القاسم أحمد ابن الحسين ابن قسي رجل صوفي من أصل رومي تلقب بنورة المردين و ثار على الموحدين ، انظر: ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص248 ؛ عبد الواحد المراكشي المصدر السابق ، ص208 .

[88] – رباط على شاطئ البحر تقع على جبل وتبعد على بطليموس بحوالي أربع مراحل , أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص102.

[89]– و تدعى جزيرة أم حكيم نسبة إلى جارية طارق ابن زياد ، بينها و بين مدينة قلشانة أربعة وستون ميلا ، أنظر : الحميري المصدر السابق ، ص73 ؛ أحمد مختار العبادي ، صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، 2000 ، ص146 .

[90] – مدينة جليلة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام و من الأميال ثمانون ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص18.

[91]– ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج9 ، ص343 ؛ عصمت عبد اللطيف ، نشأ الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510هـ - 546هـ/1116م – 1151م)، ط1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1408 ، 1988 ، ص106

تواصل مقاومتها في غرناطة و قرطبة ، و في القسم الشرقي ظل الأمراء يحاربون الوجود الموحدي ، وتحالفوا أمثال ابن مردنيش[92] و ابن همشك[93] و ابن غانية الوجود الموحدي و تحالفوا صراحة مع ملوك النصارى الأسبان ضدهم[94].

لم يتفرغ عبد المؤمن لأمر الأندلس إلا بعد أن خلص له أمر المغرب في (543 هـ- 1148م)[95] ، عندها تمكنت جيوشه من دخول قرطبة و جيان[96] و قرمونة[97] و غرناطة[98] وانتهى بذلك الوجود المرابطي في الأندلس بعد أن تمكن من إخضاع المرية[99] ، و بياسة[100] ، و أبذة[101] .

وأمر ببناء مدينة الجبل الأخضر لتكون مركزا لأعمال الموحدين[102] ،لكن الخطر النصراني ظل محدقا بالوجود الموحدي في الأندلس فقد دخل ابن همشك غرناطة سنة (557هـ –

---

[92] – محمد بن سعيد بن مردانيش ، أحد الثائرين على الدولة الموحدية في أعقاب سقوط دولة المرابطين ، و قد أنكر بعض الباحثين نسبه العربي و أرجعوه لأصل إسباني ، ذلك أن جده الأعلى (مردانيش) محرف عن : Martinnez ، و تسميه المراجع النصرانية بالملك لوبو ، و قد منحه البابا " صاحب الذكر الحميد " توفي سنة 567هـ ، أنظر : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ط2 ، تح : حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، ص220 .

[93] – إبراهيم ابن هامشيك صهر ابن مردنيش و ساعده الأيمن في ثورته على الموحدين و هو نصراني الأصل سمي بهمشيك لان أذنه كانت مقطوعة ، و همشك عند النصارى تعني صاحب الأذن المقطوعة ، أنظر : لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ،ص 159 ، نفس المؤلف ، أعمال الإعلام ، ص 263.

[94] – MDE Marles , Histoire de conquête de l’Espagne par les arabes , Ad Mame et Ce, Libraire , 1847,p267-269

[95]– أحمد عزاوي ، الرسائل الموحدية ، ج1 ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 1995 ، ص 72 ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص46 .

[96] – مدينة تقع على سفح جبل ، تبعد عن بياسة بمسافة عشرون ميلا ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص70.

[97] – مدينة بالأندلس تقع شرق اشبيلية ، تبعد عن إستجة خمس و أربعون ميلا ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص158.

[98] – من قواعد الأندلس ، تبعد عن واد آش بأربعين ميلا ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص192.

[99] – عبارة عن جبلين يفصل بينهما خندق معمور ، أنظر : الإدريسي ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق ، تح : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص164

[100] – مدينة على كدية تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ،بينها وبين جيان عشرون ميلا ، أنظر :الحميري ، المصدر السابق ، ص57.

[101] – دندش ، المرجع السابق ، ص105 – 120 ؛ هشام أبو رميلة ، علاقات الموحدون بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس ، ط1 ، ، دار الفرقان ، عمان ، 1404هـ - 1984م ، ص100 – 102 .

[102]– ابن عذاري ، المصدر السابق، قسم الموحدين ، ص79 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص306 .

1162م)[103]، ومن جهة أخرى استطاع ابن مردنيش الاستيلاء على بسطة[104] و وادي آش[105] ما دفع عبد المؤمن للشروع في التحضير لغزوهم و إنهاء وجودهم غير أنه توفي قبل ذلك في(558هـ - 1163م)[106].

بعدها بويع أبو يعقوب يوسف[107] بخلافة أبيه وواصل جهود أبيه التوسعية في الأندلس فأخضع بلنسية[108] ، ميورقة[109] و يابسة ، هكذا تمكن الموحدون من الاستيلاء على جل أراضي الأندلس[110] .

أما فيما يخص توسعات الموحدين في المغرب الأوسط و إفريقية فنشير إلى أنها كانت تسير في خط زمني واحد مع توسعاتهم في الأندلس ، فقد تمكن الموحدون من إسقاط مملكة بني حماد و ضمها إلى أراضيهم في(547هـ - 1152م)[111] رغم استعانتهم بالعرب من بني هلال و سليم[112] . سسسسوفي (554هـ - 1159م) ضم عبد المؤمن تونس و المهدية و

---

[103]- عبد المالك ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ط3 ، تح : عهد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1987 ، ص123 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص74 ؛ أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص118 – 119 .

[104] – مدينة بالأندلس بالقرب من واي آش ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 44 .

[105] – مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص192 .

[106]- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص147 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص306 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص75 ؛ دنش ، المرجع السابق ، ص118 -119 .

[107] – هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي تولي أمر الموحدين بعد وفاة أبيه له مشاركة في الأدب و العلم و اتساع في اللغة : عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 174 .

[108] – قاعدة من قواعد الأندلس ، بينها وبين قرطبة ستة عشر يوما ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 47.

[109] – جزيرة في بحر الزقاقي تسامتها من القبلة بجاية من بر العدوة ، بينهما ثلاثة مجار، غربيها جزيرة يابسة وتبعد عنها بسبعون ميلا ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 188.

[110] -MDE Marlé , op ,cit , p 67

[111]- أحمد العزاوي، الرسائل الموحدية ، ج1 ، ص79 .

[112]- بطن من بطون "مضر" و هم أكثرهم جموعا ،كانت منازلهم بنجد و ينتسبون إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان بن مضر ، أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص141-142 .

بلاد الجريد[113] و طرابلس[114] فوضع بذلك حدا للأطماع النورمندية و تمكن من إخضاع قبائل بني هلال[115] .

هكذا تمكن الموحدون من بسط نفوذهم على أقطار واسعة من بلاد المغرب و الأندلس فقد بلغت دولتهم أوج اتساعها في عهد الخلفاء الأربعة الأوائل ، حيث امتدت شرقا إلى طرابلس و غربا حتى المحيط و جنوبا إلى الصحراء الإفريقية أما شمالا فبلغت الشارات بالأندلس[116] .

[113] – هي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء ، وسميت ببلاد الجريد لكثرة النخيل بها ، وهي مدائن كثيرة ، و أقطار واسعة ، وعمائر متصلة ، أنظر : مجهول ، الاستبصار ، ص150- 160.

[114]– مدينة حصينة ، منها إلى جهة الشرق مدينة سرت وتبعد عنها بمائتي ميل ،أوإحدى عشر مرحلة ، أنظر : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص298 ؛ أحمد العزاوي ، الرسائل الموحدية ، ج1 ، ص19 ؛ مختار العبادي ، صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، ص145 .

[115]– أحمد العزاوي،الرسائل الموحدية ، ج1 ، ص29-32؛ مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في الحديث و القديم ، ج2 ، تقديم و تصحيح : محمد الميلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص303 ؛ عويس؛ الدولة الحمادية ص197.

[116]– عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص54 ؛ مختار العبادي ، صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، ص146 .

الفصل الأول

الأوضاع العامة للدولة الموحدية في طور الازدهار

- **تمهيد**

أولا: التنظيمات و النظم

ثانيا: الحياة الثقافية

ثالثا : الأوضاع الاقتصادية للدولة الموحدية

رابعا : الحياة الاجتماعية

تمهيد

من المفيد جدا الإلمام بالأحوال العامة لدولة الموحدين في شتى مجالات تكوينها الحضاري فذلك يعين على تتبع مواطن الضعف التي صاحبت الدولة منذ نشأتها و يسمح باكتشاف مواطن الخلل التي أدت بصورة تدريجية إلى إضعافها ومن ثمَّ إسقاطها ، فالحضارة لا تنبني على أساس واحد و إنما هي نتاج تفاعل عدة مكونات ، كما أن انهيارها هو انعكاس لتفاعل عوامل مختلفة ، و عليه يصبح من الضروري في الدراسة التحليلية البحث المتمعن و القراءة العميقة لكل جوانب الحياة للوصول إلى قاعدة بيانية حول الأسباب الحقيقية لاضمحلال الدولة و انهيارها وما يتمخض عن ذلك من تداعيات و إفرازات .

أولا : النظم والتنظيمات الموحدية

1. النظام السياسي

– الخلافة

الخلافة كما ورد عن الماوردي هي : "خلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا"[117]، أما فيما يخص الموحدين فقد اختلفوا في موقفهم من الخلافة عن المرابطين ففي الوقت الذي اعترف فيه المرابطون بالخلافة العباسية و أعلنوا الولاء لها[118] ، كان الموحدون على العكس من ذلك غير معترفين بخلافة العباسين بل اعتبروا أنفسهم خلفاء و عاصمتهم مراكش و ليس بغداد[119] .

و قد مرت الخلافة عند الموحدين بثلاثة أطوار ، طور المهدوية و هي الفترة التي تولى فيها محمد بن تومرت حكم الدولة ، ثم الطور الشوري بإجماع أعيان الدولة على تولية عبد المؤمن بن علي الخلافة ، ثم الطور الوراثي[120] بعد أن جعل عبد المؤمن الخلافة وراثية في بنيه[121] ، و عن ألقاب خلفاء الموحدين فنجد أنهم قد اتخذوا ألقابا عديدة منها " أمير المؤمنين"[122] و "الخليفة" و"الإمام "[123] ، إلى جانبها ألقاب أخرى تدل على التجلة و الأبهة مثل " مولانا " و" الحضرة الشريفة"[124] .

---

[117]– أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، ط1 ، تح : أحمد مبارك البغدادي ، مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت ، 1409هـ – 1989م ، ص03 .

[118]– السلاوي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص53 .

[119]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص77 ؛ حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، ط2 ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1980 ، ص55 .

[120] – أنظر : الملحق ، ص155 .

[121]– البيذق ، المصدر السابق ، ص76 .

[122]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص344 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، جزء الموحدين ، ص151 .

[123]– البيذق ، المصدر السابق ، ص47 ، ص79 ؛ ابن القطان ، المصدر السابق ، ص135 .

[124]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص242 – 646 .

و اتخذت الدولة الموحدية مجموعة من الشارات فكان اللواء الأبيض يتقدم جيوشهم[125] ، كما جعلوا الاعتراف بالمهدوية و ذكر اسمه في الخطب و نقشه في السكة من رموز دولتهم[126] ، واتخذ الخلفاء لباسا خاصا من الضفائر الزبيبية و البرانس المسكية[127] ، و كانوا في أسفارهم يقيمون قبابا حمراء لا يشاركهم فيها أحد[128].

أما عن عملية تنصيب الخليفة فنشير إلى أن الموحدين اتبعوا تقليدا خاصا في بيعة خلفائهم ، حيث كانت تتم على مرحلتين : بيعة خاصة من صلاحيات كبار سادة و أشياخ الموحدين و بيعة عامة تُأخذ من بقية طبقات المجتمع الموحدي[129] .

- **ولاية العهد**

ارتبط نظام ولاية العهد بنظام الرئاسة الموحدي خلال فترة حكم عبد المؤمن بن علي نتيجة رغبته في الاحتفاظ بالملك بين بنيه فما إن مكَّن لنفسه في مقعد الحكم حتى عهد لابنه محمد بالولاية[130] ، و هو النهج نفسه الذي سار عليه خلفه و قد حرص الخلفاء على إعداد ولي العهد قبل تسلمه مقاليد الحكم أثناء حياتهم ، فكانوا يُكَوَنُونَ في مدرسة الحفاظ ثم يعينون كولاة على الأقاليم لاكتساب الخبرة في شؤون الحكم و الإدارة [131].

- **الهيئات الاستشارية**

اتبع خلفاء الدولة الموحدية تقليدا خاصا فيما يتعلق بالشورى ، ففي عهد المهدي انحصرت

---

[125]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص168 .

[126]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص185 .

[127]– عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص148

[128]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص143 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم بالموحدين ، ص469.

[129]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص336 – 340 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص461 .

[130]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 306 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص408-407 .

[131]– ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص408 .

الشورى في جماعة العشرة و الخمسين ثم السبعين [132] ، أما في عهد عبد المؤمن فالملاحظ أنه أسس جهازاً استشارياً جديداً مكوناً من الرعيل الأول للموحدين ، ويسمى هيئة أشياخ الموحدين ، و بعد توسع الدولة و تعدد ضرورياتها و تنوع أطيافها الاجتماعية بانضمام عناصر جديدة أسس الموحدون هيئتين استشاريتين هما : هيئة أشياخ العرب و هيئة أشياخ الأندلس ، و في خلافة يوسف بن عبد المؤمن أسست هيئة رابعة هي : هيئة السادة و التي تضم رجال العائلة المالكة[133].

كانت مشورة هذه الهيئات تنحصر في المسائل العسكرية[134] و غالبا ما ينفذ الخليفة ما يشيرون به و فيما بعد تجاوز اختصاص هيئة أشياخ الموحدين و هيئة السادة المسائل العسكرية إلى شؤون الأمن[135] و الإدارة[136] و الأموال العامة[137] .

2. النظام الإداري

– الوزارة

استعان حكام الدولة الموحدية بالوزراء في القيام بأعباء الحكم و الإدارة[138] ، و يبدو أن هذه المؤسسة بدأت تأخذ مكانتها بين نظم الدولة في خلافة عبد المؤمن[139] ، وقد انحصر دورهم في الدولة على الجانب التنفيذي ، أي أنهم كانوا ملزمين بتنفيذ أوامر الخليفة و تعاليمه[140] .

---

[132]– البيذق ، المصدر السابق ، ص34 – 35 ؛ ابن القطان ، المصدر السابق ، ص124 ، الصلابي ، المرجع السابق ، ص77

[133]– عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص171 .

[134]– البيذق ، المصدر السابق ، ص62 .

[135]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص409 – 410 .

[136]– المصدر نفسه ، ص393 .

[137]– أبو محمد عبد الله بن أحمد التيجاني ، رحلة التيجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981، ص346 ، عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج2 ، ص261 .

أما عن مجالات عملهم فنجد أنها تنوعت بحسب الظروف و الأحوال التي مرت بها البلاد فتولى بعضهم القيام على شؤون الحرب و بعضهم الأخر تولى منصب الحاجب و أحيانا أخرى كان الوزير يمارس أعمال الكتابة و يشرف على الشؤون المالية كما أشرف وزراء آخرون على نواحي البناء و التعمير ، و أسندت لبعضهم مهام النظر في المظالم[141] .

– الكتابة

اتخذ الموحدون كذلك منصب الكاتب لمعاونتهم في إدارة شؤون البلاد و حفل عهدهم بعدد كبير من الكتاب البارزين[142] من أمثال أبي القاسم عبد الرحمان القالمي و أبي محمد عبد الله بن جبل[143] ذوي الخبرة و الدراية بالأعمال الإدارية[144] و الذين أسندت لهم مهام متنوعة ككتابة المراسيم السلطانية و الرسائل الموحدية إلى الولاة و القضاة[145] ، و هناك من اختص منهم بالشؤون العسكرية[146] ، كما تولى بعض الكتاب مهمة المحقق مع العمال الذين يبلغ الخليفة عن سوء تصرفاتهم و استبدادهم[147] .

– الحجابة

[138]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 170 ؛ ليلى أحمد نجار ، المغرب و الأندلس في عهد المنصور الموحدي ، دراسة تاريخية و حضارية (580هـ – 595هـ) – (1184م – 1198م) ، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، إشراف : أحمد السيد الدراج ، جامعة أم القرى ، مكة ، 1409– 1989 ، ص351 .

[139]– البيذق ، المصدر السابق ، ص59 .

[140]– السلاوي ، المصدر السابق ، ص177 ؛ ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص353 .

[141]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص101 ، ص105 .

[142]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص267 .

[143] – حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص116 .

[144]– عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص189 .

[145]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص119–120 .

[146]– ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص354 .

[147]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص224 – 225 .

إلى جانب الوزير و الكاتب عاون الحاجب الدولة الموحدية في تصريف شؤون الدولة و تسيير الأمور، فقد أسندت لهم مهمة تنظيم الصلة بين الخلفاء و الرعية و ذلك حفاظا على هيبة الخلفاء كما ساهموا في تنظيم مسائل الرعية المعروضة عليهم بحسب أهميتها[148] ، و تشير بعض المصادر إلى أن هذه الوظيفة ظهرت في عهد عبد المؤمن و أن من تولاها هم الوزراء في غالب الأحيان[149] .

- البريد

اهتم خلفاء الدولة الموحدية بالبريد كوسيلة سريعة لتوصيل الأوامر و الأخبار لولاتهم و موظفيهم في مختلف الأقاليم فنظموه بشكل متقن و سريع ليلا و نهارا ، برا و بحرا[150] ، و تكلف بمهمة حمل البريد الرقاص[151] الذي كان يتميز بالقوة و التحمل و القدرة على الركض[152] ، و كان الرقاص يكلف بحمل جميع أنواع الرسائل مدنية كانت أم عسكرية ، و يمكن أن نميز صنفين من الرقاص ، الرقاص العادي و الرقاص الشوط و هو ساعي البريد المستعجل[153] .

- الشرطة

أولى الموحدون وظيفة الشرطة اهتماما كبيرا و أسندوا قيادتها إلى كبار رجال الموحدين[154] ، و كان صاحب الشرطة يدعى " العريف"، و قد لعب نظام الشرطة دورا هاما في حماية الأرواح و السهر على صيانة الأمن و الحقوق و معاونة الحاكم في إقامة الحدود و مراقبة الأبواب و السواق[155] .

---

[148]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص122 .

[149]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص192 .

[150]- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص53 .

[151]- ابن القطان ، المصدر السابق ، ص164.

[152]- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص129 .

[153]- نفسه ، ص53 .

[154]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص311 .

[155]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص153 – 154 .

– الدواوين

الديوان كما يعرفه الماوردي هو : " موضع لحفظ ما يتعلق بالسلطنة من الأعمال و الأموال و من يقوم بها من الجيش و العمال "[156] ، و قد اعتمد خلفاء الدولة الموحدية على الدواوين في تصريف شؤون الدولة ، فأنشأ الموحدون ديوان الإنشاء الذي يختص بالمراسيم السلطانية و الرسائل الموحدية الموجهة للولاة و القضاة[157] ، و بجانب ديوان الإنشاء أنشأوا ديوان الجيش الذي يتفرع بدوره إلى فرعين :

ديوان العسكر وهو الذي يختص بالجند النظامي و الحرب و إحصاء الجند و معرفة حاجياتهم، أما الديوان الثاني فهو: ديوان التميز الذي اختص في تنظيم وتمييز المشاركين في المعارك المقبلة و كان يعمل على إيجاد التوافق بين الكتائب و تنسيقها [158].

– إدارة الولايات

حافظ الموحدون على التقسيم الإداري نفسه الذي ورثوه عن المرابطين إضافة إلى الولايات التي ضموها فيما بعد ، وضمت الولايات الموحدية : السوس و مراكش و فاس و سلا و سبتة و تلمسان و افريقية[159] و مالقة و شلب و اشبيلية و قرطبة و جيان و غرناطة و مرسية و بلنسية[160].

و قد عيَّن الموحدون على رأس هذه الولايات ولاة لإدارتها غالبا ما يكونون من طبقة السادة أو أشياخ الموحدين ، وكان تعيينهم من صلاحيات الخليفة و حده[161]،كما قسمت الولايات بدورها إلى أقسام إدارية صغرى يحكمها أحد الحفاظ[162] .

[156]– الماوردي ، المصدر السابق ، ص259 .

[157] – محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في عصر المريني ، ط2 ، دار القلم ، الكويت ، 1408 – 1987 ، ص269 .

[158] – – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص43

[159]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص300 .

[160] -MDe Morles , op , cit , p 265 -270

و عن المهام التي أوكلت إلى الولي فنجد أن مهمته كانت عسكرية بالدرجة الأولى[163] ، فهو يعمل على القضاء على الفتن و الثورات[164] و يحفظ الأمن و يدفع الخطر الخارجي و يساهم في مساعدة الولايات المجاورة عسكريا و يشارك في غزوات الخليفة ، كما أوكلت له مهام إدارية مدنية أخرى كالإشراف على البناء و العمران و الزراعة و غيرها من الشؤون الخاصة بولايته[165] .

3- النظام القضائي

- القضاء

لعب القضاء دورا هاما بين أجهزة الدولة الموحدية ، حيث أسندت لهذا الجهاز مهمة الفصل بين الناس فيما يقع بينهم من خصومات بغية إقرار الحق و صيانة الأمن و الهدوء بين الرعية[166] .

و قد عرفت دولة الموحدين صنفين من القضاة : قاضي الجماعة و يوازي قاضي القضاة في المشرق و هو أعلى رتبة من بقية القضاة ، فهو إلى جانب مهامه القضائية كان مستشارا للخليفة بل كان يحل محله في الفصل في بعض القضايا الكبيرة[167] ، أما الصنف الثاني فهم قضاة المدن الذين كلفوا بالقيام على المسائل القضائية داخلها[168] ، و فيما يخص تعيين القضاة فنجد أنه كان من صلاحيات الخليفة ، إذا ما توفرت فيه شروط تولي هذا المنصب من الصحة و العقل و الإسلام و العدالة و العلم بالأحكام الشرعية [169].

---

[161]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص408 .

[162]- التيجاني ، المصدر السابق ، ص105 .

[163]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص219 .

[164]- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص114 .

[165]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص520 .

[166]- ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص362 .

[167]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص246 ؛ عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص230.

[168]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 170.

[169] - الماوردي ، المصدر السابق ، ص271.

وإلى جانب المهمة الأساسية للقاضي القائمة على إقرار العدل أضيف لبعضهم مهام أخرى متعلقة بشؤون الدولة كالحق في مراقبة العمال و الولاة ، و في بعض الأحيان كان قاضي الجماعة يتولى تعيين غيره من القضاة ، كما تولى بعضهم الإشراف على بيت المال و على بعض أعمال العمارة[170] .

– المظالم

هو نوع من القضاء الذي ابتكره الإسلام ، تكون فيه السلطة أوسع إذ يتولاه الخليفة أو من ينوب عنه من كبار القضاة[171] ، و الهدف من هذا التنظيم هو الفصل في القضايا التي عجز القضاة عن البث فيها[172] ، و اهتم خلفاء الدولة الموحدية بولاية المظالم اهتماما خاصا فكانوا يخصصون لها أياما معلومة من الأسبوع[173] و غالبا ما كان يتم النظر في الشكاوي بالمسجد الجامع[174] أو قصر الحجر مقر الخلافة[175] .

أما عن كيفية توصيل المظلمة للخليفة فكانت عن طريق عرض الشكوى و التظلم أمامه وربما لا يتيسر ذلك فيكتفي المتظلم بإلقاء مظلمته على مصلى الخليفة[176].

– الحسبة

---

[170]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص176 .

[171]– الحريري ، المرجع السابق ، ص273 .

[172]– الماوردي ، المصدر السابق ، ص103 – 104 .

[173]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص285 .

[174]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص255 – 256 .

[175]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص285 .

[176]– أحمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج2 ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1408 – 1988 ، ص292 .

الحسبة وظيفة دينية اختصت في باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و قد لعبت دورا كبيرا في إقرار الحق و العدل بين الناس[177] ، ونظرا لحساسية هذا المنصب كان لزاما على المحتسب أن يتوفر على شروط عدة منها التفقه و العلم بالأحكام الشرعية ، كما يجب أن يكون حرا عادلا صارما في الدين غنيا فطنا[178].

و كانت وظيفة المحتسب من بين أولى الخطط التي عرفتها الدولة الموحدية فابن تومرت لما دخل ملالة أهرق الخمر و هاجم حوانيت اللهو و قام بتكسير آلات الطرب عندما حل بفاس[179] و عندما قامت الدولة برزت هذه الوظيفة بقوة و مارست العديد من المهام نذكر منها الأمر بالصلاة و حفظ الآداب العامة ، كما أوكلت لها مهمة مراقبة الموازين و المكاييل في الأسواق[180] .

4- النظام العسكري

لعب الجيش الموحدي دورا كبيرا في الحفاظ على استقرار الدولة و سيادتها سواء في المغرب أو الأندلس[181] ، و من ثم حظي باهتمام خاص من طرف الخلفاء الذين لم يتوانوا عن تزويده بالعدة و العتاد و تدريبه في أحسن الشروط ، واستلزم ذلك الكثير من المال و الجهد حتى يتناسب مع النشاط العسكري الكبير للدولة في مختلف الجبهات [182] .

تكون الجيش الموحدي من عناصر مختلفة ضمت الحشود القبلية البربرية خاصة من المصامدة ، و ضمت إضافة إلى ذلك القبائل العربية من بني هلال و سليم و القوات الأندلسية و المتطوعة من أبناء

177- الماوردي ، المصدر السابق ، ص273 .

178- عبد الله محمد عبد الله ، ولاية الحسبة في الإسلام ، ط1 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1998 ، ص57 .

179- البيذق ، المصدر السابق ، ص21 – 24 .

180- ابن خلدون ، المقدمة ، ص280 .

181- أحمد مختار العبادي ، صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، ص 110 – 148 ؛
Ernest Mercier , OP , cit . p107

182- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص124 ؛ دندش ، المرجع السابق ، ص146 .

القبائل الأخرى خاصة زناتة[183] ، و بقايا المرابطين من صنهاجة ، ناهيك على العناصر الأجنبية من الغلمان و السودان و الروم[184] .

أما قيادة الجيش فكانت غالبا تعقد لأبناء الخليفة من السادة أو الشيوخ الموحدين أو أبنائهم و كان لكل قبيلة قائدها و لكل حامية قائد ، أما المعارك الهامة فكان يتولى قيادتها الخليفة نفسه[185] ، وقبل كل معركة كان يعقد مجلس حربي يضم كبار القادة لوضع الخطة المناسبة على ضوء ما لديهم من معلومات استخبارية قصد إيجاد التعاون و التنسيق بين كافة أفراد الجيش أثناء المعركة[186].

و عن السلاح الذي استخدمه الجيش فنجد أن الموحدين استخدموا مختلف أنواع الأسلحة سواء كانت خفيفة كالسيوف و الحراب و السهام و الرماح و الدروع و البياضات

و التروس و القسي أو ثقيلة كالمانجنيقات و الدبابات[187] .

كما اهتم الموحدون بتقوية أسطولهم لحماية سواحلهم الطويلة و الحفاظ على سيادة دولتهم و ساعدهم على ذلك وفرة الموارد الخشبية وكثرة الموانئ فأنشاوا دوراً عديدة لبناء السفن في مختلف المدن الموحدية الساحلية[188] ، كذلك شيَّدوا القلاع و الأربطة و المنارات لوسائل دفاعية حربية[189] و قد

---

[183]– البيذق ، المصدر السابق ، ص 39–40 ؛ ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص368 .

[184]– أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص162 – 174 .

[185]– دندش ، المرجع السابق ، ص147 .

[186]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص44 .

[187]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص205 .

[188]– الحسن السائح ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، ط2 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1406 ، 1986 ، ص294 .

[189]– أحمد مختار العبادي ، صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، ص210 .

ضم أسطولهم قطعا عديدة من السفن منها المراكب ، الشواني ، الطردات و الشلنديات و اهتموا إلى جانب ذلك بتكوين رجال البحرية تكوينا خاصا حتى يستطيعوا أداء مهامهم على أتم وجه[190] .

و كغيره من الجيوش اعتمد الجيش الموحدي على خطط حربية ساعدته في تحقيق العديد من الانتصارات ، إذ ارتكزت هذه الخطط على أساس فكرة عبد المؤمن بن علي في القتال و التي تقوم على قاعدة التربيع ، حيث يختارون مكانا يجعلون فيه الجيش على شكل مربع يحمل الصف الأمامي منه القنا الطوال و الطوارق المانعة و من خلفهم أصحاب المخالي فيها حجارة و وراءهم الرماة بقوس الرحل و في وسط المربع الخيل[191] .

ثانيا : الحياة الثقافية

1- العقيدة التومرتية

أ- النزعة الأشعرية

إن الحديث عن تمكن العقيدة الأشعرية[192] في المغرب الإسلامي مرتبط بنجاح شخصية سياسية و دينية مغربية هي محمد بن تومرت الذي تبنى هذا المذهب العقدي وساهم بدور كبير في نشره[193] ، و لعل أهم ما طبع عقيدة هذه الشخصية من مبادئ الأشعرية قوله في التأويل المتشابه في الآي و الأحاديث[194] ، فهو بذلك أول من فتح الباب على التأويل في بلاد المغرب فعليا[195] ، وقد نسب

---

[190]- ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص389 .

[191]- دندش ، المرجع السابق ، ص149 .

[192] - هم أصحاب أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري لهم أقوالهم الخاصة في إثبات وجود الله و الصفات و الأيمان و الإرادة و غيرها من المسائل العقدية ، أنظر: عبد المنعم الحقي ، المرجع السابق ، ص52 .

[193]- إبراهيم التميمي ، الأشعرية في المغرب ، ط1 ، دار قرطبة ، الجزائر ، 1427- 2006 ، ص05 - 06 ؛ إبراهيم التهامي ، المرجع السابق ، ص250 .

[194]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص302 ؛ عبد الله كنون ، جولات في الفكر الإسلامي ، مطبعة الشويخ ، تطوان ، 1400- 1980 ، ص87 .

ابن خلدون و مؤرخون آخرون ابن تومرت إلى الأشعرية[196] ، و نستدل في هذا الباب بقول عبد الواحد المراكشي : " كان ابن تومرت على مذهب أبي الحسن الأشعري في كثير من المسائل إلا ما قل منها "[197] و يؤيد هذا القول أن ابن تومرت صنف في العقيدة و الفقه و المواعظ و حظي الجانب العقائدي منها بمصنفين هما كتاب التوحيد باللسان البربري[198] ، و العقيدة المرشدة ضمن كتابة أعز ما يطلب[199] ، و كان ابن تومرت يولي اهتماما كبيرا بالتبليغ و التدريس على مذهب الأشاعرة ، و هو ما يفيد به كلام ابن خلدون في قوله " و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذهب الأشاعرة في كافة العقائد و أقر بإمامتهم و وجوب تقليدهم و ألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد "[200].

ب – النزعة الشيعية و الباطنية

تناقلت العديد من المصادر الكثير من العلوم الباطنية[201] التي نسبت إلى المهدي ، و مما تذكره هذه المصادر أن ابن تومرت اطلع على كتاب يسمى " الجفر "[202] ، و أنه لما أيقن بدنو أجله استدعى عبد المؤمن و أوصاه بما أحب و أعطاه كتاب " الجفر ".[203]

195- مغزاوي مصطفى ، العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه ، 5هـ- 11 م / 8هـ – 14م ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف: خالد كبير ، جامعة الجزائر ، 1429 – 2008 ، ص25

196– ابن خلدون ، العبر ، ج9 ، ص302 ؛ عبد المجيد النجار ، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، ص34 .

197– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص251 .

198– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص123.

199–ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص241 .

200– ابن خلدون ، العبر ، ج9 ، ص300 .

201– هم عدة فرق ، سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القران و الأحاديث بواطن تجري مجرى اللب من القشور و أن الباطن يحمل الرموز و الإشارات إلى الحقائق الخفية ، أنظر : عبد الرحمان بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، دار العلم ، بيروت ، 1997 ، ص751 ، عبد المنعم الحقي ، المرجع السابق ، ص96 .

ومن العلوم الباطنية التي نسبت إليه أيضا "خط الرمل"[204] الذي برع فيه حتى و صف بأنه أوحد زمانه في خط الرمل ، كما عرف عنه تمرسه في علم باطني آخر يدعى "علم الحدثان"[205] ، و من أسس العقيدة الباطنية التي عرفت عن بن تومرت إتباعه لنهج التأويل للنصوص الشرعية ، و مما يعزز هذا الرأي أنه وصف المرابطين بأنهم المقصودين في حديث "صنفان من أهل النار لم أراهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس"[206]

و غير بعيد عن النزعة الباطنية ، نلتمس نزعة شيعية[207] تبدو جلية من خلال الثالوث الموحدي المتمثل في المهدوية و الإمامة و العصمة .

فبإتباع سيرة ابن تومرت يتبين للباحث أن فكرة المهدوية راودته منذ بواكير دعوته و كان يلوح بها لأصحابه و يقول : " إنما الله واحد و الرسول حق و المهدي حق و الخليفة حق" و استمر يشوق أتباعه إليه و يجمع الأحاديث عنه فلما أقرت نفوسهم ذلك ادعى أنه المهدي"[208] ، و لقد ساهمت

---

[202]– علم من علوم أهل الباطن يبحث في الحروف من حيث دلالتها على الأحداث : أنظر : إبراهيم مصطفى ، و آخرون ، المعجم الوسيط ، ج1 ، دار الدعوة ، القاهرة ، ص 126.

[203] – ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 180 .

[204]– من العلوم الباطنية يزعم أصحابها أنهم يستنبطون فيها أخبار الغيب و مستقبل الأحداث ، أنظر: ابن خلدون ، المقدمة ، ص411 .

[205]– هو علم يجمع بين الأعداد و الأرقام و يختصر الأرقام و يختتصر الأرقام بالحروف وفق قواعد يدركها أهل الكهانة و التنجيم ، أنظر: مصطفى مغزاوي ، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي ، ص144 .

[206]– ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص260 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص80 ؛ الحديث رواه مسلم ، أنظر :أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج3 ، تح : أحمد زهور و أحمد عناية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص1171 .

[207]– هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بإمامته نصا و وصية ، إما جليا وإما خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من ولده و إن خرجت فبظلم من غيره ، وقالوا بان الإمامة أصل أصيل و ركن من أركان الدين ، وهم فرق عديدة أهمها : الزيدية و الإمامية و الإسماعيلية ، أنظر : الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص169 –170 .

[208]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص254 .

ذهنية سكان المغرب الإسلامي المتعلقة بالخوارق و الغيبيات على نجاح فكرة المهدوية و العصمة التي أشاعها ابن تومرت[209] .

أما الإمامة فيعتبرها ابن تومرت ركنا من أركان الدين التي لا يصح قيام الحق إلا بوجوب الاعتقاد بها ، و تقتضي الإمامة السمع و الطاعة و التسليم و الامتثال لأوامر الإمام ، و الأخذ بسنته في القليل و الكثير و كل من لا يؤمن بها يعتبر كافرا جاحدا أو منافقا أو زائغ أو مبتدع[210] ، و فيما يخص العصمة فهي تعني العصمة من الضلالة و الفساد و البدع و الكذب و العمل بالجهل و الباطل ، و عليه يمكن الحكم بتطابق مفهوم العصمة عند ابن تومرت و الشيعة[211].

ج – تبني العقيدة التومرتية للأفكار الخارجية

لم تغب النزعة الخارجية[212] عن حركة ابن تومرت فالمتتبع لها يجد أنه قد أَوَغَلَ في استخدام السيف و القوة في التغيير[213] ، كما خلت عقيدته من أي مجال للعمل الدعوي على النهج النبوي ، فأغلب رسائله طَبَعَهَا التهديد أكثر من النصح[214] ، فهو لم يدخر جهدا في المجاهرة و المشاهرة في تفسيق و

---

[209]– ابن خلدون ، العبر، ج6 ، ص138 .

[210]– ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص245 .

[211]– عبد المجيد النجار ، تجربة الإصلاح ، ص128 .

[212]– الخوارج هم من خلع طاعة الإمام و خرج عليه ، و كان أول خروجهم على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ، انظر : محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل و النحل ، ط2 ، تح : محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1416- 1996 ، ص51 ؛ عز الدين ماضي أبو العزائم ، إسلام الصوفية هو الحل لإسلام الخوارج ، ط1 ، دار الكتاب الصوفي ، 1414- 1993 ، ص27 .

[213]– عبد الحليم عويس ، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية ، ط3 ، دار الوفاء ، 1410 – 1989، ص81 .

[214]– عمر راكة ، علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية و الممالك المسيحية ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : بودواية مبخوت، جامعة تلمسان ، 2011 ، ص13.

تكفير أمراء زمانه[215] ، بل و كفر في كتبة و رسائله كل من لا يؤمن و لا يعتقد دعوته و قال بكفر المرابطين ووجوب جهادهم[216] .

و مما عرف عن الموحدين كذلك أنهم استقلوا تماما عن الخلافة الإسلامية الشرعية في بغداد ، و قطعوا الدعاء و كل أشكال الولاء لها[217] ، بل أكثر من ذلك ذهب ابن تومرت إلى الادعاء بأنه معصوم و تلقب خلفاؤه من بعده " بأمير المؤمنين "[218] ، أما في الأوساط المرابطية لم تكن حينها توجد تسمية للموحدين إلا " الخوارج "[219] ، و يعتبر الفقهاء المرابطين أول من وسمهم بالخوارج لخروجهم عن طاعة الحاكم الحق[220] ، كما كفر الموحدون الناس و منعوا الصلاة على أهل القبلة[221].

2- الحياة العلمية

لقد شهد المغرب والأندلس أزهى عصوره الحضارية مع دولة الموحدين حيث نشطت فيها الحياة الفكرية بصفة عامة، وتهيأت ظروف لازدهار التعليم و التأليف في العدوتين ، نظرا إلى الجهود الجبارة التي قام بها الموحدون من أجل ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها ، ويتجلى ذلك في الزخم الهائل من العلماء الذين تذكرهم كتب التراجم ، والذين حفل بهم هذا العصر الذهبي ، وغزارة الإنتاج العلمي الذي تجلى في كثرة المصنفات في جميع فروع المعرفة، مما سيسهم في إثراء الحياة العلمية بالغرب الإسلامي بل بالعالم الإسلامي كله ، و مما ساعد على تنشيط الحركة العلمية خلال هذه الحقبة

[215]- البيذق ، المصدر السابق ، ص36 .

[216]- مغزاوي مصطفى ، التحولات المذهبية ، في المغرب الإسلامي ، ص132 .

[217]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص271 .

[218]- البيذق ، المصدر السابق ، ص44 – 45 .

[219]- ابن غازي المكناسي ، الروض الهتون في أخبار مكناس و الزيتون ، الرباط ، 1371 – 1952 ، ص08 .

[220]- البيذق ، المصدر السابق ، ص44 – 45 .

[221]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص175 .

التاريخية الزاهرة، تقاطر ووفود العلماء على اختلاف مداركهم ومشاربهم ومسالكهم من الأندلس إلى المغرب، واستقرار الكثير منهم بمراكش عاصمة الدولة الموحدية أو بغيرها من المدن المغربية[222]، وعبور العلماء والطلبة المغاربة إلى الأندلس الرطيب لطلب العلم ، والنهل من منابعه الأصلية ، بالإضافة إلى ما كان يجلبه الخلفاء الموحدون من علماء على اختلاف طوائفهم ومعارفهم [223]، كما كان التبادل ثقافي بين المغرب والمشرق في العصر الموحدي أكثر مما كان عليه في العصر المرابطي، حيث كان العلماء يأتون من الشرق إلى المغرب من أجل التدريس ، أو الأخذ عن علمائه ولتضلع في ثقافتهم، و كان هناك من العلماء المغاربة من شَدُّوا الرحال إلى المشرق للاستزادة من العلم أو للتدريس في معاهده[224] وحلقاته المتنوعة كما لا يمكن إغفال الدور الكبير الذي لعبه الخلفاء في تشجيع العلم و تعميمه عبر إنشاء المدارس و الجوامع و المكتبات و تكريم العلماء[225] ، مما ساهم في ازدهار الحياة العلمية في هذا العصر.

والملاحظ أن العصر الموحدي امتاز بوفرة في دراسة علوم الدين والفقه والأدب والعلوم العقلية، ومن ثم زخر بجمهرة كبيرة من العلماء ، وأنتج علماء وفقهاء امتازوا بالجمع بين العلوم الشرعية كالفقه والأصول والحديث والتفسير، والعلوم الأدبية وعلوم اللغة، والعلوم العقلية[226].

ومن مظاهر اهتمام الناس بمختلف العلوم ، إنكبابهم على العلوم الدينية كالقرآن و علومه و الحديث و روايته ، فظهر نتيجة لذلك مفسرون عظماء كأحمد بن مسعود القرطبي (601 –

---

[222] – جمال أحمد طه ، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين(488-668/1056- 1269) ، دراسة سياسية و حضارية ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2001 ، ص270.

[223] – خليل إبراهيم السامرائي و آخرون ، تاريخ العرب و حضارتهم بالأندلس ، ط1، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2000 ، ص347-348 ، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ، ج2 ، ص647.

[224] – إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج1 ، ص300.

[225] –محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، ص16-20 ؛ ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص470 .

[226]– عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص307.

1204م) ، و أبي الحجاج يوسف بن عمران المزدغي (655 – 1236م) ، و أبي الربيع الكلاعي (633 – 1236)[227] ، و محدثون كبار كابن دحيه أبي الخطاب (633 – 1236) ، و أبي عمر (634 – 1237) ، و ابتن القطان الفاسي (628 – 1231م)[228] ، وكثرت العناية بأصول الفقه و برز فيه مشايخ أهمهم أبو عمر عثمان بن عبد الله بن عيسى السلالجي (574 – 1178) ، و أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم القندلاوي (596 – 1200م)[229] .

كما نالت اللغة العربية و آدابها حظا عظيما من الاهتمام و للدلالة على ذلك يكفي أن نذكر علماء من قبيل ابن مضاد القرطبي (592 – 1192) ، و ابن هاشم اللخمي الاشبيلي (570 – 1175) و ابن خروف (602 – 1212) ، و أبا موسى الجزولي (607 – 1210) ، و نشطت سوق الأدب من شعر و نثر لحاجة الدولة إلى الناطقين باسمها و الكتاب في دواوينها ، و الرفاه الاجتماعي الذي كان له أثر في ازدهار الأدب و تنوع أغراضه ، و إذا أخذنا الشعر مصداقا لقولنا و جدنا أن ضروبه قد تنوعت ، و أن أغراضه قد تعددت و برز أعلام في فن من فنونه كابن خرمون في الهجاء و ابن سهل (649 – 1251م) في الغزل ، و ابن قسوم الاشبيلي (639 – 1242م) ، و أبي زيد الغزازي (627 – 1212م) و ابن مدحل (560 – 1160م) في المدح[230] .

و شهدت الفلسفة نهضة كبيرة بدورها ، و فقد الخليفة الموحدي يوسف على رأس المشتغلين بها و المحبين لها ، تعلم الفلسفة فجمع كثيرا من أجزائها[231]، وجمع إليه علماءها وفي مقدمتهم ابن طفيل

---

[227]– إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج1 ، ص354 .

[228]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص485 .

[229]– عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ص163 – 171 .

[230]– عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص62 .

[231] – عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ص134.

الذي أحبه ، وهو الذي نبهه إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (520- 595هـ/1126-1198م).. وبفضل هذا الاهتمام من يوسف ترجم ابن رشد ما ترجم من كتب أرسطو [232] .

واهتم الموحدون بالرياضيات لتيسير طرق التفاهم والتعامل والتواصل مع الآخر ، و شجع الخلفاء الموحدون من جهتهم العلوم الحسابية والعددية، وممن اشتغل بتدريسها على سبيل المثال لا الحصر الإمام أبو العباس السبتي[233] ، وأبو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي المتوفى في (601هـ) الذي استقر بفاس ودرس بها الحساب وله تأليف في ذلك سماه " اللباب في مسائل الحساب "[234]، و ازدهر "علم الحساب" خلال هذه الحقبة ازدهارا بينا ، وفي هذا الصدد يقول محمد بن عبد الهادي المنوني: " كان فن الجَبر والمقابلة رائجا في هذا العهد ومن رجاله أبو عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين القاسي المتوفى (601هـ) إمام في هذا الفن، ألف فيه منظومته في الجبر والمقابلة ، وهي مخطوطة في غير مكتبة، كما ألف أرجوزته الأخرى في أعمال الجُذور ، وممن ألف فيه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي المعروف بابن القطان المتوفى سنة (628هـ) ، و له مقالة في الأوزَان ، وأبو العباس أحمد بن محمد اللخمي العزفي السبتي (557-633هـ)، له كتاب "إثبات لابد منه لمريد الوقوف على حقيقة الدينار "[235] .

وتذكر المصادر المؤرخة لهذه الحقبة التاريخية نبوغ علماء كثيرين في "علم الجغرافية والتاريخ" أهمهم محمد بن عبد الله الحسني السبتي المعروف بالشريف الإدريسي (494-581هـ/1100-1166م)،

---

[232] - خليل إبراهيم السامرائي ، المرجع السابق ، ص352.

[233] - محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 74.

[234] - أحمد ابن القاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1973 ، ص483.

[235] - محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، ص74.

الذي يعتبر من أعظم علماء الجغرافية ورسامي الخرائط في العصر الوسيط، اشتهر بمؤلفه النفيس "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[236].

كما برز مؤرخون متطلعون من أشهر رواد علم التاريخ وكتابه ورواته في المغرب والأندلس خلال هذه الفترة كان أبرزهم ، عبد الملك بن صاحب الصلاة صاحب المؤلف التاريخي النفيس "المن بالإمامة" ، و ابن عذاري و مؤلفه الشهير "البيان المغرب" ، و عبد الواحد المراكشي وكتابه التاريخي الهام " المعجب"[237]، و من أعظم أقطاب الرواية والتاريخ في هذه الفترة كذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الآبار (595 - 658 هـ) فقد عاصر أحداث الأندلس خلال العصر الموحدي وشارك في مجريات أمورها، وترك لنا مؤلفات في غاية الأهمية منها "الحلة السيراء – التكملة لكتاب الصلة – إعتاب الكتاب"[238].

أما الطب فيعتبر العصر الموحدي عصرا ذهبيا له، حيث نبغ فيه كثير من الأطباء في الأندلس أمثال ابن البيطار، وبني زُهر من أشراف مدينة "إشبيلية" توارثوا صَنعة الطب أباً عن جَد، هذه الأسرة العلمية من ألمع الأسر الأندلسية في الطب، أنجبت عددا كبيرا من الأطباء المشهورين خلال ستة أجيال متتابعة ما بين القرن الخامس والسابع الهجري الموافق للقرن الحادي عشر والثالث عشر الميلادي ، وإليهم يرجع الفضل في اكتشاف علاج "الأمراض الجلدية" الذي قُدم إلى الخليفة يعقوب المنصور[239]، ولقد شغف الموحدون بالطب كثيرا خصوصا يوسف ويعقوب شغفا فائقا، فأصبح للطب جولة وصولة في عهدهم ، ونظموه تنظيما محكما و بنوا المستشفيات والمارستانات، وجعلوا

[236] – محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، ص57 .

[237] – هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص11-12.

[238] – إبراهيم خليل السامرائي ، المرجع السابق ، ص350.

[239] – هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ولد سنة 554 هـ ، تولى الخلافة وعمره واحد و أربعون سنة ، دامت خلافته أربع عشر عاما ، وحدثت في عهده موقعة الأرك الشهيرة سنة 591 هـ ، عرف العمران و العلم في عهده ازدهارا كبيرا ، توفي سنة 595 هـ ، أنظر : عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص234 .

ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص517-525 ؛ الحسن السائح ، المرجع السابق ، ص220.

لهذه المهنة رؤساء ؛ وكان الطب يُدرس على عهدهم بالمغرب ومن أساتذته " أبو الحجاج يوسف المريبطري"، قرأ عليه الطب بمراكش أبو العباس الكنباري[240].

كما أن فن الصيدلة كان مزدهرا، ومستخدماً بمستشفى مراكش، كان ببلاط الخلفاء عدد من الصيادلة ، ومن رجالات الطب والصيدلة في هذا العهد الخليفة يوسف الموحدي الطبيب السبتي أبو الحسن علي بن بقطان ، ورحل إلى مصر عام (544هـ)، والطبيب سعيد الغماري كان حياً (494-595هـ).[241]

أما فيما يخص علم الكيمياء فلم يَخْلُ المغرب من علمائه الذين كان لهم باع طويل في ميدانه، وممن اشتغل به وكان له علو كعب فيه علي بن موسى الأنصاري السالمي المعروف بابن النقرات كان حياً سنة (593هـ) ، وأبو الطواجين القصري الكتامي و غيرهم من العلماء الكيميائيين الأفذاذ الذين زخر بهم هذا العصر الذهبي وتذكرهم كتب التراجم والطبقات[242].

3- الحياة المذهبية

أ- المذهب الفقهي الموحدي:

ذهب ابن تومرت إلى اعتبار أن تحصيل الفقه لا يتم إلا عبر المراحل التالية : الحديث المرفوع إلى النبي (ص) ، ومعرفة السند ، ومعرفة نص الحديث ، التمييز بين الحديث الصحيح و المرفوع و معرفة المعنى الحقيقي و المجازي[243] ، و يتفق ابن تومرت مع كبار المجتهدين في المراحل السابقة و يختلف معهم في المرحلة الأخيرة ، أي ضرورة معرفة المعنى المجازي ، الذي يَأخذ به العقليون رافضا باب الاجتهاد المسند إلى الأصول ، كما يرفض الرأي الشخصي الذي يسميه الظن ، لأن للعقل حداً

---

240 – مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص21 ، موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص534.

241 – ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص526.

242 – محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، ص87.

243– ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص234 .

يجب أن يقف عنده ، لإمكانية حدوث تعارض بين الفروع و الأصول[244] ، و هكذا تميز المذهب الموحدي التومرتي عن مذاهب أهل السنة في استبعاد الظن و الأخذ بالتفسير المجازي للأصول[245] .

ب – المذهب المالكي:

كان المذهب المالكي[246] المذهب السائد في المغرب الإسلامي ، فقد تعلق المغاربة به و ترسخ بين عامتهم ، و تشبث به فقهاؤهم[247] ، و بما أن ابن تومرت نشأ في هذه البيئة توجه العديد من الباحثين إلى القول بأن ابن تومرت نشأ مالكيا و عاش مالكيا و مات مالكيا ، فالمتتبع لكتابته يجده قد انتصر لهذا المذهب في معرض حديثه عن التواتر و حجية عمل أهل المدينة[248]، كما أسهم من جهة أخرى في اختصار كتاب الموطأ[249].

بناء على ذلك يمكن القول إن ابن تومرت لم يكن رافضا للمذهب المالكي ، و إنما أنكر على الفروعيين منهم تشعبهم في الآراء العارية من أي دليل شرعي[250] ، كما يفسر بعض الباحثين عداءه

---

[244]– عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت ، ص293 ؛ عاشور بوشامة ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس ، 626 هـ – 981 هـ / 1228 م – 1573 م ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : حسين أحمد محمود ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1411 – 1991 ، ص106 .

[245]– ألفريد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، ط3 ، دار الغرب الإسلامي،1987م ، ص276 – 277 .

[246]– مذهب فقهي أسسه مللك بن أنس بالمدينة المنورة ، يعتمد أساسا على الكتاب و السنة كمصدرين لاستنباط الأحكام الشرعية ، أنظر: مصطفى الهروس ، المدرسة المالكية في الأندلس ، مطبعة فضالة ، المغرب ، 1418 – 1997 ، ص31 ؛ أنخيل جثالث بالنسيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، تر: حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص414 .

[247]– المهدي مبروك ، المدرسة الفقهية المالكية ، مجلة الثقافة الإسلامية ، العدد الأول ، الجزائر ، 2005 ، ص96 .

[248]– عبد الله علي علام ، الدولة الموحدية بالمغرب ، الطابعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ، ص304 – 307 .

[249]– عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت ، ص154 – 155 ؛ فاروق حمادة ، النهضة الفقهية في ضلال الدولة الموحدية ، www.attarikh-alarabi.ma ، ص5.

[250]– مغزاوي مصطفى ، التحولات المذهبية في الغرب الإسلامي ، ص285 .

للفقهاء المالكية بأنها خصومة سياسية ناتجة على موالاتهم للحكام المرابطين[251] ، وخلال حكم خلفاء الذين تلوا ابن تومرت حظي فقهاء المالكية بالاصطفاء و التكريم بالإضافة إلى توليهم مناصب عليا في الدولة[252] ، ورغم هذه الشواهد التاريخية التي تعكس تعايش الموحدين مع المالكية، إلا أنها لم تشفع – لدى كثير من الباحثين – في رفع تهمة عداء الموحدين للمذهب المالكي، ومقابل ذلك أوردوا شواهد أخرى تعكس بدورها مواقف الموحدين من المذهب المالكي تتراوح كلُّها بين العداء والمعارضة فعناية ابن تومرت بالموطأ لم تكن –عند بعض الباحثين– إلا حيلةً منه لصرف الناس عن الموطأ نفسه وشغلهم بالنصوص الحديثية عن طريق تجريدها من الأسانيد ومن أسماء العلماء واختلافاتهم[253]، وقد لجأ إلى هذا الأسلوب حينما عجز عن شنِّ هجومٍ مباشر على المذهب المالكي الذي أصبح عقيدة ومذهبا لعامة الشعب، والموطأ في كل الأحوال هو من دواوين السنة المُجمع عليها.

وتذكر بعض الروايات أن هذه العداوة بدأت في عهد عبد المؤمن الذي عقد سنة (550هـ/1155م) اجتماعاً مع الفقهاء المالكية أشبه ما يكون بالمناظرة أو المحاكمة، حاول إقناعهم بالرجوع إلى الكتاب والسنة ونبذ كتب الفروع والمالكية بما فيها المدونة ، وقد ناب عن الفقهاء المالكية في وجهة نظرهم الفقيه ابن زرقون الذي لم يستجب لرأي الخليفة بل رد عليه بقوله : "يا سيدي جميع ما في هذا الكتاب يعني المدونة مبني على الكتاب والسنة وأقوال السلف والإجماع وإنما اختصره الفقهاء تقريبا لمن ينظر فيه من المتعلمين والطالبين"[254] ، وأورد ابن أبي زرع ما يُفيد بأن

---

[251]– ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص262 – 263 .

[252]– إبراهيم ابن نور الدين المعروف بابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تح: مأمون بن محي الدين و آخرون ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417 – 1990 ، ص135 .

[253] – أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب، ص: 109.

[254]– سعيد أعراب، موقف الموحدين من كتب الفروع، مجلة دعوة الحق، العدد : 249 ، الرباط ، 1985، ص26.

عبد المؤمن لم يتوقف عند حد المناظرة بل أمر سنة (555هـ/1159م) بتحريق كتب الفروع وردِّ الناس إلى الأصول من الكتاب والسنة[255].

أما يوسف بن عبد المؤمن فلم يعقد مناظرة مع مالكية دولته كما فعل أبوه، إذ أنَّ موقفه كان أشدَّ صرامةً، فبينما أنصت أبوه عبد المؤمن بن علي إلى جواب ومرافعة ابن زرقون ودفاعه عن المدونة، نلاحظ أن يوسف قطع سبل الحوار والمناقشة مع الفروعيين المالكيين مقررا أن لا مجال للرجوع إلى غير الكتاب والسنة وليس هناك من بديل لمن لم يقتنع سوى السيف[256].

وعن المنصور فتُخبرنا بعض المصادر أنه حاول محو المذهب المالكي من البلاد[257]، وأمر بإحراق كتب الفروع، وأن تكون أحكام العلماء بما يظهر لهم من الكتاب والسنة، فأحرق منها مدونة ابن سحنون وكتاب ابن يونس وغيرها[258]، ولم تتوقف نكبة المنصور عند إحراق المصنفات المالكية، ولكنها طالت أيضا جملة من الفقهاء وعلى رأسهم كبير فقهاء المالكية ابن زرقون صاحب كتاب "تهذيب المسالك إلى تحصيل مذهب مالك" ، والذي ألف في الرد على ابن حزم كتاب "المعلى في الرد على المحلى"[259]، فأُحرقت مكتبته التي ورثها عن أبيه الفقيه أبي الحسين ابن زرقون ، وذُكر أن المكتبة المحروقة كانت "تعادل مالا جسيما وتساويه في كل صنف تشتمل عليه من الرأي"[260]،

255– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص195 ؛ السلاوي ؛ المصدر السابق، ج1، ص337.

256 – مغزاوي مصطفى ، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي ، ص341

257 – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 204 ؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام ، ج42 ، ط1، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1411– 1991 ، ص 216.

258– ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص419 – 418 ؛ محمد بن مبارك الميلي، المرجع السابق،ج2 ، ص 399.

259 – ابن فرحون، المصدر السابق ، ص 260 .

260 – أبي الخطاب عمر بن حسن المعروف بابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب ، تح : إبراهيم الأبياري وآخرون، بيروت، دار العلم للجميع، 1415م/ 1955م ، ص 222.

وسُجن طويلا بمدينة سبتة، وتعرَّض للتعذيب، لكن أذى المحنة لم يثنه عن العودة لتدريس الفقه المالكي بإشبيلية بعد إطلاق سراحه[261].

ويلاحظ بشكل جلي تراجُع التأليف في الفتاوى والنوازل خلال العصر الموحدي ، ولا نستبعد أن فقهاء العصر الموحدي أصبحوا يتحرَّجون من تدوين فتاواهم حتى لا يُثيروا مشاعر السلطة التي ظلت خلال عصر قوتها شديدة الحساسية من فقه الفروع والمسائل[262].

وبالمقابل كان لفقهاء المالكية مواقفهم المعبِّرة عن استيائهم من السياسة الموحدية ، وأُعتبرت ثورة القاضي عياض على الموحدين لا علاقة لها ببيعة المرابطين الذين تقهقروا وضعفت شوكتهم وإنما هو انتصارٌ للمذهب المالكي ضد هجمة الموحدين، فالقاضي عياض هو إمام المالكية حينها وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله والمدافع عنه ، و يدعم هذا التفسير ما يُفهم من تعاطف بعض الفقهاء المالكية مع ثورة ابن غانية[263]، فقد فسَّر الباحث عبد الله العروي صمود بني غانية – والموحدون في أوج قوتهم – بأنها كانت تجد الدعم من قبل الرأي العام في المدن المتأثرة بعلماء المالكية ضد المذهب الموحدي[264] .

من العسير إذن الفصل في معاداة الموحدين للمذهب المالكي، ومن الأصعب الحكم بمالكيتهم، والمؤكد أن المذهب المالكي تقهقرت مكانته بسبب إعراض السلطة عنه، ما أفقده – مؤقتاً– كثيرا من سيادته وسطوته المعهودة في الغرب الإسلامي

---

261 – محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ، ج6 ، تح : عبد السلام الهراس، بيروت، لبنان ، دار الفكر للطباعة ، 1415-1995 ، ص444 .

262 – محمد المغراوي، صمود المذهب المالكي، مجلة دعوة الحق، العدد : 391، الرباط ، 2009، ص 110 .

263 – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرُف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح: عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص: 34 – 35 – 42 – 43 ؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 271 – 272.

264 – مغزاوي مصطفى ، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي ، ص366.

ج – المذهب الظاهري :

لا يستبعد في التكوين الفسيفسائي لابن تومرت وجود الاتجاه الظاهري[265] و خاصة أن مروره بالأندلس أمر ثابت في رحلته العلمية[266] ، و تبرز أراء ابن تومرت الظاهرية من خلال جملة من المعطيات أهمها انتقاده الشديد لما آل إليه الفقه من تشعب في الأقوال و الآراء و إلحاحه على الرجوع إلى الأصول[267] ، و قد استفاد ابن تومرت من هذا المذهب في ثورته على التقليد السائد بين المالكية و العودة إلى الكتاب و السنة و محاربة أهل البدع و الظلم[268] ، و عموما وجد أنصار المذهب الظاهري فسحة في ظل حكم دولة الموحدين فتفاوت خلفاء ابن تومرت بين متسامح (عبد المؤمن بن علي) و مؤيد (يوسف بن عبد المؤمن) و متعصب له(يعقوب المنصور)[269].

د – التصوف :

شكلت الحركة الصوفية[270] عنصرا رئيسيا مكونا للشخصية الدينية في الغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي[271] ، فالزهد و التقشف يعتبر من الأسس التي أقام عليها ابن تومرت منهجه الفكري[272] . كما أنه أصبغ حركته بطابع الولاية و الكرامة عندما خرج بدعوته من حيز العمل المنظم

---

[265]– مذهب فقهي ينسب إلى ابن حزم الظاهري الأندلسي ، يتلخص هذا المذهب في العمل بظاهر النصوص الشرعية من الكتاب و السنة ، انظر: احمد بكير محمود ، المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب ، ط1 ، دار قتيبة ، بيروت ، 1411 – 1990 ، ص21 .

[266]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص04 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص465 .

[267]– ابن تومرت ، المصدر السابق ، ص105 .

[268]– عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص304 .

[269]– مغزاوي مصطفى ، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي ، ص344 .

[270]– اتجاه أخلاقي نفسي ، ديني و اجتماعي يقوم على عزوف النفس عن الدنيا و تخليها عن ملذاتها و الاعتكاف على العبادة و الانقطاع إلى الله و الإعراض عن زخرف الدنيا و ملذاتها ، أنظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص381 ، محمد بركات البيلي ، الزهاد و المتصوفة في بلاد المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1993 ، ص21- 22

[271]– المرجع نفسه ، ص110 – 110 .

[272]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص481 .

إلى حيز الخوارق و عليه يمكن القول أن ابن تومرت كان يقرن أقواله و أفعاله بسمات الصوفية[273] ، و ذلك في سياق توجيهات الغزالي الذي يعتبر أنه قد اتصل به و تأثر بفكره و أنه دعا له كي تكون نهاية المرابطين على يديه بعد أن أحرقوا كتابه الأحياء.

و يذهب بعض الباحثين إلى أن المتصوفة و الموحدين كانوا حلفاء مرحليين إبان صراعهم المشترك ضد السلطة المرابطية[274] ، وقد استمر خلفاء الدولة الموحدية على هدي ابن تومرت في الجمع بين الزهد و التقشف و تشجيع الممارسات الصوفية الزُهدِية من جهة و ما عرف عنهم من قوة و بطش من جهة أخرى[275] ، و يذكر ابن أبي زرع في هذا الصدد أن " الخليفة المنصور كان كثير الصدقة مجلا للجهاد يشهد جنائز الفقهاء و الصالحين و يزورهم و يتبرك بهم ..... أكرم الفقهاء و رعى الصالحين الفضلاء "[276] .

و قد تسارع انتشار التصوف في القرن 05هـ - 11 م في بلاد المغرب ، و أكد صاحب مفاخر البربر ذلك بقوله " و أما الأولياء و الصلحاء و العباد و الأتقياء و الزهاد و النساك فقد كان في بلاد البربر ما يوحي على عدد الحصى" [277] ، كما تميز القرن 06 هـ - 12م بظهور عدد كبير من الشيوخ الصوفية بأعداد معتبرة تميزوا بوزنهم في تاريخ التصوف الإسلامي و كان لهم الأثر العميق في

---

[273]- فاطمة الزهراء جدو ، السلطة و المتصوفة في الأندلس عهد المرابطين و الموحدين ، (479 – 635 / 1086 – 1238) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف : إبراهيم بكير بحاز ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 1429 – 2008 ، ص120 .

[274]- الطاهر المصمودي ، الغزالي و علماء المغرب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1990 ، ص25 .

[275]- السلاوي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص145 .

[276]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص267 .

[277]- مجهول ، مفاخر البربر ، ط1 ، تح: عبد القادر بوباية ، ، دار أبي فراق ، الرباط ، 2005 ، ص176 .

هذا الاتجاه الديني كأبي مدين الغيث[278] ، و من جهة أخرى لم يقتصر تأثير هذا التيار على الحياة الدينية بل تجاوزت إلى الحياة الاجتماعية و السياسية و حتى الاقتصادية بفضل المكانة التي حازوها بين العوام و الحكام [279] .

ثالثا : الأوضاع الاقتصادية للدولة الموحدية

يمكن القول أنه بعد استقرار الحياة واستتباب الأمن وتشجيع الخلفاء لمختلف الأنشطة الاقتصادية ساهم ذلك في تحقق رخاء اقتصادي عظيم في عهد الخلفاء الموحدين الأوائل، فانتعشت بذلك الحياة الاقتصادية وتحسنت أحوال السكان المعيشية تحسنا ملحوظا .

1- الزراعة

كانت الحياة الزراعية مزدهرة في سهول المغرب الساحلية منها والداخلية، وفي التلال القريبة من الجبال، وكانت الزراعة في الجزء الأكبر من البلاد زراعة بعلية ، لكن الزراعة المسقية كانت منتشرة في المناطق التي يتوفر فيها الماء ، وتذكر المصادر والمراجع التاريخية أن الخليفة عبد المؤمن نظم الزراعة فأمر بمسح الأراضي الزراعية و لم يهمل أي جزء من الأرض الصالحة للزراعة [280]، ومن جهة أخرى فقد راقبت الدولة أحوال الزراعة وكثيرا ما أسندت النصائح العلمية للمزارعين لتدر الأرض أكبر قدر من الإنتاج علما أن أرض المغرب من أخصب بقاع الأر ض[281] .

---

[278]- هو أبي مدين الغيث بن الحسين الأنصاري ولد باشبيليا(509 – 1115) تعلم بفاس و استقر ببجاية و توفي في تلمسان ، لازم في طلب العلم مجموعة من الشيوخ أبرزهم أيرمزي بلنور و أبو الحسن علي بن مرزهم و أبو الحسن ابن غالي ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج5 ، ص380 .

[279]- زينب ملياني ، التصوف في الغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، إشراف : محمد الأمين بلغيث ، جامعة الجزائر ، 1428 – 2007 ، ص127 ، ص169 .

[280] – ابن القطان ، المصدر السابق ، ص157 ؛ عبد الله علي علام , المرجع السابق ، ص253-254 ؛ سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب الكبير ،ج5، دار المعرفة ،الإسكندرية ، ص528

[281] – عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي بالمغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1424-2003 ، ص184 ؛ بوداعة نجادي ، الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الدولة الموحدية

ولقد كان إنتاج المغرب الفلاحي متنوعا ، إذ كان ينتج الغلات الغذائية كالحبوب والزيتون الذي كان يستعمل للتغذية والإنارة والعلاج، كما كان ينتج زراعات صناعية كقصب السكر في ناحيتي مراكش وسوس، والقطن في ناحية سجلماسة والحناء في ناحية درعة ، وغيرها من النباتات التي تستخرج منها الأصباغ [282]، وكان اهتمامهم أيضا بنظام الغراسة اهتماما فائقا[283] ، وتجلى ذلك في عاصمتهم مراكش التي كانت أكثر بلاد المغرب بساتين، وأكثر شجرها كان الزيتون، ولم تكن مراكش وحدها تتوفر على جنات وبساتين تسر الناظرين، بل غرس الموحدون البساتين في كل مكان منها مدينتي فاس ومكناس التي كانتا تتوفران على غرس وبساتين متنوعة[284] ، ومن أجل الحفاظ على هذه البساتين أجرى الموحدون الماء إليها بطريقة هندسية رائعة حيث تفنن المهندسون في عهد الدولة الموحدية في طريقة الري و جلب الماء للبساتين[285] ، فعلى سبيل المثال لا الحصر الماء الذي كانت تسقى به بعض البساتين في مراكش استخرجه بصفة هندسية المهندس الشهير عبد الله بن يونس الذي قصد إلى أعلى الأرض فحفر بئرا مربعة كبيرة التربيع، وشق منها ساقية متصلة بالحفر على وجه وصل الماء إلى البستان والسكب على وجه الأرض، ولقد استفاد الموحدون من عبقرية ومهارة المهندسين الذين عاصروهم في كل شيء في تطوير أساليب الفلاحة والزراعة، وفي جلب المياه وحفر الآبار، وإنشاء السواقي التي تحمل المياه من منطقة إلى منطقة، ومازال التاريخ يشهد على بناء يعقوب

(541-668 هـ/1147-1269م) ، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف: عبدلي لخضر ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2010 ، ص40 .

[282] - يوسف أشباخ , المرجع السابق ، ج2، ص494.

[283] - عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص190 ؛ إبراهيم بوتشيش ، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي ، ص83 .

[284] - أبي العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج5، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1331-1913، ص153-ص161 ؛ مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في عصري الموحدين و بني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص322.

[285] - مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص180 ؛ جمال أحمد طه ، المرجع السابق ، ص205.

المنصور ساقية معلقة لحمل الماء من وادي "تيساوت" إلى سهل "البحيرة" بأحواز مراكش، وبقايا هذه الساقية لا تزال موجودة إلى العصر الحاضر تدل على تقدم الموحدين في هذا الميدان[286].

كما اهتم الموحدون بالثروة الحيوانية فقاموا بتربية الخيل في سهول تلمسان و الماشية في بوادي اشبيلية و الثروة السمكية في مكناس و السوس و قرطبة [287].

2- الصناعة

في مجال الصناعة اعتنى الموحدون على الخصوص بصناعة المعادن والإنتاج الميكانيكي والفني و الغذائي و صناعة الأسلحة والصناعة النسيجية وغيرها [288]، ولم يحصروا اهتمامهم بتحسين الحالة الصناعة في المغرب فحسب بل سعوا إلى ازدهارها في الأندلس وإفريقية [289]، ويعود ازدهار الصناعة في هذه الفترة إلى استقرار الأوضاع في البلاد وتوفر المواد الأولية وخصوصا وجود الخبرة الصناعية[290] .

ومن أهم المدن المغربية التي كان لها شهرة واسعة بالصناعة مدينة فاس ومراكش وسلا، و سبتة التي كان بها مصنع للورق حيث اشتهرت بورقها الذي ينسب إليها ، وكان لإنتاج الورق في عين المكان دور في تيسير وسائل التأليف في جميع أنواع العلوم، وهو الأمر الذي ساعد على تمييز مدينتي سبتة و فاس من الناحية العلمية التأليفية، ولقد بلغت صناعة الورق الذروة في هذا العهد في الوقت الذي

---

[286] - مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص180-181 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص287 ؛ أشباخ ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 252-253 ؛ الحسن السائح ، المرجع السابق ، ص243.

[287] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص116، 172 -202 ؛ ليلى النجار ، المرجع السابق ، ص436-437.

[288] - مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص113-211 ؛ سامية مصطفى محمد مسعد ، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في إقليم غرناطة عصري المرابطين و الموحدين ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2003 ، ص125.

[289] - حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص261.

[290] - شال أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر : محمد مزايا و بشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر ، ج2 ، 1983، ص155.

كانت أوروبا تفتقر إلى معمل واحد للورق[291]، وتذكر المصادر أن مدينة فاس وحدها عرفت بالإضافة إلى صناعة الورق صناعات أخرى في زمن يعقوب المنصور منها على سبيل المثال لا الحصر: اثنا عشر مصنعا للمعادن وثلاثة ألاف وأربعة وتسعين نولا للنسيج ، وسبعة وأربعون معملا للصابون، وستة وثمانون مصنعا للدباغة، وثمانمائة وستة عشر مصنعا للصناعة، وأحد عشر مصنعا للزجاج، ومائة وخمسة وثلاثون مصنعا للجير..إلخ[292].

أما بالنسبة للأندلس الرطيب فقد أقام بها الموحدون منشآت صناعية مهمة كإنشاء صناعة الحرير في مدينتي "ألمرية" و"جيان"، بالإضافة إلى أنواع النشاطات الأخرى التي كانت تمارسها وتبلغ (800 مهنة) ، وحرص الموحدون على إنشاء معامل لصناعة الورق في كل من مدينتي "شاطبة" و"سبتة " ، وفي ظل ازدهار الصناعة والتجارة كانت الأندلس تمد المغرب بالخشب والزرع وباقي المنتجات الصناعية المختلفة التي كانت تنتج وتصدر، بالإضافة إلى الواردات الشرقية التي كانت ترد عليها، فأصبحت بذلك المدن المغربية مجالا حيويا للصناعة الأندلسية المتميزة التي جمعت بين أصالة الشرق والغرب[293].

ونحن نلامس بعض الجوانب الاقتصادية للدولة الموحدية تجدر الإشارة إلى شغف الموحدين بالاختراعات الميكانيكية والهندسة الميكانيكية بصفة عامة، لذلك كان أهم شيء برع فيه أهل الصناعة في ذلك العهد هو الصناعات الميكانيكية[294]، وتجلى ذلك في الآلات الحربية المتنوعة التي كانوا ينتجونها مثل المجانيق التي تدك الأسوار والخنادق، والأقواس[295] ، ومن بين الصناعات التي اعتنى

---

[291] -محمد المنوني ، تاريخ الوراقة المغربية ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1991، ص33 ؛ عبد المنعم محمد حسن ، المرجع السابق ، ص62 .

[292] - علي الجزنائي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تح : عبد الوهاب بن المنصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1411-1991 ، ص44.

[293] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص194-210 ؛ الحسن السائح ، المرجع السابق ، ص242-243.

[294] - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص51 .

[295] - مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص95 ؛ بوداعة نجادي ، المرجع السابق ، ص49.

بها الموحدون صناعة الأسلحة بجميع أنواعها إذ كانت في غايات الإتقان والتطور على عهدهم الزاهر حيث أولوها من العناية ما جعلها تزدهر وتتطور بسرعة فائقة[296]، ولقد استفادوا من الحروب العديدة التي كانوا يخوضونها دفاعا عن حوزتهم، فاشتهرت الأندلس بصناعة آلات الحرب من الرماح والتروس والدروع إلى غيرها من الأسلحة [297] ، ومن الصناعات التي بلغت شأنا عظيما في عهد الدولة الموحدية صناعة السفن التي أنشأت معامل لها بكل من مدينة فاس وسلا والرباط مما ساهم في ازدهار الأسطول المغربي وشهرته عبر العالم، حيث اتفق المؤرخون بأنه كان أول أسطول عظيم يصول ويجول في حوض البحر الأبيض المتوسط دون اكتراث بخطر القراصنة الذين كانوا يهاجمون السفن في كل وقت وحين[298].

3 – التجارة

سارت الدولة الموحدية على منوال الدولة المرابطية وخطت نفس الخطوات في سبيل تأمين الأمن والاستقرار داخل المجتمع مما ساهم في ازدهار التجارة الداخلية وانتعاشها، حيث عمل خلفاء الدولة على حماية الطرق التجارية من جميع المخاطر التي يمكن أن تهددها وتؤرق التجار، و سهّلوا سبل التجارة وأقاموا الآبار والاستراحات في طرق القوافل التجارية و الفنادق في المدن ، وأنشأوا المنارات في الثغور[299]، واهتموا ببناء الأسطول البحري الذي ساعد على تشجيع التبادل التجاري بين مختلف الجهات[300]، وكان اهتمام الخليفة عبد المؤمن بالتجارة الداخلية والخارجية هدفه إحداث الرواج داخل البلاد ، ولكي يكثر المبيعات الداخلية ويسهل التعامل بين شعبه ضرب الدرهم ونصفه وربعه وثمنه

---

[296] – أشباخ ، المرجع السابق ،ج2 ، ص248.

[297] – عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص636 ؛ خليل إبراهيم السامرائي ، المرجع السابق ، ص403-404.

[298] – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص53 ؛ بوداعة النجادي ، المرجع السابق ، ص50.

[299] – مؤلف مجهول ،الاستبصار ، ص189-210 ؛ أشباخ ، المرجع السابق ، ج2 ، ص252 ؛ سامية مصطفى ، المرجع السابق ، ص140.

[300] – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص53 ؛ أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس ، ص247.

[301]، وحرص أن لا يضع للتجارة الداخلية ضرائب تعيق مسيرتها ورواجها[302]، ولكنه راقبها برجال الحسبة لضبط الموازين و ضبط ما لم يصلح من المبيعات[303] ، كما حرصوا على تنظيم الأسواق الداخلية حسب المنتوج[304].

إن المتأمل في الطرق التي كانت التجارة الموحدية تسلكها يلاحظ أهمية هذه الشبكة التي تتجلى فيها أهم المراكز التجارية الداخلية في العهد الموحدي ، ففي الجنوب الشرقي توجد مدينة سجلماسة وهي البوابة التي يدخل منها ذهب السودان إلى المغرب، والمسافة ما بينها وبين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء ، فمن حيث قصدت إليها من أحد هذه البلاد يكون ذلك مسيرة عشرة أيام ، أما مدينة مراكش التي تنتصب عند منتهى الأطلس الكبير فكان يدخلها التجار من أبواب معينة لتسهل مراقبة بضائعهم ، وكانت لهم فنادق خاصة يجتمعون فيها، وفي الشمال كانت مدينة فاس التي تقع عند ملتقى الطرق التي تربط بين الشمال والجنوب والغرب والشرق، وكانت تضيف إلى نشاطها الصناعي نشاطا تجاريا واسعا ومتميزا[305].

لم يقتصر النشاط التجاري في عهد الموحدين على مدينة سجلماسة و فاس ومراكش فقط ، بل تعداه إلى مدينة سبتة ورباط الفتح و طنجة ، إذ كانوا يشكلون أهم الموانئ الساحلية التي تصدر منها المنتجات المغربية فكانت طنجة تصدر الصوف والجلود والفواكه المجففة والشمع والعسل، وكانت

[301] -أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ،1287 ، ص252 ، عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، 253.

[302] - حركات ، المرجع السابق ، ج1 ، ص339 ؛ سامية مصطفى ، المرجع السابق ، ص140.

[303] -عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص220.

[304] - حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، ص199 ؛ بوداعة النجادي ، المرجع السابق ، 53 .

[305] - أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ، كتاب الجغرافية ، تح : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ص128 ؛ حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص268 -269 ؛ بان علي محمد البياتي ، النشاط التجاري بالمغرب الأقصى خلال القرن (3-4هـ/ 9-11م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجيستر في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : صباح إبراهيم الشيخلي ، جامعة بغداد ،1425-2004 ، ص36-49.

الأندلس تصدر إلى المغرب الأخشاب والمزروعات ومنتجات الشرق، كما كان التبادل قائما بين المغرب وتونس و بجاية و قسنطينة[306]. وبقدر ما كان الاهتمام بالتجارة الداخلية وتطويرها عند الموحدين كان الاهتمام بالتجارة الخارجية التي نشطت نشاطا ملفتا للنظر في عهدهم حيث اجتهدوا ووضعوا لها أنظمة تضبطها، وعقدوا من أجلها المعاهدات مع البندقية و جنوة و مرسيليا و كطلونيا و بيزة وأغلب المدن الأوروبية الساحلية ، التي كانت مدينة سبتة و طنجة تتبادل معهم المنتجات المختلفة حسب ما تذكره المصادر ، والملفت للنظر أن التجارة الخارجية في عهدهم كانت نشيطة وفعالة مع أوروبا وإفريقية على السواء حيث تبادلوا المنتجات التجارية مع تونس وبجاية و قسنطينة.[307]

كما تبادلوا التجارة مع إفريقيا التي كانت قد تكونت على شكل مماليك كبيرة انتشر فيها الإسلام بفضل هذه الرحلات التجارية ، ويمكن التعرف على البضائع التي كان التجار المغاربة يحملونها إلى السودان وطريقة التبادل بينهم ، والطرق التي كانوا يسلكونها من خلال ما أورده ياقوت الحموي في معجمه الجغرافي "معجم البلدان" حيث يذكر بالتفصيل عملية التبادل التجاري بين التجار المغاربة وسكان هذه المماليك الإفريقية منذ انطلاقتهم الأولى من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة حسب قوله في الكتاب المذكور، كما يصف نوع البضائع التي كان يحملها هؤلاء التجار معهم مثل الملح، وعقد خشب الصنوبر، وخرز الزجاج الأزرق، و أسورة النحاس الأحمر، و خواتم النحاس ، إلى غيره من البضائع التي كان يتم تبادلها مع سكان المماليك الإفريقية بطريقة فريدة من نوعها يذكرها صاحب الكتاب المذكور بالتفصيل[308].

[306] – عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص311 ؛ عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص323-327 ؛ كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ص341.

[307] – هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص391.

[308] – ابن ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3، ص192.

أما المبادلات التجارية مع أوروبا فأهميتها تتجلى في كثرة المعاهدات التي أبرمتها الدولة الموحدية مع المدن الأوروبية خلال القرن السادس الهجري وما بعده[309]، حيث عرفت أوروبا انتعاشا اقتصاديا وتجاريا ملحوظا عن طريق التجارة مع المغرب[310]، خاصة تجار جنوة و بيزة والبندقية وكطلونيا الذين كانوا يشترون من المغرب النحاس والصوف والزيت والصبغ والفواكه الجافة ، وتوجد وثائق رسمية عديدة عند الدول الأوروبية منها دولة إيطاليا تثبت ذلك تذكرها المراجع الأجنبية التي درست هذا الجانب [311]، وقد لعبت الموانئ المغربية الرئيسية دورا هاما في ازدهار التجارة في الغرب الإسلامي في ظل الدولة الموحدية حيث كان لها أهمية كبرى في المبادلات بين السودان وأوروبا بفضل تحكم الموحدين في طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء ، ومن ثم استطاعت الدولة الموحدية من ثغورها المغربية حماية طرق التجارة البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي من خطر القرصنة والسطو على السفن الذي كان منتشرا في ذلك العهد[312].

4 – النظام المالي

أ – الموارد :

لما قام ابن تومرت ببدء حركته المناوئة للمرابطين كان من بين ما هاجمهم به كونهم استحدثوا مغارم و مكوساً[313] و قبالات[314] غير شرعية[315] و فرضوها على الناس ، وقد تمسك عبد المؤمن

[309] – كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق ، ص339 .

[310] – حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص199.

[311]- Le Comte de MAS LATRIE , relation et commerce de l Afrique septentrionale, librairie de frimindidot , paris , 1886 , p 88.

[312] – سامية مصطفى ، المرجع السابق ، ص140.

[313]– المكس هي ضريبة تستعمل على التجار ، انظر : ابن خلدون ، المقدمة، ص279.

[314]– القبالة ضريبة تدفع لبيت المال المسلمين ، و هي كلمة أطلقت على الضرائب التي يقضي بها الشرع ، استخدمت هذه الكلمة في المغرب و الأندلس للدلالة على الضرائب التي يؤديها أهل الحرف ، أنظر : أبي القطان ، المصدر السابق ، ص156 .

[315]– ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص261 .

بتعاليم إمامه و عمل جاهدا على رفع الظلم و حذر من فرض الضرائب غير الشرعية على الناس[316] ، و مما تقدم نستطيع أن نقول أن الموارد التي اعتبرتها الدولة شرعية هي الزكاة و العشور[317] و أخماس المعادن[318] و الغنائم[319] ، إضافة إلى عائدات الاستثمار في الأراضي الزراعية و الحوانيت[320] ، ناهيك عن الأموال المصادرة من أموال الثائرين على الدولة و التي شكلت مصدرا غير يسير للخزينة[321] .

ب – الإنفاق :

أما مظاهر الصرف فهي تنحصر عموما في الأعمال الحربية الخاصة برواتب الجند ، و سكنهم و لباسهم و مؤنهم و معداتهم[322] ، إضافة إلى الرواتب باختلاف أوجهها سواء الخاصة بالوزراء أو الكتاب و القضاة و أصحاب الأشغال و الأطباء و المهندسين[323] و الشعراء والطلبة و الفقهاء[324].

كما أخذت المنشآت العمرانية حيزها من الإنفاق في بناء القناطير و الجسور و الحصون والمساجد و الأربطة و المدارس و غيرها[325] ، و لم يُغفل الموحدون الأعمال الاجتماعية فهي بدورها

---

[316]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص156 – 157 .

[317]– هي ضريبة تقرض على الإنتاج الفلاحي مقدارها العشر ، أنظر : ابن عذاري ، ج3 ، المصدر السابق ، ط2 ، تح : ليفي برفينصال و كولان ، دار الثقافة ، بيروت ،1983 ، ص58 .

[318]– ضريبة تفرض على إنتاج المعادن تقدر بالخمس ، أنظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3، ص120 – 122 .

[319]– ليلى احمد النجار ، المرجع السابق ، ص368 .

[320]– مؤلف مجهول، الحلل الموشية ، ص100 .

[321]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص453 – 454 .

[322]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص114 .

[323]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص389 .

[324]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص143 .

[325]– سامية مصطفى ، المرجع السابق ، ص185 .

كان لها جزء خاص من الإنفاق موجه للمارستانات و توفير الأكل و اللباس و الدواء لذوي الحاجة[326] .

ج – السكة :

يظهر من خلال المصادر التاريخية أن العملة الموحدية كانت تقوم على أساس الدينار و الدرهم ، كما كانوا يضربون عملة صغرى على أساسها تقدر بنصف درهم و ربعه و ثمنه[327] ، فنصف الدرهم هو القيراط[328] ، و أصغر وحدة في الدرهم هي الخراريب[329] ، و قد أمر المهدي بأن تكون عملته مربعة[330] ، غير أن الدينار ظل مدورا في زمن الخلفاء الذين تلوه و جعلوا في وسطه شكلا مربعا[331] ، أما العبارات التي كانت تكتب على العملة فهي عموما متقاربة و من أمثلة ما كتبوه " لا اله إلا الله " ، "الأمر كله لله " ، "لا قوة إلا بالله " ، و على الوجه الآخر يكتب " الله ربنا محمد رسولنا و المهدي إمامنا "[332] ، و كانت تضرب السكة بفاس[333] ، و اختلفت مقادير العملة الموحدية باختلاف الخلفاء الذين أمروا بسكها[334].

د – المكاييل و الموازيين :

---

[326]– مجهول ، الاستبصار ، ص210 .

[327]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص210 .

[328]– ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص143 .

[329]– عبد الواحد المراكشي ، المرجع السابق ، ص207 .

[330]– ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص143 .

[331]– ابن خلدون ، العبر ،ج6، ص470 .

[332]– عبد النبي بن محمد ، مسكوكات المرابطين و الموحدين في شمال إفريقيا و الأندلس ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية ،إشراف :عبد الرحمان فهمي محمد ، جامعة الملك عبد العزيز بمكة ، 1399 – 1979 ، ص 49 – 58

[333]– عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص399 .

[334]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص230 .

و مما يتصل بالحياة الاقتصادية تلك المكاييل و الموازيين التي كان يستخدمها السكان في تعاملهم اليومي ، و قد استخدم الموحدون المد و المد[335] هنا غير المد النبوي الذي يزن 400 غرام إذا كان شعيرا و 525 غراما إذا كان من القمح و لكنه يتجاوز هذا الوزن بقليل[336] و قد جعله البكري 80 أوقية[337] .

و استخدم السكان الوَسَق في كيلهم[338] و هو مقدار حمل جمل و كان يوازي صاعا[339] ، و بجانب المكاييل المختلفة استخدم السكان الموازيين و منها الأوقية[340] ، كما استخدموا الرطل في أوزانهم[341] .

و – الإدارة المالية:

ساهم النظام المالي بدور كبير في استقرار الأوضاع الاقتصادية بالبلاد و دفع عجلة الاقتصاد الموحدي ، فكان من بين أهم ما قاموا بتشييده في هذا الشأن إنشاء مؤسسة مالية تدعى دار الإشراف تتخصص في الإشراف على الشؤون المالية[342] ، أما عن المواطنين المشتغلين بالشؤون المالية ، فقد كانت هذه الإدارة من صلاحيات الوزراء وكان الكتاب في بداية الدولة و يعاونهم أمناء[343] ، ثم تطورت الوظائف المالية و اتضحت صورتها و أصبح هناك وزير متخصص يطلق عليه صاحب

---

[335]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص442 .

[336]– نفسه ، ص509 .

[337]– البكري ، المصدر السابق ، ص117.

[338]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص280 .

[339]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص230 .

[340]– البكري ، المصدر السابق ، ص117 ؛ جمال أحمد طه ، المرجع السابق ، ص234 .

[341]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص509 .

[342]–حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص185 .

[343]– البيذق ، المصدر السابق ، ص63 .

الأشغال يهتم بجمع الأموال و ضبطها[344] ، و يعاون صاحب الأشغال رؤساء الدواوين المالية بالدولة و هم :

- صاحب ديوان الأعمال المخزنية الذي يراقب العمال و المشرفين و يحاسبهم كما يراقب إرادات الدولة و يشرف على الدخل[345] .
- متولي الجباية : و هو المسؤول عن تحصيل الضرائب بمختلف أنواعها .
- متولي المستخلص: و هو المشرف على أموال الخليفة.

رابعا : الحياة الاجتماعية

1- عناصر المجتمع الموحدي :

أ- البربر:

شكل البربر الغالبية العظمى من سكان الدولة الموحدية و عمودها الذي قامت عليه[346]، و هؤلاء البربر انقسموا من حيث حياتهم الاجتماعية إلى فئتين ، الحضر و أغلبهم مستقرون في القرى الساحلية و في السهول الفلاحية ، و البدو الذين يعيشون بدورهم في الهضاب و التلال و على سفوح الجبال و يغلب على نشاطهم الرعي[347] ، و يقسم الباحثون البربر إلى قسمين هما : البتر و يشكل أغلبها سكان البدو ، و البرانس و يشكل أغلبهم الحضر ، و اختلفت المصادر في نسبهم

[344]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص245 .

[345]-عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ج3، ص623 .

[346]- عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 71 ؛ ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص393 .

[347]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص206 ؛ بوداعة نجادي ، المرجع السابق ص24 .

فمنهم من يرى أنهم من ولد حام بن نوح عليه السلام ، و تذكر مصادر أخرى أنهم من بني افريقش بن صيغي الحميري و يرجح ابن زيدان أنهم من نسل كنعان[348] .

و قد تشعبت القبائل البربرية لتشمل عدة فروع و بطون شكلت العنصر الأساسي للعديد من الدول التي قامت بالمغرب الإسلامي ، و عندما نتحدث عن الدول الموحدية فالكلام ينصب نحو المصامدة الذين لعبوا دورا هاما في قيامها بإضافة ، إلى قبائل أخرى شكلت البناء الاجتماعي للدولة وهي بالخصوص : كومية ، هرغة ، هسكورة ، هنتانة ، تينمل ، جنفيسة ، كدميوة ، وريكة ، صنهاجة ، لمتونة ، جدالة ، مسوفة ، لمطة .....[349] .

ب– العرب :

أما العرب فيعود وجودهم إلى حملات الفتح الإسلامي ثم الغزو الهلالي بعده[350]، حيث كان للعرب الهلالية دورٌ بارزٌ في الدولة الموحدية سواء في الدفاع و الذود عنها ضد النصارى و الثائرين[351] .

كان أول اتصال للموحدين بالقبائل العربية عندما مر المهدي بن تومرت بافريقية و المغرب الأوسط في طريق عودته إلى السوس ، حينها لقيته قبيلة الثعالبة العربية مناصرة و مؤيدة[352] ، و بعد إخضاع

---

[348]– عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص93 ؛ شرقي نوارة ، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524 – 667) (1126 – 1268) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، إشراف : عبد العزيز محمود لعرج ، جامعة الجزائر ، 1429 – 2008 ، ص28 .

[349]–عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 423 .

[350]– ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص394 ؛ أنظر : الملحق ، ص160 .

[351]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص580 .

[352]– السلاوي ، المصدر السابق ، ج2 ص90 .

عبد المؤمن لإفريقية استمال العرب و جلبهم معه إلى المغرب الأقصى قصد استغلال شجاعتهم و حبهم للجهاد في بلاد الأندلس[353] .

و قد لعب العرب دورا كبيرا في تقوية الجيش الموحدي بالمغرب و الأندلس حيث لم يخض الجيش الموحدي حربا إلا و كان للعرب حظٌ وافرٌ فيها .

أما عن أماكن تركزهم خلال العهد الموحدي فقد شملت بالخصوص السهول المحاذية للأطلس حيث نزلوا ببلاد تامسنا مابين سلا و مراكش[354]، و نزل بنو رياح[355] مابين القصر الكبير و ساحل المتوسط و سكنت قبائل الضحاك سجلماسة[356] ، أما بنو جابر و بنو سفيان من جشم فقد نزلت الأولى بتادلا ، و أما الثانية فقد نقلها المنصور إلى البادية بالقرب من أسفي .

و عن نشاطهم الاجتماعي و الاقتصادي فقد كانوا يمارسون الرعي و هي المهنة التي تتناسب مع طبيعتهم البدوية[357]، و لما نُقِّلوا إلى السهول من طرف الخليفة عبد المؤمن انصرفوا إلى الفلاحة ، كما مارسوا نشاطات أخرى خاصة التجارة منها و كان لهم دور كبير في تطورها و رواجها[358] . هذا ما

---

[353]- الزركشي ، المصدر السابق ، ص14 ؛ عبد الحميد خالدي ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومه ، الجزائر ، 2012 ، ص182 ؛ يوسف عابد ، الموحدون في بلاد المغرب ، (515 – 595 هـ / 1120 – 1199م) ، دراسة في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية ، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي ، ج1 ، إشراف : عبد العزيز فيلالي ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، 2007 ، ص28 .

[354]- السلاوي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص208.

[355] – يرجع نسبهم إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر و هو أخو الأثيج و بطونهم : عمر ، علي ، أولاد همان ، و فاوع ، عامر ، سعيد ، مرداس ، خضر ، أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص32-37 .

[356]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص31 .

[357]- مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص187 .

[358]- يوسف عابد ، المرجع السابق ، ص33 ؛ مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص337 .

كان عن بني هلال الذين شكلوا الثقل الكبير للعرب في بلاد المغرب ، غير أن هذا لا ينفي وجود قبائل عربية أخرى نذكر منها عرب المعقل و بنو سليم و عرب الأندلس[359] .

ج– الأندلسيون :

لم يكن السكان الأصليون للأندلس قبل الفتح عرباً و لا بربراً بل كانوا مزيجا من الأقوام الأوربية من نشاكس و جلاقة و قوط و غيرهم[360] ، أما البربر و العرب فكان دخولهم للأندلس عند اتساع مدى الفتوح الإسلامية ، و بعد المواجهات العسكرية الدامية بين المسلمين و النصارى بدأت حياة الاستقرار في أوساط المجتمع الأمر الذي ساهم في تفشي ظاهرة التزاوج بين العنصرين و هذا التزاوج سينتج عنه ظهور عنصر جديد في المجتمع الأندلسي سيكون له دورٌ هام في أوساطه و يتمثل في المولَدِين[361] .

د– الصقالبة :

أطلق الجغرافيون العرب هذا الاسم على الشعوب السلافية في البلاد الممتدة ما بين بحر قزوين و البحر الادرياتيكي غربا[362] ، و قد استعملت هذه الكلمة للدلالة على كل الأسرى و العبيد المجلوبين

[359]– شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص51 – 64 .

[360]– عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص87 ؛ شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص55 .

[361]– إبراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ص43 .

[362]– أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس ، ص197 .

من الأمم المسيحية[363] ، وكان لهؤلاء دور في أعمال القصر و الحراسة و الجيش أسندت لهم مهام أخرى على عهد الموحدين[364].

و– الغز :

و هم جنس من الترك تقع بلادهم في أقصى المشرق على تخوم بلاد الصين[365] ، دخلوا بلاد المغرب بقوة في عهد المرابطين في شكل مجموعات غازية[366] ، لكن المرابطين استطاعوا تسخيرهم كعنصر مهم مكون للجيش و دأب على ذلك خلفاؤهم الموحدون الذين ضموا أعداداً كبيرة إلى جيشهم[367] .

هـ – العبيد :

أطلق عليهم العديد من الأسماء منها عبيد المخزن و عبيد الحرمة و قوقوا و سموا بالسودان لأن معظمهم كان يجلب من بلاد السودان[368] .

و قد كان عبيد السودان أفضل العبيد خدمة لما تميزوا به من قوة و شدة و شجاعة[369]، و هذا ما حمس خلفاء الموحدين على استخدامهم كأفراد في الجيش[370] ، و لم يقتصر العبيد في عهد الموحدين على السودان فقط بل استخدموا الأسرى كذلك كعبيد[371] .

---

[363]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص255 .

[364]– شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص58 .

[365]– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص228 .

[366]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص123 – 140 ؛ القادري بوتشيش ، مباحث ، ص51 .

[367]– ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي ، 524 – 936 هـ / 1130 – 1529 ، دار المعارف ، مصر ، 1985 ، ص151 – 152 .

[368]– البيذق ، المصدر السابق ، ص 53 .

[369]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص154

[370]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص109 .

ي– أهل الذمة :

أطلق هذا الاسم على غير المسلمين الذين يعيشون في بلاد الإسلام ، و الذمة تعني الضمان و الآمان الذي يضمن حقوق الرعايا و يلزمهم بواجبات أيضا[372]، و ننوه هنا إلى أن أغلبهم كانوا من النصارى واليهود الذين شكلوا الطائفة الكبرى من هذه الفئة في المجتمع الموحدي .

1 – اليهود :

يرجع تواجد هذه الطائفة ببلاد المغرب الإسلامي إلى ما قبل الفتح[373] و راحت أعدادهم تتكاثر بمرور العصور شكوا بذلك أحد العناصر الفعالة في المجتمع المغربي و الأندلسي خاصة مع التسامح الذي شهدوه خلال عهد الدولة المرابطية[374] ، أما في عهد الموحدين فإن المراجع الأجنبية و غيرها تجمع على أنهم تعرضوا لاضطهاد كبير خاصة في عهد عبد المؤمن بن علي[375] ، أما من ناحية تمركز هذه الطائفة فنجدها ارتبطت بالحواضر ذات الأهمية التجارية ذلك أن أغلبهم كانوا تجاراً[376] و هذا ما يفسر الثراء في أوساطهم[377] كما امتهن بعضهم الحرف كزخرفة و صناعة الحلي و السروج[378].

2 – النصارى :

---

[371]– القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص49 .

[372]– ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص397 .

[373]– ابن خلدون ، العبر ، ج2 ، ص107 .

[374]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص23 .

[375] -William Caverly , Hosting Dynasties and fars: chroniching the religious history of a Medival Maroccan Oasis City , In partial fulfillment of the requirement for the degree of master Arts , p37

صالح بن قربة ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985 ، ص71 .

[376]– القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص94 .

[377]– مجهول ، الاستبصار ، ص187 – 202 .

[378]– شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص69 .

أُطلق على هذه الفئة العديد من الألقاب و الأسماء ، فقد عرفوا بالروم[379] و الإفرنج[380] و المعاهدين[381] و المماليك[382] ، و سكنت هذه الطائفة بلاد المغرب و الأندلس قبل مجيء المسلمين[383] ، و في عهد الموحدين استعان الخلفاء بهذه الطائفة كمجندين في جيوشهم[384]، كما امتهنوا وظائف أخرى كالصناعة و التجارة و الحراسة ، و قد أُعطي لهم حق بناء الكنائس و المدارس الخاصة بهم ، و ارتبط الموحدون بالنصارى على مستوى مختلف شرائح المجتمع بعلاقات مصاهرة ، كما ارتبطت العلاقة الاقتصادية الموحدية بالدويلات النصرانية منذ حكم الخليفة عبد المؤمن بن علي بمعاهدات تجارية مع بيزا و جنوى و قشتالة و غيرها[385] .

2- طبقات المجتمع

أ- الطبقة المالكة :

كان لقبيلة كومية مكانة خاصة في دولة الموحدين فإليها ينتمي عبد المؤمن بن علي الذي اتخذ منهم وزراء و فقهاء و كتاباً ، و لذلك أصبح للطبقة الحاكمة مكانة مرموقة في مجتمع المغرب الأقصى[386].

ب- الطلبة :

---

[379]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص31 .

[380]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص290 .

[381]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص39 .

[382]- ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج5 ، ص51 .

[383]- جمال أحمد طه ، المرجع السابق ، ص167 .

[384]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص204 .

[385]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص123 .

[386]- البيذق ، المصدر السابق ، ص115 .

أنشأ الموحدون نظاما سياسيا متميزاً باستحداثهم طبقات جديدة في المجتمع منها طبقة الطلبة التي استحدثها المهدي[387] ، و هي الطبقة الممثلة في أصحاب المهدي و قد سموا بالطلبة على أساس تتلمذهم على يد المهدي لنشر مبادئه فيما بعد[388].

وبعد انتشار دعوة الموحدين و مبايعة ابن تومرت بالمهدوية قام بتقسيم أصحابه إلى طبقات[389]هي : طبقة العشرة و عرفوا أيضا باسم أهل الجماعة ، و بعد هذه الطبقة التي كانت بمثابة المجلس الاستشاري تأتي طبقة الخمسين و بعدها طبقة السبعين و هما مجلسان استشاريان يضمان كبار شيوخ القبائل ، و تليها طبقة الطلبة[390] التي حازت على مكانة رفيعة جدا في المجتمع الموحدي و داخل البلاط فقد قدم لهم الخلفاء مرتبات و عطايا جزية[391].

ينقسم الطلبة إلى فرعين ، طلبة الموحدين و طلبة الحضر ، طلبة الحضر هم العلماء الذين كانوا يُجلبون إلى العاصمة مراكش[392] ، وكان لهؤلاء الطلبة شيخ يمثلهم عند الخليفة له مكانة تعادل الوزير[393] ، أما طلبة الحفاظ فهم الذين جمعهم عبد المؤمن بن علي من مختلف القبائل الموحدية و أنشأ لهم مدرسة في مراكش لتعليمهم مبادئ الشريعة و الدعوة الموحدية و الإدارة[394] ، و عندما يتم تدريسهم و تدريبهم توكل لهم مهام في الدولة[395] .

387- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص196 .

388- شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص84 .

389- البيذق ، المصدر السابق ، ص53 .

390- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص331 .

391- ليفي بروفنسال ، مجموعة الرسائل الموحدية ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، 1941، ص10 – 22 .

392- المراكشي ، المصدر السابق ، ص201 .

393- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص410 .

394- محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، ص203 .

395- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص336 .

ج – الفقهاء و العلماء :

تعرض الفقهاء لانتقادات لاذعة من طرف محمد بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية ، بسبب حياة البذخ و الرفاهية التي كانوا يعيشونها[396] و انشغالهم بكسب الأموال و تحصيل المناصب[397] ، و بقيام الدولة الموحدية اتبع ابن تومرت سياسة تقوم على تقليص نفوذ هذه الطبقة ، إلا أنه لم ينجح في مساعيه نظرا للمكانة التي كانت للفقيه بين الناس خاصتهم و عامتهم[398] ، و قد تميز فقهاء تلك الفترة بالموسوعية و التمكن العلمي[399] ، لذلك اجتهد الخلفاء الموحدون على استجلاب أكبر عدد ممكن من الفقهاء و العلماء من مختلف البقاع و خاصة من الأندلس نذكر منهم الفقيه يحي بن رزق من المرية و الفقيه يحي بن أبي الحاج و الفقيه عبد الله سليمان بن دلو و محمد بن خلف المعارفي المالقي و غيرهم[400] ، لكن من الواجب الإشارة إلى أن المعاملة الحسنة لم يحظ بها جميع العلماء و الفقهاء و إنما انحصرت على السائرين على نهج الموحدين الباحثين في عقيدتهم ، أما البقية فعوملوا بقسوة حتى أن بعضهم امتحن و بعضهم خرج من البلاد خوفا من بطش الخلفاء و ظلمهم[401] .

د– طبقة المتصوفة :

عرفت هذه الطبقة ازدهارا كبيرا في عهد الموحدين فقد كانت فترة حكمهم بمثابة الاعتراف الرسمي بهذه الطبقة و رجالها[402] ، و هذا يعود إلى الدور الكبير الذي لعبته في الحياة الاجتماعية في أغلب

---

[396]– ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص245 – 262 .

[397]– القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص146 .

[398]– شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص92 .

[399]– أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري المراكشي ابن عبد المالك ، الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، ج1 ، تح: إحسان عباس ، دار الثقافية ، بيروت ، 1965 ، ص119 –120 .

[400]– شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص93 .

[401]– صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص64 .

[402]– فاطمة الزهراء جدو ، المرجع السابق ، ص130 .

الحواضر ، و كانت تربطهم بالخلفاء و الولاة علاقات متفاوتة غلب عليها رغبة الخلفاء في استمالتهم و احتوائهم [403] ، و تمكن المتصوفة كذلك من كسب تعاطف العامة معهم ، خاصة و أن المتصوفة لعبوا دورا هاما في محاربة الظلم و الطغيان و البحث و الجهاد و تعاطفهم الدائم مع العامة[404] ، و مما زاد في التفاف الناس حولهم حيازتهم للكرامات و الدعاء المستجاب حسب اعتقادهم[405] .

هـ – طبقة أصحاب المهن

1 – التجار

تأتي هذه المهنة على رأس المهن التي مارستها العامة[406] ، فكان التجار على هذا العهد كانوا صنفين ، الصنف الأول عرفوا الصحراء و القوافل و قد شكل هؤلاء حلقة مهمة في المجتمع إذ شكلوا همزة وصل بين الإنتاج و الاستهلاك[407] ، أما الصنف الثاني فهم التجار الصغار الذين اجتهدوا في خلق مكانة لهم في الوسط الاقتصادي و منهم باعة الطعام و الدقيق[408]، و لم تقتصر التجارة كنشاط على شريحة معينة في المجتمع بل شملت حتى الفقهاء و العلماء نظرا لما عرف عن هذه المهنة من إمكانية تحقيق الحياة الكريمة[409] .

2 – الصنَّاع

---

[403]– المراكشي ، المصدر السابق ، ص272 .

[404]– فاطمة الزهراء جدو ، المرجع السابق ، ص136 .

[405]– محمد بركات البيلي ، المرجع السابق ، ص99 .

[406]– جمال احمد طه ، المرجع السابق ، ص163 .

[407]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص246 .

[408]– أبي يعقوب يوسف بن يحيا التادلي المعروف باين الزيات التشوق إلى رجال التصوف ، تح : أحمد التوفيق ، الدار البيضاء ، 1997 ، ص237 – 244 .

[409]– عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ج3، ص663 .

اشتهر أهل المغرب و الأندلس بمهارتهم في الكثير من الصناعات اليدوية[410]، و من هذه الصناعات: صناعة حياكة الملابس القطنية و الصوفية و الكتانية[411] و صناعة الخشب و ما شملته من صناعة الأبواب و الشبابيك و الصناديق[412] ، كما وجد الحدادون و الخبازون و الدقاقون الذين يقومون بطحن الدقيق[413] ، و وجد الصباغون و الصاغة و صانعوا الورق و الجلود و صانعوا السلاح ، و عليه تنوعت الصناعات بقدر تنوع احتياجات الناس فكثرت بذلك الحرف و الصناعات[414] .

3 – الفلاحون

تعد هذه الشريحة من أهم شرائح المجتمع الموحدي فهم من يزود الناس بما يحتاجون إليه من مواد غذائية و لهذا فقد كان عدد العاملين بها كثيراً[415] .

و تنقسم هذه الفئة إلى أقسام هي : ملاكي الأراضي سواء ملكية فردية أو جماعية ، و وجد قسم من المزارعين يستفيدون من الأراضي لفترة معينة[416] و كذلك وجد الخماسون[417] و عرف المزارعون الموسميون الذين يعملون في أيام الحرث و القطف و الحصاد و حفظ البساتين[418].

4– أصحاب المهن المختلفة

و على رأس هذه الشريحة البناؤون الذين كانت مهنتهم رائجة في العصر الموحدي[419] ، كما وجد السقاء و الحمال و الخراز و السكاك و الدلال الذي يعمل وسيطا بين البائع و المشتري و البواب

---

[410]– القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص170 .

[411]– عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص217-218

[412]– شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص109 .

[413]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص48 .

[414]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص347 – 349 .

[415]– شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص110 .

[416]– الونشريسي ، المصدر السابق ، ج8 ، ص152 – 156 .

[417]– نفسه ، ص92-98.

[418]– التادلي ، المصدر السابق ، ص103 .

[419]– حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص332 .

الذي يشرف على أبواب المدن و القرى و القصور ، أما المدن الساحلية فقد وجد بها من امتهن حرفة الصيد[420] .

و- **طبقة العامة :**

شكلت هذه الطبقة أكبر شرائح المجتمع ، و تسموا بالعامة لكثرة أعدادهم و قد كانوا مختلفين عن الخاصة في أغلب الأمور ، عاشت هذه الفئة ظروفاً قاسية و صعبة يمكن استنتاجها من الأوصاف التي أطلقت على هذه الفئة كالأوباش و الرعاع و السفهاء و الأرذال و غيرها[421] ، و كثيرا ما تعرضت هذه الفئة لهجومات حربية تودي بأرواح الآلاف منهم[422] ، و كان عجز هذه الفئة عن تجاوز مشاكلها سببا لاعتقادهم بالفكر الغيبي و المعتقدات الشعبية و ذلك محاولة منهم نسيان الواقع الذي كانوا يعيشونه ، و بسبب عدم الوعي انتشرت في أوساطهم ممارسات بعيدة كل البعد عن الدين كالسحر و الشعوذة و ساد الاعتقاد بالجن[423] ، و امتهن أفراد هذه الفئة من المجتمع العديد من المهن و احترفوا الكثير من الحرف فمنهم التجار و البناؤون و الفلاحون و الصيادون و الرعاة و الدلالون و غيرها[424] .

ي – المرأة :

لم تحظ المرأة الموحدية بالحرية و السلطة اللتين تمتعت بهما المرأة المرابطية[425] ، فابن تومرت صاحب الدعوة الموحدية كان أول من حارب ظاهرة الاختلاط التي كانت متفشية في المجتمع[426] ، و لهذا منحت المرأة في عهد الموحدين حرية محدودة ولم تمارس المرأة أي نشاط سياسي[427] ، و من أهم ما

420- شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص111 .

421- القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص163 .

422-المراكشي ، المصدر السابق ، ص281 .

423- ابن خلدون ، المقدمة ، ص459

424- القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص170 .

425- عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص243 .

426- البيذق ، المصدر السابق ، ص31 .

427- صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص78 .

قام به الموحدون لصالح المرأة هو فرض إلزامية التعليم عليها و هذا ما ساهم في تثقيف المرأة[428] ، فكانت منها الشاعرة و الأدبية و الطبيبة و حتى المتصوفة[429] ، و رغم أن المرأة الموحدية لم يكن لها تدخل في الشأن السياسي ، إلا أن هذا لا ينفي ما كان لها من دور كبير في المجتمع و مكانة مرموقة عند الخلفاء ، فإبنة المنصور كانت تجزل العطايا للمتصوفة[430] ، كما أن زوجته باعت ذهبها و حُلِيَهَا لتزين به مسجدا بناه زوجها[431] ، أما نساء العامة فقد اختلفت أوضاعهن ، و فكنَّ تعتبرن المرأة فتنة تجر الرجال إلى الفساد و الرذيلة[432] ، أما عن أشغالهم فانحصرت أعمال المرأة في البيت من طهي و كنس و سهر على راحة العائلة و منهن من كن تقمن على شؤون عائلاتهن لذلك عملن في الخياطة و الحياكة و الطرز و التجارة[433] و حتى الفلاحة[434] .

نستنتج مما سبق ذكره أن الدولة الموحدية قدمت إضافة كبيرة للمغرب الإسلامي في مراحل تكوينه الحضاري ، فقد تمكنت هذه الدولة من توحيد جل أقطار المغرب الإسلامي ، و من وضع حد للأطماع النصرانية في الأندلس بفضل دورها الجهادي ، فضلا عن الإضافة التي قدمتها في مجال التنظيمات الإدارية و السياسية خاصة منها تلك المجالس الاستشارية التي كان لها بالغ الفضل في تسير دولة مترامية الأطراف من قبيل الدولة الموحدية ، و لا يفوتنا أن نشير إلى الازدهار العلمي الذي بلغ أوجه بفضل خلفائها الذين عملوا على نشره و تشجيع أهله ، كما عرفت الحياة الاقتصادية تطورا هاما ازدهرت معه الزراعة و الصناعة و نشطت التجارة ، غير أن طابع القوة و الازدهار الذي ميز المرحلة الأولى من قيام الدولة لم يحجب تلك العيوب الفتاكة التي ميزت هذه المرحلة ، فعبد المؤمن لم يتوان عن استئثار الحكم بين بنيه و هو ما سيجلب على الدولة العديد من الأزمات ، كما أن الفكر

---

[428]- عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص244 .

[429]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص358

[430]- شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص116.

[431]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص131 .

[432]- الونشريسي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص399 .

[433]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص362 .

[434]- شرقي نوارة ، المرجع السابق ، ص119 .

التومرتي حمل في طياته الكثير من التناقضات و الزلات الشرعية التي ستصبح مستندا لكل ناقم على دولته .

الفصل الثاني

عوامل سقوط الدولة الموحدية

- **تمهيد**

أولا : العوامل السياسية

ثانيا: العوامل الثقافية

ثالثا : العوامل الاقتصادية

رابعا : العوامل الاجتماعية

تمهيد

كانت دولة الموحدين دولة قوية مترامية الأطراف ، استطاعت أن تحافظ على استمرارية وحدة ترابها الممتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والبحر الأبيض المتوسط والأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا ، تحت نظام إداري مركزي موحدي، ذلك أن أنها أصبحت تمثل قوة سياسية فاعلة وترسانة عسكرية ضاربة في غرب البحر المتوسط، في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني من وطأة الحروب الصليبية المدمرة، والهجوم المغولي الكاسح ، والاسترداد الإسباني المطَّرد، فقد كان الموحدون في ذلك الوقت حماة دار الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، وساهموا في رد العدوان الصليبي على بيت المقدس، إلى جانب إخوانهم في الدين من أهل المشرق بجيوشهم البرية، وأساطيلهم البحرية ، إلا أنه و في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، بدأت الأوضاع تتغير على الساحة المغربية والأندلسية بعد أن دبَّت عوامل الضعف إليها .

أولا : العوامل السياسية

1. الصراع الأسري على الحكم

يعد الصراع على السلطة بين أبناء عبد المؤمن من أهم الأسباب التي قوضت دولة الموحدين و حطمت كيانها ، فمنذ تبني عبد المؤمن بن علي للحكم الوراثي في بنيه[435] ، دخلت الدولة في دوامة الصراع العائلي على السلطة من جهة و شعور الإنكار و الرفض للتهميش الذي تعرضت له القبائل التي قامت على أكتافها الدعوة الموحدية من جهة أخرى[436] ، و قد تطور الأمر بين بني عبد المؤمن حتى بلغ درجة الفعل الثوري و ذلك عندما ثار أخوا المهدي عبد العزيز و عيسى عام 548 هـ على عبد المؤمن [437] ، و رغم نجاحه في القضاء على هذه الثورة تعرض عبد المؤمن لمحاولة اغتيال من

---

[435] – ابن القطان ، المصدر السابق ، ص200-207 ؛ مراجع عقيلة غناي ، سقوط الدولة الموحدية ، ط2 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2008 ، ص243 ؛ صادق شاكر محمود ، المرجع السابق ، ص24 .

[436]– أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ص44 ؛ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص8 .

[437] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص51 ؛ أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ص36 .

جماعة هرغة عام 556 هـ و هو عائد من غزو تونس[438] ، الأمر الذي يعكس درجة الاحتقان و الهيجان الثوري التي تسبب فيها باستئثاره الحكم بين بنيه ، فهو بهذا الإجراء نقل الحركة الموحدية من الفكرة التي تستوجب النصيحة و الإخلاص إلى الحكم الوراثي الذي يعكس أعلى درجات الأنانية و الهوى الفردي للحكم الأمر الذي سيجلب على الدولة سلسلة غير منقطعة من الثورات و الفتن التي أضعفتها مع مرور الزمن .

و من جهة أخرى واصل عبد المؤمن أخطاءه الفتاكة بكيان دولته عندما أقدم على خلع ولي عهده محمد بحجة سوء سيرته[439] ، ما فتح الباب على مصراعيه أمام نزاع سلطوي في هرم القيادة لأن الالتزام الأخلاقي الذي ينظم عملية التداول السلمي على السلطة و المتمثل في انتقال الخلافة إلى الابن الأكبر فيما يسمى "ولاية العهد" قد انتفى بفعل عبد المؤمن و هذا ما سيصبح حجة لكل طامع في السلطة ، و الشاهد ما حدث فعلا عقب كل استخلاف أو اختيار للخليفة فما إن توفي عبد المؤمن حتى عمد ابناه عمر و يوسف – الشقيقان – إلى عزل أخيهما – غير الشقيق – محمد و تنصيب الثاني مكانه ، وهو ما لم يرحب به أخواه أبو حفص والي قرطبة ، وعبد الله والي بجاية ، كما تخلف عن بيعته أبو حفص عمر الهنتاني ، ولم يتسن ليوسف التسمي بأمير المؤمنين ، إلا بعد خمس سنوات من اعتلائه الحكم[440] ، الأمر الذي كاد أن يؤدي إلى صراع دموي ، وعندما خرج المنصور لافريقية لإخماد ثورة بني غانية طمع أخوه أبو حفص في مرسية و عمه سليمان في بلاد صنهاجة[441] في افتكاك السلطة ، و منذ وفاة المستنصر[442] بن الناصر بدأ هذا الصراع ينحو منحا دمويا انسلخ من كل المعاني الأخلاقية و القيم الأساسية في قيام الدول و أصبح من المعتاد أن يتولى الخلافة أكثر

---

[438] – عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص303 .

[439] – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص163 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحين ، ص83 .

[440] – ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص170 – 171 ؛ بولطيف ، المرجع السابق ، ص366 .

[441] – عبد الواحد المراكشي ، المرجع السابق ، ص254 .

[442] – هو أبو يعقوب بن يوسف بن عمر بن يوسف بن عبد المؤمن ، بويع بالخلافة و عمره لا يتجاوز عشر سنوات ، و دامت خلافته عشرين سنة ، توفي سنة 620هـ ، أنظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص265 .

من خليفة و تحالف بنو عبد المؤمن مع قبائل الموحدين و العرب و حتى أعدائهم من النصارى ضد بعضهم بعضاً[443].

فبعد وفاة المستنصر تولى السلطة عبد الواحد المخلوع[444]في مدينة مراكش و العادل[445] ابن منصور والي مرسية[446] و بالطبع فإن الخليفتين لم يتفقا و قام بينهما صراع عسكري للاستيلاء على مراكش عاصمة الدولة في نفس الوقت ظهر مطالب ثالث بالخلافة هو عبد الله البياسي بالأندلس و حاول التحالف مع النصارى من اجل الاستيلاء على السلطة ، و تمكن العادل من تثبيت خلافته ، غير أنه لم يلبث أن اغتيل ، و بعد وفاته طالب بالخلافة شخصان هما يحيا بمراكش و أبو العلاء إدريس[447] و انتهى هذا الصراع باعتلاء إدريس للسلطة [448] .

ساهم هذا الصراع و بقسط وافر في إسقاط هيبة الخلفاء في نظر من حولهم من المتحرقين إلى السلطة و سهل عليهم إقامة مراكز قوة في قمة الحكم تولي من تشاء و تعزل من تشاء وفقا لما تمليه مصالحها لا مصالح الدولة العليا ،كما استنزفت الكثير من مقدرات الدولة العسكرية بسبب الحروب التي نشبت بين مدعي الخلافة و هو ما يفسر التهاوي السريع للدولة في أخر عهدها و عجز الخلفاء عن إدارة حتى شؤون قصورهم.

---

[443] – ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص244 ؛ حركات ، المرجع السابق ، ج1 ، ص287 ؛ عز الدين عمر أحمد موسى ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الشروق ، بيروت ، ص 83 .

[444] – هو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بويع سنة 620 هـ ، خلع نفسه قبل أن يخنق في مؤامرة دبرت له ، دامت خلافته ثمانية أشهر فقط ، أنظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص269 .

[445] – أبو محمد بن المنصور بويع البيعة الأولى بمرسية منتصف سنة 621 هـ ، اضطربت أحوال المغرب في عهده ، مات مقتولا في مؤامرة دبرت له سنة 624 هـ ، أنظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص269 .

[446] – مدينة أندلسية بناها الأمير عبد الرحمان بن الحكم سنة 216 هـ و هي مدينة تقع على نهر كبير تتميز بكثرة الأشجار مزدهرة العمران و الصناعة ، انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص181 .

[447] – هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بويع بالخلافة سنة 624 هـ بإشبيلية ، دامت خلافته خمس سنوات ، توفي سنة 629 هـ ، أنظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص284 .

[448] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 265 – 274 ؛ روجيه لي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ص106 – 107 .

2. ضعف الخلفاء المتأخرين

تولى خلافة الدولة الموحدية في طور انحلالها أشخاص صغار السن لم يبلغ بعضهم حتى سن الحلم[449] ، في الوقت الذي كانت فيه الدولة بأمس الحاجة إلى من يعيد إليها هيبتها ، و لسوء الحظ أن هؤلاء لم تكن لديهم فكرة واضحة عن المسؤولية و عن الأخطار التي تحدق بدولتهم سواء من الداخل أو الخارج مما جعلهم عرضة للمؤامرات الداخلية التي أودت بحياة الكثير منهم و المؤامرات الخارجية التي هزت كيان دولتهم ، بالإضافة إلى ذلك انهمك أغلبهم في الترف و الملذات ، و التدليل على ذلك ما كان عليه الناصر[450] من انغماس في الملذات و الملاهي[451] ، أما المستنصر فلم يخرج من حضرته طول خلافته إلا لزيارة تنملل و كان مولعا بانتجاع الخيل و البقر[452]، أما المرتضى فقد كان ميالا للدَّعة و المسالمة و مولعا بسماع الغناء ليلا نهارا[453] ، و عليه أصبح بيت بني عبد المؤمن خاليا من رجل كفؤ قادرا على إدارة شؤون الدولة[454] و الخروج بها من واقع التأزم المتزايد بل يمكن الجزم على أنهم تسببوا بقدر وافر في إسقاط دولتهم بأنانيتهم و عدم مسؤوليتهم بالحكم و تهميشهم لبقية عناصر المجتمع التي كانت تحوي كفاءات إدارية أكثر منهم موهبة و قدرة على التسيير ، و بصراعهم على السلطة و ابتعادهم على مبادئ الدعوة الموحدية التي اتخذت من ظلم الأمراء المرابطين أساسا هاما لدعوتهم إلى التغيير ، غير أن الخلفاء المتأخرين يبدو أنهم لم يحسنوا تجنب الوقوع

---

[449]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص404 ؛ حركات ، المرجع السابق ، ج1 ، ص281 .

[450] – أبو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، ولد سنة 576 هـ ، دامت خلافته خمس عشر سنة ، و في عهده حدثت واقعة العقاب 609 هـ التي انهزم فيها المسلمون في الأندلس ، و توفي سنة 610 هـ، أنظر : عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 254 .

[451] –الصلابي ، المرجع السابق ، ص229 . الجيلالي شقرون ، أوضاع المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري ، www efustat.blogspot.com ، ص1

[452] – حركات ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 287 – 288 .

[453] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص440 .

[454] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي ، ج3 ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1414 – 1994 ، ص 20.

في هذا الشرك الذي تسبب في تحطيم دولة المرابطين ، إضافة إلى ذلك لم تكن هناك شروط لتولي منصب الخلافة في بني عبد المؤمن ما جعل هذا المنصب الحساس عرضة لكل متطفل طامع في السلطة و هذا ما نفسر به وصول شخصيات ضعيفة و رخوة إلى السلطة[455] ، الأمر الذي يدل على أنه من أهم أسباب انهيار الدولة .

3. تسلط أشياخ الموحدين على الدولة

مثل أشياخ الموحدين هيئة استشارية هامة في دولة الموحدين ساعدوا الخلفاء في تصريف شؤون الحكم و ظلت هذه الهيئة على وفاء عظيم للخلفاء الأوائل ، غير أن ضعف الخلفاء المتأخرين مهد الطريق أمام هذه المجموعات للسيطرة و التسلط على مقدرات الدولة و التحكم في سياستها و توجيهها وفقا لما تقتضيه مصالحهم ، و رغم محاولة الخليفة الناصر الحد من نفوذهم عندما نكبهم و قتل منهم جمعا كثيرا قبل موقعة العقاب[456] لم يفلح فيما كان يصبو إليه فقد تقاعسوا في محاربة النصارى في هذه معركة الحاسمة ، ما يعد سببا من أسباب الهزيمة الفادحة التي تعرض لها المسلمون في الأندلس[457] ، كما تآمروا عليه و دبروا قتله بعد ذلك[458] ، و منذ وفاة الناصر استبد هؤلاء بالحكم فرفعوا من الخلافة من شاءوا و خلعوا من كرهوا و قتلوا من أرادوا و هذا ما حدث فعلا مع عبد الواحد بن يوسف الذي بايعوه ثم خلعوه و قتلوه ، و لما نقموا على العادل كذلك خلعوه ثم قتلوه[459].

---

[455] – عز الدين عمر موسى ، دراسات ، ص151 .

[456] – دارت هذه المعركة بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدي ، وبين الجيش المسيحي الإسباني بقيادة ألفونسوا الثامن بموضع يعرف في المصادر العربية باسم العقاب نسبة إلى حصن قديم ينسب إلى الامويين وفي المصادر الإسبانية las navas de tolosa الذي يعني الوديان الفسيحة وقد وقعت في أحد الوديان وانتهت بانتصار الأسبان، أنظر: ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 238 –239 ؛ الجيلالي شقرون ، المرجع السابق ، ص 1.

[457] – ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص240 .

[458] – ابن خلدون ، العبر، ج6 ، ص 336.

[459] – ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 241 – 243.

و لعل من أخطر ما قام به أشياخ الموحدين تذكية النزاع داخل الأسرة الحاكمة — و في هذا الصدد – يبرز الدور الذي لعبوه في تأليب العادل على عبد الواحد المخلوع[460] ، كما أن هؤلاء لم يتورعوا حتى في تدبير المكائد و الدسائس لبعضهم البعض من أجل الحكم و التنفيذ و قد وصلت حدة هذا الصراع لتشمل حتى أبناء القبيلة الواحدة ، و حسبنا هنا أن نشير إلى أبناء بني حفص الهنتاني الذين عَادَ بعضهم بعض وكان كل فريق يفعل ما بوسعه من أجل إبعاد خصمه عن القيادة[461].

إن التدخل دون أي شرط أو قيد في شؤون الحكم من طرف الأشياخ و تحريكهم للخلفاء وفقا لمصالحهم زاد الوضع سوءاً و جعل الحفاظ على الاستقرار أمرا مستحيلا[462].

و الظاهر أن هؤلاء لم يتوقفوا عند هذا الحد بل ذهبوا إلى ما هو أخطر من ذلك عندما استعانوا بفئات المجتمع ضد بعضها البعض من أجل تثبيت سلطتهم و هو الأمر الذي أفضى إلى انهيار في السلطة و انقسام عميق داخل المجتمع[463] .

4. تفشي ظاهرة الفساد الإداري

كان للوضع السياسي المتأزم الذي عاشته السلطة الحاكمة في طور انحلالها دورٌ بارزٌ في استبداد الولاة بأقاليمهم وانفصالهم نهائيا عن مراكش و مع توالي هزات الدولة و تزايد ضعفها أصبح من الطبيعي أن تسمع عن محاولة السادة من بني عبد المؤمن الاستقلال بولايتهم كما فعل مع السيد أبو

---

[460] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 269 ؛ 207 ؛ روجيه لتورنو ، حركة الموحدين ، ص106 – 107 ؛ حركات ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 298 .

[461] – الحميري ، المصدر السابق ، ص70 .

[462] – عز الدين عمر موسى ، الموحدون في المغرب ، ص 176 ؛ خالد بلعربي ، التطور السياسي ، و الحضاري لدولة بني عبد الواد 633- 681 هـ / 1235- 1282 م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، إشراف : عبد الحميد حاجيات ، جامعة الجيلالي اليابس ، بلعباس ، 2003 – 2004 ، ص41 .

[463] – أمبرو سيو هويثي ميرندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ط1 ، تر : عبد الواحد أكمير ، النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،2004 ، ص 505.

زيد البياسي في بلنسية عام (621 هـ - 1224م) و أخو عبد الله البياسي في قرطبة عام (623هـ - 1226م)[464] ، و أبو يعلي ابن إخلاص البلنسي في سبتة (640 هـ- 1242 م)[465] ،كما تمرد الحفصيون في إفريقية بزعامة شيخهم أبي محمد بن الشيخ ابن أبي حفص على المستنصر بحجة صغر سنه[466] .

و مما زاد في تفكك أواصل الدولة ظهور ما يسمى بإمرة الاستيلاء ، فكثيرا ما كان يستقل الوالي بولايته ثم يقره الخليفة المغلوب على أمره على ذلك ، و من مظاهر الفساد الإداري المتفشي في أجهزة الدولة تسلط الوزراء و العمال بالإدارة و الحكم و أصبحوا هم الموجهين الفعليين للإدارة و من ذلك استبداد الوزير أبو سعيد ابن جامع على دولة الناصر و إفساده لنية الجند في موقعة العقاب و كانت تلك المعاملة من أهم أسباب الهزيمة[467] ، وبلغت درجة تسلط الوزراء بالإدارة إلى إبرام المعاهدات و عقد الاتفاقيات بعد أن كانت من صلاحيات الخليفة وحده[468]، و أصبح لكل من ملك قلب الخليفة نصيب من الحكم و في هذا الصدد يقول ابن عذاري عن يحي ابن الناصر " و كان المتولي على باطن يحيا و الحاجب له و الناظر عليه و الكافل لأموره و الضابط لنفقاته و المرجوع إليه في مصالحه و داره و حرمه و مملكته فتى اسمه بلال يكنى أبي حمامة"[469]

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد دب الفساد بشكل جلي في عهد الناصر بين هياكل الدولة و أصبح واضحا فساد العمال و الولاة الذين استأثروا بالامتيازات باختلاف أشكالها و استولوا على الأموال بغير حق ، بل إننا نرى أحداث فساد تمس الجهاز القضائي للدولة في الصميم إذ يظهر

---

[464] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص270 .

[465] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 360.

[466] – ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 373.

[467] – عز الدين عمر موسى ، دراسات ، ص 32 ؛ مراجع عقيلة ، سقوط الدولة الموحدية ، ص 242 ؛ الجيلالي شقرون ، المرجع السابق ، ص 1

[468] – ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 331 .

[469] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 236 .

التهاون في المظالم و تدخل العمال و من يدور في فلكهم في قرارات القضاء و تأثيرهم في سير الأحكام ، ففي اشبيلية تَبَسَطَ حواشي السيد أبي إسحاق بالمظالم و أعفى عنهم وتغافل عن زلاتهم و تفشى ذلك بين العام و الخاص[470] .

ورغم أن الدولة الموحدية سلمت من تدخل النساء في شؤون الدولة لفترة زمنية طويلة، دخلت حبابة الرومية على الخط و عملت على تثبيت بيعة ابنها الرشيد[471] و دفعت من أجل ذلك أموالا لكبار القادة لاسيما من أبناء جنسها من الروم و أغلب الظن أنها كانت تسيِّر دفة الأمور في عهد ابنها[472] .

5. كثرة الثورات و التمردات

حَفِلَ تاريخ الدولة الموحدية بالفتن و التمردات و الثورات فلم يَخلُ قطر ولا عصر في هذه الدولة من هذه الفتن التي اعتبرت العامل الأساسي في سقوط الدولة ، و يرجع هذا الكم الكبير من التمردات إلى السياسة التي اعتمدها بنو عبد المؤمن الذين أوغلوا في الظلم و سفك الدماء و الاعتداء على حرمات الناس و الاستئثار بالحكم و تهميش غيرهم ، و قد أدى ذلك إلى اتساع نطاق الثورات و تعدد ضرباتها على الدولة ، بالإضافة إلى ذلك يلاحظ المتتبع للأحداث التاريخية لهذه الدولة أن هذه الثورات لازمتها منذ نشأتها الأمر الذي شكل عبئاً استنزف طاقتها منذ نشأتها ، و من ذلك ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي سنة (541 هـ - 1147م)[473] و حركت هذه

---

[470] – مراجع عقيلة ، سقوط الدولة الموحدية ، ص 242 .

[471] – هو عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، تولى أمر الموحدين في 630هـ ، توفي غريقا في 640هـ ، أنظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص300، عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص418 ، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص254.

[472] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 300 .

[473] مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص 146 ؛ ابن خلدون ، العبر ،ج6 ، ص 232 .

الدولة قبائل دكالة و برغواطة التي ثارت بتأييد من الجيوب المرابطية كما انتفض القاضي عياض في سبتة (543هـ - 1148م)[474] .

و بعد ولاية يوسف بن عبد المؤمن اندلعت ثورات عارمة في جبل غمارة و اتسعت هذه الثورات لتشمل بلاد صنهاجة و لم يتم القضاء على هذه الثورات إلا بعد جهد جهيد سنة (562هـ - 1167م)[475] .

و قد كانت طبيعة المغرب القاسية و تضاريسه الوعرة و اتساع مساحة الدولة عاملا هاما في صعوبة التحكم في الدولة أمنيا و دافعا قويا لاستمرار هذه الثورات و تزايدها هذا و شكلت طبيعة المغرب العرقية و تركيبته الثقافية مناخا صالحا لذوي الطموحات السياسية .

و رغم سقوط دولة المرابطين فإن فلولهم لم تدخر جهدا في إثارة النزاعات و الحروب ضد الموحدين ففي الأندلس اتخذوا ميورقة مركزا لعملياتهم الثورية[476] و تحالفوا مع بني غانية و دعموا ثورتهم و استولوا على بعض المدن [477] .

أما الأغزاز فسيطروا على طرابلس بقيادة قراقوش[478] و تحالفوا مع عرب رياح و دياب في سنة (581 هـ - 1185م) و سيطر الأغزاز على بلاد الجريد و امتدت سيطرتهم حتى مصر[479] .

---

[474] - ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 190 .

[475] - ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 231 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 95 .

[476] .- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 342 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 157 .

[477] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 177 .

[478] - غلام مملوك للملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، انظر : جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج2 ، تح : حسين محمد ربيع ، مراجعة : سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتاب و الوثائق القومية ، مصر ، ج1، ص236 ؛ التيجاني ، المصدر السابق ، ص 111

[479] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 177 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 322 .

و إن كان هذا هو حال المغرب أيام قوة الدولة و قدرتها على ردع الثورات و التمردات فلا ريب أن الثوار وجدوا فرصتهم مع مرحلة الضعف السياسي و الإداري و العسكري خاصة و أن ثورات هذه المرحلة اتسمت بالقوة و الشمول .

و من أهم و أعنف ثورات هذه المرحلة ثورة بني غانية[480] الذين حاربوا الموحدين بكل ما أوتوا من قوة و استمرت ثوراتهم لمدة خمسة عقود متتالية كانت حروبهم فيها ضد الموحدين طاحنة[481] ، و قد خلقت هذه الحروب خرابا و دمارا ألحق بالمدن و العمران الموحدي في كافة بلاد المغرب و افريقية خاصة ، و ساهمت هذه الحركة في تشتت المجتمع الموحدي و تدهور الاقتصاد نتيجة النفقات الكبيرة المستمرة على الجيش لمواجهتهم كما ساهمت هذه الثورة في تفكيك الدولة التي أرهقت بسبب الحروب المتواصلة معهم[482] .

كما عرف الأندلس إحدى أكبر و أعنف الثورات ضد الموحدين و التي ساهمت في تقويض نفوذهم في هذا القدر ، و هي الثورة التي قادها محمد بن مردنيش و التي دامت قرابة ربع قرن لم يتوان فيها في محاربة الموحدين و التحالف حتى مع النصارى من أجل ذلك و قد أدت هذه الحركة إلى ضياع عدة مدن شرق الأندلس كألمرية و افراغة و سرقسطة[483] ، هذا و أدت حركة ابن مردنيش إلى زعزعة هيبة الدولة و مكانة الموحدين و سلطانهم في نفوس النصارى ، كما استنزفت الكثير من جهود

[480]– ينسبهم المؤرخون إلى أمهم غانية من العائلة المرابطية الحاكمة، امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس واستقلوا بها ، ثم أنكروا ولاءهم للموحدين ، و قاد أفراد من هذه العائلة ثورات ضد الموحدين ، انظر : عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 267 ؛ ابن خلدون ، ج6 ، ص 314 .

[481] – الصلابي ، المرجع السابق ، ص 224 ؛ الجيلالي شقرون ، المرجع السابق ، ص 1 ؛ أنظر : الملحق ، ص161 .

[482]– التيجاني ، المصدر السابق ، ص300– 303 ؛ غرداين مغنية ، الحركات المناوئة للموحدين في المغرب الأندلسي ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : لخضر عبدلي ، جامعة تلمسان ، 2009 – 2010 .

[483]– عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ج2 ، ص 52 ؛ غرداين ، المرجع السابق ، ص 112 .

الموحدين مالا و جنودا و زمنا[484] ناهيك عما تخلفه الحروب عموما من خسائر بشرية وآثار نفسية و أوضاع اجتماعية و اقتصادية مزرية .[485]

6. الأطماع الانفصالية

شكلت الأطماع الانفصالية ضغطا متزايدا كبيرا على الموحدين خاصة وأن هذه الأطماع لم تكن مقصورة في قطر دون آخر بل تميزت بالعموم الجغرافي والشعبي الأمر الذي أدى إلى استنزاف طاقات الدولة التي أنهكت أصلا بفعل ضعف الخلفاء وتسلط السادة الأشياخ وتعدد الضربات الثورية بالإضافة إلى الهزيمة النكراء التي تعرضت لها الجيوش الموحدية في معركة حصن العقاب (609 هـ . 1212م) التي كرست التفوق السياسي و العسكري للنصارى في شبه الجزيرة وأصبحت النقطة الفارقة لتهاوي القوة الموحدية وأذكت شعور الحماس في صفوف النصارى الذين واصلوا ضرباتهم للموحدين بقيادة الفونسو الثامن[486] الذي سيطر على عدة حصون ومدن أندلسية [487].

كان شرق الأندلس السباق للانفصال عن الموحدين بقيادة ابن هود(625هـ - 1228م) فاستولى على مرسيه ثم شاطبة و دانية و جيان و مردة و بطليموس سنة(626هـ -1229م) ، و في نفس السنة طرد أهل قرطبة و اشبيلية الموحدين و بايعوا ابن هود كما أطاعته غرناطة و مالقة و المرية[488] .

---

[484]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 171 – 173 .

[485]- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 88 .

[486]- ملك قشتالة و يلقب بألفونسو النبيل ، ورث عرش قشتالة عن أبيه سانشو و عمره لا يتجاوز أربعة عشر سنة في 1169م ، تميز بعدائه الشديد للمسلمين و رغبته الجامحة في غزو أراضيهم و دوره الكبير في تنشيط و تنظيم حركة الاسترداد ، أنظر : عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص587-588 .

[487] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 278 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص251 .

[488]- محمد الهادي القرقوطي ، جهاد الموحدين بالأندلس ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص 255 – 256 ؛ Leon Geley , l'Espagne des Goths et des Arabes , librairie léopold CERF, Paris,1882 , p 124.

و ثار محمد بن يوسف بن الأحمر[489] بأرغونة و اتسع نفوذه في الأندلس فما إن حلت سنة (636 هـ - 1239م) حتى سيطر على جنوب الأندلس[490] ، و قبل ذلك انفصل أبو جميل ابن زيان مردنيش ببلنسية و طرد الأمير الموحدي أبا زيد عبد الرحمان في (626هـ - 1229م)[491] .

و في المغرب لم يختلف الحال على ما هو عليه في الأندلس , حيث ظهرت قوى إقليمية متنامية تمثلت في الحفصيين[492] بقيادة أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي في افريقية و الذي توسع على حساب عدة مدن أهمها تونس و بجاية و قسنطينة[493] ، أما المغرب الأوسط فقد عمل بنو عبد الواد بهدوء و ذكاء سياسي لإنشاء كيان سياسي مستقل عن الدولة الموحدية [494] بقيادة يغمراسن بن زيان[495] ، و في المغرب الأقصى استطاعت قبيلة بني مرين أن تتغلغل إلى الجنوب و تسيطر عليه ثم

---

[489]- سليل بني النصر ولد بأرغونة (591 هـ - 1195م) ، كان جنديا وافر الجرأة و العزم يقود قومه إلى مواطن النضال و الجهاد ، لقب بابن الأحمر لشقرة شعره ، انظر : ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 262 ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 99 – 100 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 447 .

[490]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص292 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 255 .

[491]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 289 ؛ السلاوي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 235- 236.

[492]- نسب الحفصيون الى أبي حفص عمر بن يحي بن محمد و هو من قبائل هنتانة البربرية ، كان لشيخهم عمر دور كبير في نجاح دعوة ابن تومرت ، انظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 371 ؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع ، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح : الطاهر بن محمد المعموري ، الدار الغربية للكتاب ، ص 48 .

[493]- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 312 ؛ محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية التاريخ السياسي و دورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1406 – 1987 ، ص 122 ؛ Dhina atallah,les états de l'occident musulman aux 12/13 siecles ,o,p,u,Alger , p37

[494]- فرع من فروع زناتة البربرية استوطنت المغرب الأوسط مابين تهرت إلى ملوية ، انظر : ابن خلدون ؛ العبر ،ج7 ، ص 98

[495]- ولد يغمراسن سنة 603هـ/ 1206م، ولي وبويع يوم توفي أخوه أبو عزة سنة 633هـ /1236م، وكان معروفا عند قومه بدهائه السياسي وشجاعته وحزمه وحصافة رأيه، ومكارم أخلاقه وإيثار ذوي الفضل والعلم، حيث قال عنه ابن خلدون:"كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس، مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيلته وأقواهم كاهلا، اشتهر بسداد التدبير وقو ة العزيمة معظما عند الخاصة والعامة، يرجعون إليه في كل الأمور عندما تداهمهم النوازل والنوائب والعوادي"، أنظر : ا بن خلدون ، العبر، ج7، ص 162 ؛ يحيا ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بن الواد ، ج2 ، تح: عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، 1981 ، ص84.

شقت عصا الطاعة عن الموحدين مستغلة ضعفهم وتهاوي سلطانهم وخاضت معهم معارك طاحنة كانت الغلبة فيها للقائد المريني عبد الحق بن محيو[496] .

شكلت هذه الحركات الانفصالية عامل ضغط على قوات الموحدين المصدومة و المهزومة نفسيا بعد واقعة العقاب ، لذلك يظهر جليا عدم قدرة الجيش على ردع الطامعين في الانفصال ، بل يلاحظ تهاوي المدن الموحدية أمام الطامحين إلى الانفصال في كل أقطار المغرب الإسلامي ، و عليه يمكن القول أن هذه الحركات الانفصالية كانت ضربة قاصمة للجيش الموحدي الذي استنزف كليا و لم يعد قادرا على حماية الخلفاء حتى في قصورهم و أسفارهم ، و من جهة أخرى شكلت النجاحات التي حققها بعض الانفصاليين محفزا لكل طامع في الانشقاق عن السلطة المركزية في مراكش كما أدت هذه الحركات الانفصالية إلى تقلص فاضح في مساحة الدولة تمهيدا لسقوطها نهائيا .

7. تهاوي القوى الحربية

لا شك أن الجيش الموحدي ظل سر التفوق الأول الذي عرفته الدولة طيلة عقود من الزمن و تعزى هذه القوة أساسا إلى درجة الاستعداد و التعبئة ، و روعة الضبط و دقة الخطط وضعا و تنفيذا ، غير أن هذا الجيش بدأ يفقد الكثير من بريقه و قوته و عوامل صلابته خاصة في عهد الناصر حيث بدأ في مسار عكسي سريع نحو التهلهل و الضعف ، تجسد ذلك في معركة حصن العقاب التي مني فيها بهزيمة عظيمة أظهرت درجة التفكك و الانحلال التي بلغها الجيش الموحدي و هو ما تدل عليه

---

[496] – هو أبو محمد عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة ، تولى رئاسة بني مرين بعد وفاة أبيه ، ولعب دورا كبيرا في جمع قبائل بني مرين و الثورة عليهم و التوسع على حساب أراضيهم ، أنظر : ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، ط2 ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972 – 1992، ص32 ؛ هوارية بكايبي ، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا و ثقافيا ، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في التاريخ الإسلامي ، إشراف : بودواية مبخوت ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2007-2008 ، ص30 .

هزائمه المتتالية أمام بني مرين[497] ، و فشله في القضاء على ثورات السوس و انهزامه في واقعة بني بهلول في (653 هـ - 1255م)[498] .

ولما ثار أبو دبوس[499] على المرتضى و ادعى الخلافة و دخل مراكش في(665 هـ - 1266م) ، لم يجد المرتضى[500] من الجند من يرد به هذا العدوان[501] .

و يبدو أن ضعف مبادئ الموحدين في نفوس الجيش الموحدي كان له دور كبير في ضعف الجند الذين أصبح همهم الأوحد جمع الغنائم وليس القتال في سبيل المبادئ التي قامت عليها الدولة و الدليل وجود بعض الولاة الذين استخدموا الجند النصراني في استعباد الأهالي و ابتزاز الأموال أيام المرتضى[502] .

كما كان تزايد أعداد المرتزقة من العرب و الروم و العبيد[503] في الجيش كارثة أصابت أركانه في أهدافه و نظامه إذ لم يهم هؤلاء سوى السلب و النهب و اكتساب الأموال ، إضافة إلى ذلك لم

---

497 – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 407 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 98 – 99 ؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 60 .

498– معركة بين الخليفة الموحدي المرتضى و الأمير أبو يحيا بن عبد الحق انتهت بانتصار المرينيين وقعت المعركة في موضع يدعى بني بهلول ، انظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 407 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 348 .

499– اسمه أبو يعلي و لقبه أبو دبوس ابن السيد أبي عبد الله محمد بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن انتفض في 665هـ – 1266 م على المرتضى و اضطره إلى الفرار من قصره ، أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 851.

500 – هو عمر ابن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ، ولي الخلافة بعد السعيد سنة 646 هـ ، أنظر : ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص256 .

501– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 438 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 351 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 306 .

502– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 410 ؛ روجيه لتورنو ، حركة الموحدين ، ص 111 ؛ عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص182 .

503– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 160- 161 ؛ مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص 101 .

تعرف هذه العناصر نظاما ولم يتقيدوا بأوامر[504] فتحول الجيش إلى كتلة من الجماعات غير المتجانسة ، فأصبحوا بذلك النواة الأولى لظهور التمردات داخل الجيش ، و قد كانت للنزاعات داخل الأسرة الحاكمة و التكتلات التي شكلها الأشياخ سوق رابحة لتلك العناصر ، ففي كل حرب أو فتنة كان لهم دور بارز فيشايعون هذا أو ذاك متوخين بالدرجة الأولى مصلحتهم المادية و لم يتورع هؤلاء حتى على بيع قادتهم مقابل المال و الجاه و هذا ما فعله الخلط[505] مع السعيد[506] و عرب المعقل[507] مع يحي بن الناصر[508] .

أما الروم فتركوا المرتضى في عز الأزمة عندما عجز عن توفير متطلباتهم و شايعوا أبا دبوس[509] .

و ثمة عامل آخر يمكن اعتباره من أهم أسباب انهيار الجيش و يتمثل في هزيمة العقاب التي أفقدت الجيش الموحدي جزءاً كبيراً من ركائز قوته و أثرت عليه تأثيرا نفسيا عميقا أذكى في صفوفه شعور الانهزام و الخوف و الفتور و الاستسلام[510] .

---

[504]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 507 – 508 ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 297 ؛ خالد بلعربي ، المرجع السابق ، ص 42 .

[505] – ويعرفون ببني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب الهلالين ، موطنهم الأصلي البحرين و غمارة ، كان أول نزول لهم بالمغرب في إفريقية ثم زحفت إلى المغرب الأقصى بأمر من المنصور في بسطاء تامسنا ، أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6، ص40 .

[506]– هو علي بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، تولى أمر الموحدين في 640هـ ، قامت في عهده قبائل بني مرين في الجنوب و استولت على جل أرضيه ، و أعلن يغمراسن بن زيان انفصاله عن الدولة الموحدية ، وتسمى محمد المستنصر والي إفريقية بأمير المؤمنين ، توفي أثناء حصاره لتلمسان في 646هـ، أنظر : ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 359 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 397 ؛ روجيه لوتورنو ، حركة الموحدين ، ص 111 .

[507] – من عرب اليمن التي هاجرت إلى المغرب ، وهي من أوفر القبائل العربية ، موطنهم بقفار المغرب الأقصى و ينتهون إلى البحر المحيط من الجانب الغربي ، وهم ثلاثة بطون : ذوي عبيد الله و ذوي منصور وذوي حسان ، أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص77 .

[508] – ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 342 .

[509] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 434 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 351 .

و لم يكن الأسطول الموحدي بأحسن حال من الجيش ، فلقد كان الأسطول خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي أكبر قوة ضاربة في البحر المتوسط حتى إن صلاح الدين الأيوبي استنجد به ضد الصليبين أيام المنصور[511] ، لكن و منذ مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي أصاب هذا الأسطول الإهمال و دب إليه الهُزال ، فقد تعرضت الشواطئ الموحدية لهجمات الجنويين الذين أحكموا قبضتهم على سبتة عام(632 هـ – 1235م) و لم يقلعوا عنها إلا بعد أن صالحهم أهلها بالمال[512] ، و لقد أغرى ذلك فرديناند الثالث[513] ملك قشتالة فزحف إلى المغرب و أحرز نصرا على الأسطول الموحدي سنة (649 هـ – 1251م) و في سنة (658 هـ – 1260م) و دخل القشتاليون إلى سلا و خربوها ولم يستطع إخراجهم منها إلا المرينيون[514] ، و يبدو أن الدولة فقدت أسطولها نهائيا في عهد السعيد ففي سنة (645 هـ – 1248م) عندما أراد استرداد بلاد افريقية من الحفصيين ، فطلب من ملك صقلية أن يزوده بالأجفان إذا وصل إلى البلاد الشرقية[515] .

و مما زاد من تدهور وضعية الأسطول الموحدي فقدانه لأهم دور صناعة السفن بخروج سبتة عن سيطرته في (629 هـ-1232م) ، و بجاية منذ (627 هـ – 1230م)[516].

---

[510]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 384 ؛ محمد المنوني ، الإمبراطورية الموحدية في طور الانحلال ، مجلة دعوة الحق ، العدد : 02 ، الرباط ، 1964 م ، ص 54 .

[511]– ابن واصل ، المصدر السابق ، ص 506 ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص 107 ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 150 ؛ ابتسام خلف الله ، المرجع السابق ، ص 150.

[512]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 254 .

[513] – هو فردناند بن ألفونسو التاسع ملك ليون ، تولى حكم قشتالة في 1227م ، من أبرز ما ميز حكمه ضمه لمملكة ليون في 1230م ، و تسخيره لكل الموارد و الجهود من أجل مواصلة حروب الاسترداد ، أنظر : عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص597 .

[514]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 420 ؛ ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ص 307 .

[515]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 380 .

[516]– عز الدين عمر موسى ، دراسات ، ص 97 – 98 .

إن مظاهر الانتكاس و الضعف التي أصبحت بادية على الجيش الموحدي أفقدته الكثير من مقوماته و ساهمت في تسرب روح الدعة والخنوع بين صفوفه المتفككة أصلا بسبب العوامل التي ذكرناها سابقا ما أفقد الدولة الموحدية الركيزة الأساسية في الحفاظ على كيانها السياسي و جعلها عرضة للتآكل في ظرف قياسي ، و ألب عليها كل طامع أو حاقد ، فهو ما يعني تهاوي الدولة و سقوطها بالضرورة أمام الكم الكبير من الفتن و التمردات و الثورات التي أصبح فيها موقف الجيش موقف المتفرج و في بعض الأحيان موقف الفار الناجي بنفسه [517] .

ثانيا : العوامل الثقافية

1 – تناقضات العقيدة التومرتية :

شكلت الانتقائية الميزة البارزة التي طبعت عقيدة ابن تومرت و تأصيلاته الفقهية الأمر الذي جعل نهجه الفكري عرضة لجملة من التناقضات التي لم يستوعبها عامة سكان المغرب الإسلامي و لم يعتنقوها إلا تحت وطأة الخوف من البطش الذي مارسه الموحدون من أجل نشر عقيدتهم وفرضها على عامة الناس ، و عليه يستند الكثير من الباحثين إلى الفكرة القائلة بأن عدم سلامة النهج العقدي التومرتي يعتبر من أهم أسباب سقوط دولة الموحدين باعتبار أنه لم يرتكز على عقيدة سليمة و لا على قواعد تأصيلية صحيحة لا تتعارض مع النصوص الشرعية ، و أن كل اجتهادات ابن تومرت كانت انتقائية ، الهدف الأول منها هو إظهار المرابطين في مظهر الفسقة الكفار الذين يجب مجاهدتهم و إسقاط حكمهم[518] ، تمهيدا لتجسيد طموحاته السياسية .

في معرض حديثنا سنحاول ذكر أهم زلات و أخطاء ابن تومرت العقدية و التي تسببت في سقوط دولته ، فطابع الانحراف لازم الكثير من المسائل ، نذكر بالخصوص منها المهدوية[519] التي راح

---

[517]– أمبرو سيو هيتي مرندا ، المرجع السابق، ص 506 .

[518]– الصلابي ، المرجع السابق ، ص 37 .

[519]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 75 ؛ مؤنس ، المرجع السابق ، ص 71 ؛ راكة ، المرجع السابق ، ص29.

يتبناها لنفسه و يسوق الأحاديث و النصوص الشرعية على صحة ادعائه[520] ، رغم أن الأحاديث الصحيحة و اجتهادات العلماء من مختلف المذاهب تكذب ادعاءَه[521] ، فهذه الدعوى في الميزان الشرعي تعد عملا مجافيا للحق و خطأ فادحا لازم حركة ابن تومرت[522] الذي حاول إتباع كل الطرق من أجل جمع الناس حوله من أجل تجسيد مشروعه السياسي القاضي بإسقاط دولة المرابطين و إقامة دولة الموحدين[523] .

و من الزلات التي لازمت عقيدة ابن تومرت الإمامة التي اعتبرها أصلاً من أصول الدين[524] لا يتم الإيمان إلا بها و هو ما ينطبق تماما على مفهوم الإمامة عند الشيعة الذين يعتبرون الإمامة ركناً من أركان الإيمان لا يصح إلا بها[525] ، وقد غالوا في هذه المسألة حتى خرجوا بها عن أهل السنة و الجماعة و مما زاد من درجة التقارب بين الشيعة و ابن تومرت في هذه المسألة ادعاءه بأنه معصوم[526] ، و الواقع أن ثنائية الإمامة و العصمة لم يتبنها أي مذهب من مذاهب أهل السنة و لا نجدها إلا عند الشيعة ، و هو بذلك قد جمع بين قدسية المهدي المعلوم و الإمام المعصوم[527] و جعلوها من أركان العقيدة الموحدية وكفركل من لم يصل عليه ولم يطعه[528] ، و الواقع أن أهداف ابن

---

[520]- المراكشي ، المصدر السابق ، ص 254 .

[521]-للاطلاع بشكل مفصل على الأدلة الشرعية التي تكذب دعوى ابن تومرت ، انظر: الصلابي ،المرجع السابق ، ص 38-39

[522]- عبد المجيد النجار ، تجربة الإصلاح ، ص 134 .

[523]- بروفنصال ، الرسائل الموحدية ، ص 135 ؛ فاطمة الزهراء جدو ، المرجع السابق ، ص 81 .

[524]- ابن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص 297 .

[525]- الشهرستاني، المصدر السابق ، ص 189 .

[526]- ابن تومرت ، أعز مايطلب ، ص 297 .

[527]- مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص 128 .

[528]- نفسه ، ص 130 .

تومرت السياسية هي التي جعلته يقيم سلطة على مفهوم العصمة و الإمامة[529] حتى يضمن بذلك خلو الساحة من أي معارض باعتبار أن تعليمات المهدي الإمام لا يطاولها الخطأ ، الأمر الذي لقي معارضة واسعة من داخل المجتمع المغربي و على رأسه حملة العلم من الفقهاء المالكية فالعصمة و البعد عن الخطأ هي من مواصفات الأنبياء و الرسل و الملائكة و ليس البشر .

و من مظاهر الانحراف التي لازمت النهج الفكري التومرتي طريقته في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر التي تتطابق مع مسلك الخوارج القائم على الثورة و الخروج على السلطة و العنف و التغيير بالقوة و التكفير و التساهل في سفك الدماء و عدم الاعتراف بالخلافة الشرعية[530] ، هذه الأمور مجتمعة أضفت طابع الظلم و التعسف على دعوة ابن تومرت و أظهرت جليا انحراف ابن تومرت عن النهج الشرعي الصحيح القائم على التغيير بالدعوة و النصيحة و المناظرة و الترشيد وفي ذلك يقول الله تعالى :" أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ و الموعِظَةِ الحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنْ " [531] و بهذا حكم أغلب المؤرخين و الدارسين على سياسة ابن تومرت بالوحشية و القسوة و اعتبره بعضهم طاغية العصور الوسطى[532] .

كانت السياسة التسلطية التي تبناها الموحدون بمثابة المرض المزمن الذي أصاب الدولة في المقتل منذ بدايتها و من أهم أعراضه الرفض الواسع للدعوة الموحدية بين العوام ماعدا المصامدة لموضوع متعلق بالعصبية و حركت العديد من الثورات و التمردات التي أنهكت قوى الدولة و استنزفت مصادر قوتها منذ قيامها و حتى أدت إلى سقوطها ، و من سنة الله في خلقه أن الظالم لا يفلح و أن مآله للخسران و الهلاك و لو بعد حين.

---

[529]– حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 138 .

[530]– مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص 131 ؛ الصلابي ، المرجع السابق ، ص 48 .

[531] – سورة النحل ، الآية رقم 125-128 ، ص281 .

[532]– الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج9 ، ص 540 – 541 ؛ ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 181 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 300 .

و من مظاهر الفساد العقدي الذي لازم عقيدة ابن تومرت استغلاله سذاجة سكان المنطقة و بساطتهم و بدائية معارفهم ، فراح ينتحل الكرامات و يتفنن في الخدع ليمكن لنفسه و معتقده الأشعري فاختلق حادثة نزول الملائكة لتزكية و مباركة دعوته[533] و كلام الأموات الذين نطقوا من قبورهم ليشهدوا له بصدق دعوته[534] ، و حادثة التميز[535] التي أفنى فيها خلقا كثيرا ممن شك في إخلاصهم[536] ، كما استعان بمختلف العلوم الباطنية الغيبية الباطلة كعلم الجفر و خط الرمل و علم الحدثان التي كثيرا ما تنتشر بين أهل الكهانة و التنجيم[537] ، و هي أمور كلها موقف الشرع صريح في تحريمها و بطلانها ، ولم يتعفف ابن تومرت في اتباع كل الخدع و المكائد الممكنة التي تمكنه من استمالة العامة و لو عبر مسائل محرمة شرعا[538] .

كما يعتبر التأويل الباطني للنصوص الشرعية من أهم الزلات التي وقع فيها ابن تومرت و ذلك من أجل استغلالها و توجيهها بما يخدم مشروعه السياسي المناهض للمرابطين و الطامح لإقامة كيان سياسي خاص بدعوته .

و أخذ ابن تومرت من الأشاعرة في تأويل الصفات الإلهية و الكسب و الاستطاعة و الإرادة لدى المكلف و مسائل أخرى ما جعله كبير مُنَظِرِي هذا المذهب الكلامي بالمغرب الإسلامي و أبرز من

---

[533]– ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 195 .

[534]– ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 172 .

[535] – حيث قام ابن تومرت سنة 516هـ بقتل كل من شك في إخلاصه من قبائل الموحدين في حادثة غريبة أين كان يأمر كل من شك في إخلاصه بأن يأتي على شماله ثم يأمر بقتله ، وقد وظَّف ابن تومرت هذه الحادثة لإضفاء القدسية على تصرفاته و استغلال الأمر سياسيا مستغلا سذاجة القبائل الموحدية ، و قد هلك بسبب ذلك خلق كبير : ابن القطان ، المصدر السابق ، ص148 ؛ أنظر : الملحق ، ص158 .

[536]– البيذق ، المصدر السابق ، ص 71 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام و وفيات الاعيان ، ط1، ج3 ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1415-1995 ، ص 36 .

[537] – مصطفى مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص144 .

[538]– نفسه ، ص 109 – 113 .

مَكَّنَ له في هذا القطر[539] ؛ غير أن العمل المضني الذي قام به ابن تومرت من أجل تثبيت المذهب الأشعري في المغرب يحمل في طياته أهدافاً سياسية تمثلت في إحداث انقلاب على المعتقد المرابطي السلفي من أجل توفير كل وسائل التمكين المادية و المعنوية لفرض دعوته في أسرع وقت و أوسع قطر ممكن[540] .

و لا يعدم المتتبع لأراء ابن تومرت الظفر بصلة بين أرائه و أراء المعتزلة[541] ذلك أنه جعل مرتكب الكبيرة فاسقا و لم يَسِمْهُ بالكافر ، كما وافقهم في نفي الأسماء و الصفات عن الله اجتنابا لكل ما عسا أن يوهم الشبه و المثلية لله سبحانه[542] .

و عن التوجه الفقهي لابن تومرت ، فنجده اعتمد نهجاً تأصيلياً يقوم على العودة إلى الأصول و اجتناب الفروع[543] و هي طريقة وظفها ابن تومرت سياسيا للثورة على المنهج الفقهي المرابطي فقد أنكر عليهم اعتمادهم على الكتب الفرعية و على التقليد و التشعب الكبير في المسائل الفقهية[544] ، و في جملة من الآراء الأصولية يظهر تأثر ابن تومرت بابن حزم في العديد من المسائل كرفض القياس كمصدر للتشريع و معاداته للتقليد و إصراره على الرجوع إلى القرآن و السنة و الإجماع لاستنباط الأحكام في حركة اجتهادية ليس فيها من وسائط للفروع الفقهية ، و هذا ما يدفعنا للإقرار بالرأي

---

[539]– عبد المجيد النجار ، فصول ، ص 34 ؛ مغزاوي ، دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري ، ص 35
wtilliam , op , Cit , p 36

[540]– مغزاوي ، دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري ، ص 47 .

[541] – ينتسبون إلى واصل بن عطاء ، لهم أراء خاصة في العقيدة ، يقولون بخلق القرآن ، ونفي رؤية الله يوم القرار ، و أن العبد خالق لأفعاله خيرها و شرها ، و أن مرتكبة الكبيرة هو في المنزلة بين المنزلتين ، أنظر : الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص58.

[542]– عبد المجيد النجار ، المهدي ، ص 362-363 ؛ الصلابي ، المرجع السابق ، ص 48-49 .

[543] -Dhina, op , cit , p 287 .

[544]– حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 158- 139 ؛ عبد السلام شقور ، جهود المالكية في مواجهة الفرق المخالفة في المغرب الإسلامي ، مجلة التاريخ العربي، العدد: 41، جوان 2007م، ص 14 ؛ مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص 11 .

القائل بأن دعم ابن تومرت للمذهب الظاهري في بعض المسائل ليس نصرة للمذهب بقدر ما هو انتقامٌ من المالكية و المرابطين[545].

و مجمل القول إن دعوة ابن تومرت قد تأثرت بآراء كثير من الفرق و المذاهب فهي ليست أشعرية بحتة و ليست معتزلة تقوم على الأدلة العقلية وحدها و ليست خارجية كما صورها المرابطون و هي ليست شيعية في كل اتجاهاتها بل هي مزيج مضطرب من أغلب الفرق و المذاهب الإسلامية[546] ، جمعها ابن تومرت في كتاب شامل شديد التخليط و التغليط سماه " أعز ما يطلب " أغلب ما يميز أسلوبه التخويف و الترهيب[547] مستخدما دهاءه السياسي و ذكاءه من أجل تجسيد مشروعه السياسي دون مراعاة القواعد الأساسية للشرع ، لذلك نجد أن الأسس الفكرية للدعوة التومرتية اتسمت بالمتناقضات و عدم انسجام الآراء و صعوبة تطابقها مع الشرع و حتى مع العقل في بعض الأحيان ما جعل اعتناقها و انتشارها بين أهل المغرب لا يعدو أن يكون مطية للخروج عن المرابطين أو خوفا من بطش الموحدين وهو ما يفسره تخلي سكان المغرب عن العقيدة الموحدية في أول فرصة سمحت لهم بذلك ، و هذا ما ذهب إليه ألفريد بل في قوله " إن أتباع ابن تومرت لم يفهموا من دعوته إلا أنه هو الوريث الشرعي و المستحق للمعارف التي أورثها النبي صلى الله عليه و سلم"[548].

2- إفلاس العقيدة التومرتية

شهدت العقيدة التومرتية أزهى أيامها في المرحلة الأولى من عمر الدولة الموحدية خلال حكم ابن تومرت و عبد المؤمن ، ثم ابنه أبي يعقوب يوسف ، فقد كان هؤلاء الخلفاء أكثر حكام الدولة اعتقادا بها و منافحة عنها و سعيا لنشرها[549] ، و مما زاد في توطيد هذا الواقع تدهور أوضاع الناس في

[545]- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ،ص 105

[546]- الصلابي ، المرجع السابق ، ص 63 -64 .

[547]- مؤنس ، المرجع السابق ، ص 71 .

[548]- ألفريد بل ، المرجع السابق ، ص 167 .

[549]- ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 189-190 ؛ ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 149.

أواخر عهد الدولة المرابطية ما جعلهم يسعون سعياً حثيثاً للقطيعة معها ، غير أن العقيدة التومرتية بدأت تفقد أسباب وجودها و ظهر جليا ظرفيتها و فسادها منذ عصر الخليفة المنصور الذي عرفت فترة حكمه بداية التراجع العكسي للعقيدة التومرتية و ظهور بوادر الانقلاب عليها ، فهو وإن لم يبدي تنكره و عداءه لها ظل يضمر براءته منها ، و لا أدل على ذلك مما أورده عبد الواحد المراكشي في قوله " أخبرني الشيخ صالح أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المري و نحن بحجر الكعبة ، قال : قال لي أمير المؤمنين أبو يوسف يا أبا العباس أشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة قال : و قال لي : و قد استأذنته في شئ يفتقر إلى وجود الإمام يا أبا العباس أين الإمام ، أين الإمام[550]" . و تؤكد الرسائل الموحدية أن يعقوب المنصور كان على وشك التصريح بأن العقيدة التومرتية بدعة لولا وَفَاتُه ، و لعله لم يفعل ذلك رغبة منه في الحفاظ على وحدة كلمة الموحدين و خوفا من تمزق دولتهم[551] ، أما وجود أثار العقيدة الموحدية في الرسوم و الرسائل و الخطب فهي مجرد عبارات لا تخرج عن دائرة الرموز السياسية[552] .

أما عهد الخليفة أبي العلاء إدريس المأمون فهو الذي يجسد السقوط الحر للعقيدة التومرتية في نفوس حتى من يفترض فيهم أولى الناس بالدفاع عنها[553] ، فقد قرر المأمون هدم أراء ابن تومرت موجها له أشنع الصفات ، فحين دخل العاصمة أوائل (1223/621) و بايعه الموحدون ، دخل المسجد الجامع و صعد المنبر و خاطبهم قائلا : " لا تدعوه المهدي المعصوم و ادعوه بالغوي المذموم ..... لا مهدي إلا عيسى و أنه قد نبذنا أمره المذموم النحس"[554] و أعلن المأمون بعدها حربه على

[550]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 212 .

[551]- بروفنصال ، الرسائل الموحدية ، ص 27-35 .

[552]- أحمد العزاوي ، الرسائل الموحدية ، ص193،191،40 .

[553]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 273 .

[554]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 317 ؛ مراجع عقيلة ، سقوط الدولة الموحدية ، ص253 ؛ روجيه لتورنو ، حركة الموحدين بالمغرب ، ص 108 ، مرندا ، المرجع السابق ، ص 485 .

المعتقد التومرتي في مرسوم ملكي اعتبر منعرجا خطيرا أحدث ثورة في التركيبة العقدية للموحدين على المستويين الرسمي و الشعبي و ما جاء فيه " و لتعلموا أنا نبذنا الباطل و أظهرنا الحق و أن لا مهدي إلا عيسى و إنما سمي مهديا لتكلمه في المهد فتلك بدعة قد أزلناها و قد أزلنا لفظ العصمة عن من لم تثبت له عصمة"[555] ، و لم يفت المأمون أن ينبه إلى أن أباه المنصور كان قد عزم على هذا أيضا و لكن الأجل لم يمهله[556] ، ثم راح يسرد الحجج التي تؤيد موقفه ثم ختم الرسالة بقوله " اللهم أشهد أنا قد تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من النار ، و نعوذ بك من فعلهم و أمرهم الخبيث " .

و بالموازاة مع هذا الإجراء أقدم المأمون على محاكمة أشياخ الموحدين المصامدة الذين يعتبروا حملة لواء الفكر التومرتي و أكثر من يذود عنه و أعدم منهم عددا كبيرا بسبب تنفذهم في السلطة و تلاعبهم بالخلفاء مستغلين مكانتهم في المجتمع الموحدي[557] .

و يمكن إرجاع هذا الانقلاب كذلك إلى الدور الخطير الذي لعبه الأشياخ في التلاعب بالخلفاء و إثارة النزاعات بينهم و تقديم مصالحهم على شؤون الرعية مستندين إلى نفوذهم كمرجعيات للعقيدة التومرتية خاصة و أنهم نكثوا بيعة المأمون و ألبوا عليه منافسيه من بني عبد المؤمن[558] ، أضف إلى ذلك قوة شخصية المأمون الذي وصفه ابن أبي زرع بأنه كان إماما في الحديث عالما بأمور الدين[559] ، و من تداعيات هذا الإجراء الحاسم تغير الكتابات على المسكوكات الموحدية ففي حين كان يكتب عليها * الله ربنا ، محمد رسولنا ، المهدي إمامنا * أصبحت تحمل عبارة * الله ربنا ، محمد رسولنا و

---

[555]- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص 164-165 ؛ أنظر : الملحق ، ص156 .

[556]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 212 .

[557]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 444 .

[558]- نفسه ، ص 273 – 445 – 446 .

[559]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 250 .

القرآن أمامنا *[560] كما حذف اسم المهدي من الخطب و الرسائل و كل الشعائر التي كانت تقام تبعا لتعاليمه[561] .

كما أن مرور السنين و ما شهدته الدولة الموحدية من قوة و ازدهار لم يكن كافيا لحمل الناس على اعتناق العقيدة التومرتية التي اتصفت بعدم التلاؤم مع المدارك العقلية و المشاعر الذاتية و الأماني الداخلية لبربر المغرب الإسلامي[562] ، فأغلب الرعايا دخلوا دعوتهم خوفا من بطشهم و تجنبا لقسوتهم و دفنوا حقدهم على الموحدين[563] ، و هذا ما يفسره الشعور العميق بالرضا بين جماهير المغرب بعد إجراءات المأمون[564] ، و من أهم عوامل تقهقر المذهب التومرتي عدم قيامه على أسس دينية متينة ، يضاف إلى ذلك تجدد حركة أهل الحديث في عصر المنصور و دورها في كشف عيوب و زلات مذهب ابن تومرت الذي استند إلى جملة من الأحاديث الضعيفة المؤولة لتثبيت ادعاءاته[565] .

لقد أدى هذا الإجراء إلى انكسار الإيديولوجية التومرتية مما يؤشر على فقدان النسق الموحدي أهم خيوطه المتينة التي قام عليها[566] .

ورغم قيام الخليفة الرشيد تحت إلحاح زعماء القبائل المصمودية إلى إعادة العمل بالرسوم المهدوية غير أن خطوته تلك كانت دون طائل إذ أنها تفلتت من فحوى الإيديولوجية التومرتية و لم تخرج من

---

[560]- لخضر محمد بولطيف ، فقهاء المالكية و التجربة السياسية الموحدية في المغرب الإسلامي (510 / 668هـ - 1196-1269) ط1 ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، بيروت ، 1429 – 2009 ، ص 380 .

[561]- الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج 4 ، ص 338 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 343 .

[562]- ألفريد بل ، المرجع السابق ، ص 286 .

[563]- مراجع عقيلة ، سقوط الدولة الموحدية ، ص 49 .

[564]- الفريد بل ، المرجع السابق ، ص 286 .

[565]- عبد الله علام ، المرجع السابق ، ص301-304 .

[566]- محمد الشريف ، السلطة و المتصوفة بالمغرب الإسلامي ، .www.minculture.gov.ma ، ص9 .

الطابع المناورة السياسة و أصبح وجودها عبارة عن إجراء شكلي إذ لم يلبث أن دخلت الدعوة التومرتية طور الانحلال الأخير و نهاية مصيرها المحتوم[567] .

شملت انتكاسة المذهب التومرتي الأصول و الفروع معا و تراجع معها المذهب الحزمي التومرتي و تخلى الخلفاء عن حماستهم لرموز العقيدة التومرتية[568]، و في الوقت نفسه خفت وطأة النزعة الخارجية و الشيعية التي لازمت إنكار ابن تومرت .

ورغم أن ما قام به المأمون يعتبر انعكاسا لظروف لازمت حكمه و فرضت عليه ما قام به ، و رغم أنه كان يعكس تطلعات فئات كبيرة من المجتمع و العلماء و أن عقيدة ابن تومرت ولدت لتموت بسبب الزلات التي حملها فكره ، إلا أن ذلك فتح الباب على مصراعيه للطامحين في السلطة ووجدوا في إجراءات المأمون حجة للقيام عليه ففي المغرب الأقصى قام المعتصم و المرينيون ، و في المغرب الأدنى (افريقية) فاتخذ بنو حفص من إجراءات المأمون حجة للاستقلال ، أما في المغرب الأوسط انشق بنو عبد الواد بحجة أن البقاء تحت سلطة الموحدين لم تبق عوامل وجوده[569] ، كما تسببت إجراءات المأمون في ارتباك معنوي كبير بين هؤلاء الذين ظلوا مخلصين لتعاليم ابن تومرت فكانوا بذلك و كأنهم فقدوا كل سبب للولاء أو الثقة أو الأمل في السلطة الموحدية[570] .

3 – دور الفقهاء

تعرض فقهاء المالكية لهجمة شرسة من ابن تومرت و خلفائه ، شملت التعريض و التشهير و حتى المتابعة و المضايقة ، فقد اتهم الموحدون فقهاء المالكية بالتجسيم و التشبيه و التقليد الأعمى و الاعتماد على كتب الفروع و تغليب رأي مالك حتى على الكتاب و السنة ، و كان من تبعات ذلك

---

[567]– بولطيف ، المرجع السابق ، ص 382 .

[568]– مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص 318 .

[569]– نفسه ، ص 192 .

[570]– ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 38 –39 .

أن واجه المذهب المالكي حملة صريحة من طرف الخلفاء الأوائل من أجل تقليص نفوذه والحد من تأثيره الاجتماعي ، فتارة عملوا على نصرة المذهب الظاهري كبديل عن المذهب المالكي ، و تارة نكلوا ببعض الفقهاء و تارة أخرى أحرقوا كتب الفروع ، و يرجع كثير من الباحثين حقيقة الصراع إلى أنه ليس صراعا بين المدرسة الفقهية المالكية السلفية المرابطية و المدرسة التومرتية الموحدية و إنما هو تجسيد للأهداف السياسية التي رسمها ابن تومرت و استغل كل الوسائل المادية البشرية و العلمية من أجل تحقيقها .

كانت هذه السياسة المتشددة مع المالكية و العيوب الكثيرة التي ميزت العقيدة التومرتية سببا في ظهور معارضة شديدة متنوعة الأشكال من طرف الفقهاء المالكية ضد الموحدين ، فقد سلك بعض الفقهاء مسلك المقاومة الصامتة في حين رأى بعضهم المجاهرة بالمقاومة متحملا تبعات ذلك .

أما من اتبع نهج المقاومة السلبية أو الصامتة فقد اعتمدوا على رفض العقيدة التومرتية عن طريق اللامبالاة و الإعراض سواء على المستوى الرسمي أو العلمي[571] ، و من جملة الفقهاء الذين سلكوا هذا المسلك القاضي عياض إذ لم يرد في كتابه " الشفا " ذكر ولا إشارة إلى المهدي و مذهبه في كتاب تحدث في مجمله عن إثبات العصمة للنبي صلى الله عليه و سلم و نفاها إطلاقا عن بقية البشر و في ذلك رد مبطن على مزاعم ابن تومرت[572] ، و من أمثلة الرفض السلبي أو الصامت ابن الزياد التدلي(627هـ - 1229م) في كتابه " التشوف" الذي لم يذكر فيه أيا من خلفاء الدولة الموحدية ، و التزم من جهة أخرى بإثبات شيوع الصلاح بين المصامدة و التزامهم بالمذهب المالكي و في ذلك تجاهل واضح لابن تومرت و مذهبه[573] .

---

[571]- مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص 199 .

[572]- عبد السلام شقور ، المرجع السابق ، ص 12 .

[573]- التدلي ، المصدر السابق ، ص 125 – 170 .

و على النهج نفسه سار القاضي أبو القاسم أخيل ابن إدريس الرندي (561هـ - 1165م) الذي عوقب بالنفي إلى مكناس بسبب ما قيل عنه إنه قال في حق عبد المؤمن " كيف تصبح له الخلافة و هو ليس بقرشي "[574] .

كما عبر فقهاء آخرون عن رفضهم للعقيدة التومرتية من خلال مبادرتهم إلى إعلان ولائهم للعباسيين من أجل تبرير قيامهم عليهم و نقضهم لبيعتهم ، و هو الأمر الذي تكشف عنه عدة مصادر في ثنايا استعراضها للأحداث من مواقف متعاطفة للفقهاء مع الثوار من خلال خطبهم التي كانت تحمل البيعة و الولاء للعباسين في دعوة ضمنية للقيام على حكم الموحدين و نقض بيعتهم ، فعلي بن غانية (580- 584 هـ / 1184- 1188 م) لما تملك بجاية خطب بها للخليفة العباسي الناصر[575] ، و تحدثت المصادر التاريخية في السياق نفسه عن التسهيلات التي وجدها بنو غانية حين دخولهم إلى بجاية ، ووقف الفقيه أبو محمد عبد الحق الاشبيلي الذي أجاب يحيا بن غانية في ولاية الخطبة بالمسجد الجامع و كان قد رفضها سلفا من الموحدين[576] ، ومما قاله في خطبه " الحمد لله الذي أعاد الأمر نصابه و أزاله من أيدي غاصبيه"[577] .

كما أنه لا يستبعد ضلوع بعض الفقهاء المباشر في تأييد حركات ثورية مناوئة للسلطة الموحدية ، ففي سنة (586هـ - 1199م) قامت ثورة علي بن محمد بن رزين الجزيري[578] الذي كان ينكر على الموحدين انحرافهم و مهديتهم و تصييرهم الخلافة ملكا و توسعهم في الرفاهية و إهمالهم للرعية[579]، و

---

[574]- المقري ، نفح الطيب ،ج4 ، ص 203 .

[575]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج10 ، ص128 ؛ النويري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص18 .

[576]- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني ابن الزبير ، صلة الصلة ،تح : ليفي بروفينسال ، المطبعة الاقتصادية، الرباط ،1938م ، ص05

[577]- الغبريني ، عنوان الدراية ، ص77

[578]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 155 .

[579]- المقري ، نفح الطيب ، ج4 ص66 .

من أشهر الحركات الثورية المناوئة للموحدين الثورة التي قادها الفقيه أبو القاسم بن فارس الغرناطي المعروف بالمهر (601هـ - 1204م)[580] ، و من الفقهاء الذين رفضوا التومرتية و اختاروا المواجهة المباشرة عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن ذمام (580هـ - 1184م) ، و قد ظل هذا العالم يحتفظ بعواطفه المعادية لابن تومرت و مهدويته ففي إحدى خطب الجمعة و حين استوي الخطيب على المنبر و أخذ يعظم الإمام المهدي قاله "كذبت لعنك الله " .

ومن شواهد الرفض و الإنكار الذين ظل المالكية يظهروها للموحدين وعقيدتهم أن المأمون حين تبرأ من العقيدة التومرتية ، وأنكر ما كان عليه أسلافه ، لقي دعما ومساندة كبيرة من الفقهاء المالكية ومن ذلك قول الفقيه الأديب ابن عمرو بن حبازة الفاسي (637هـ - 1240م) مادحا المأمون :

و حد النبوة حلة مطوية لا يستطيع الخلق نسجها مثلها

فأسر حسوان ارتقاء يبغي بمحالة نسجا على منوالها [581]

وفي المأمون قال أبو الحسن العيني:

وما ذلك إلا إن سبقت ونصروا وادلجت إذا باتوا وحققت إذ شكروا

أنال بك الإسلام أقصى مراده وقد سعد التوحيدي إذ تشقى الشرك [582]

ولم ينته دور الفقهاء المالكية المعادي والمجافي للدولة الموحدية عند هذا الحد فحسب ارتبط اسمهم كذلك بالعديد من الأزمات السياسية , فقد دخل بعض الفقهاء كطرف مباشر في النزاع الذي دار بين بني عبد المؤمن ، ومن ذلك أن الفضل في اعتلاء أبي يعقوب يوسف عرش الخلافة يعود إلى

[580]- ابن عبد المالك ، المصدر السابق ، ج4 ، ص345 .

[581]- المقري ، أزهار الرياض ،ج2 ، ص 379 . 300 .

[582]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 288 .

القاضي حجاج بن يوسف (572هـ .1176م) بعد أن عمل على إخفاء وفاة عبد المؤمن حتى يفوز على منافسي يوسف الذين يرتقب وصولهم من الأندلس فرصة الاستئثار بالحكم [583] .

وعن الصراع الذي دار بين إدريس المأمون وأخيه العادل يحدثنا ابن عذارى عن الدور الذي اضطلع به القاضي أبو الوليد افليح (632 هـ .1234م) في التمهيد لبيعة المأمون[584] ، وعن الدور الذي لعبه في اتخاذ المأمون أحد اخطر قراراته والمتمثل في الإطاحة بأشياخ الموحدين الناكثين[585] ، بينما كان الفقيه أبو الحسن بن القطان(628هـ .1231م) محسوبا على الجبهة المضادة للمأمون ومن قبله العادل إذ ساند ترشيح عبد الواحد المخلوع للخلافة بعد وفاة المستنصر[586]

ومن الفقهاء الذين تأكد ضلوعهم في النزاعات السياسية في عهد الرشيد الفقيه أبو عبد الله بن دوناس (638هـ . 1240م) فقد أسدى للخليفة أجل خدمة عندما أمكنه من الإيقاع بالمتمرد على حكمه عمر بن تاويط زعيم هسكورة سنة (635هـ .1237م)[587] إلا أن طموح ابن دوناس سرعان ما أودى بحياته , وذلك حينما اكتشف الرشيد ما دار بينه وبين احد أمراء البيت الحاكم من أبناء عمومة المأمون من خطابات ومفاوضات بشأن القيام عليه[588] .

4- دور المتصوفة

يتضح من القرائن المصدرية ومن مختلف الدراسات الحديثة الخاصة بتاريخ الغرب الإسلامي أن التصوف شكل إحدى أبرز الحساسيات الدينية داخل مجتمعاته و أحد مقوماتها الدينية و الروحية و

---

[583]- عبد الواحد الراكشي ، المصدر السابق ، ص 290 .

[584]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 275 – 276 .

[585]- ابن ابي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 252 .

[586] – ابن عبد الملك ، المصدر السابق، ج4 ، ص 346

[587]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 346 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 303 .

[588]- ابن الزبير ، صلة الصلة ، ص 510 .

الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، الأمر الذي دفع أغلب خلفاء الدولة الموحدية إلى التقرب من المتصوفة والزهاد وتبجيلهم و تكريمهم في سياسة جمعت بين استمالة هذا التيار الذي اكتسح المجتمع الموحدي بقوة ، و بين المراقبة و المتابعة خوفا من إفرازات هذه الهبَّة الشعبية الواسعة على التصوف و المتصوفة .

و اللافت للانتباه أنه و رغم الجهود التي بذلها الخلفاء من أجل احتواء هذا التيار فإنه لم يخرج من دائرة المعارضة الدينية السياسية ضد الموحدين طيلة القرنين السادس و السابع الهجري ، الثاني عشر و الثالث عشر الميلادي ، و الشاهد أن الدولة الموحدية عرفت ثورات ذات طابع صوفي تزعمها في الأندلس ابن قسي (546هـ - 1156م) و في المغرب ابن هود الماسي (542هـ - 1147م)[589] كما أورد صاحب كتاب "التشوف" إشارات متناثرة لثائر صوفي يدعى عتاب[590] ، و يسوق صاحب المصدر نفسه في ترجمته لأبي إبراهيم بن وجماتن الرجراجي (596هـ - 1195م) ما يفيد أنه كان ينتهز أي فرصة لاجتماع الناس بالمسجد و يتكلم في حق عامل الدولة الموحدية ما عرضه للسجن مرارا[591].

و لقد ارتبط حضور المتصوفة في أذهان العامة بما يتمتعون به من قرارات خارقة تجعل منهم أندادا للسلطة ، و لم تتأخر " حكاية الكرامة " في تكريس هذا المعتقد بما عزته من رجال التصوف من مواقف تصورهم مناهضين لجور العمال و الولاة و مدافعين عن حقوق المظلومين و المستضعفين[592] ، و القارئ لكرامات أبي يعزى بلنور(572هـ - 1177م) يجد قسما منها يتناول العلاقة بين سلطة عبد المؤمن الخليفة و أبي يعزى المتصوف و التي كانت تعكس الصراع بين السلطتين المتنافستين للتحكم في العامة و توجيهها .

[589]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 30 ؛ لخضر بولطيف ، المرجع السابق ، ص 324 .

[590]- التدلي ، المصدر السابق ، ص 395 .

[591]- لخضر بولطيف ، المرجع السابق ، ص 322 .

[592]- نفسه ، ص322

و الواقع أن الكرمات بما تنطوي عليه من دلالات و إيحاءات حملت خطابا سياسيا واضحا تجاوز مجرد الرغبة في الإفصاح عن أزمة سياسية في الحكم الذي أسس لرؤية تهدف إلى بعث مجتمع جديد على أيدي رجال التصوف استنادا إلى مشروع ارتبط ببنية ترتكز على تغييب السلطة الموحدية[593] ، و هو ما يوضح جليا الخطر الذي شكله المتصوفة على قوة و استقرار الدولة و استمرارها .

و مما يعزز قولنا أن التصوف كتيار في البناء الاجتماعي و السياسي للدولة الموحدية كان له نصيبه من النزاعات و التصدعات التي شهدها بيت بني عبد المؤمن ، هذه النزاعات التي تعتبر من بين أبرز أسباب تآكل دولة الموحدين ، فخلال نزاع الخليفة المأمون مع المعتصم على السلطة بعد وفاة العادل 624هـ كتب المأمون الشيخ رباط تيط[594] طالبا منه التزكية و البيعة و قد ساند شيخ الرباط المأمون في صراعه ضد مناوئيه في السلطة دون تردد ، وطلب منه بأن " يأخذ الحركة إلى مراكش ويستعين بالله، وقال الشيخ :" نتكفل لك على ذمة الله تعالى أن يهب لك ملكهم، ويجعلكم خليفة، لكونكم أهلا للخلافة، لأن لك عقلا وافرا ورأيا صالحاً " .

و رغم المحاولات الحثيثة للسلطة من أجل استمالة الطوائف الصوفية إلا أن جهودهم منيت بالفشل ، فبمجرد أن ثار الوالي الموحدي أبو فارس عزورتن و اعترف بسيادة الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق لقي دعما من بني أغمار و التجأ إلى حرم رباط تيط و لقي دعما و مساندة من القائمين على الرباط[595] .

وقد حاول الخليفة أبو دبوس تأمين مساندة شيوخ رباط تيط له بأن أصدر ظهيرا في ربيع الأول من عام 665 هـ (أي بعد ثلاثة اشهر فقط من الحكم) يحملهم فيه على الكرامة والمبرة والرتبة

[593] – لخضر بولطيف ، المرجع السابق ، ص327

[594]– من أقدم رباطات المغرب الأقصى يقع ببلاد آزمور ، قام عليه بني أغمار من صنهاجة ، انظر: التدلي ، المصدر السابق ، ص 211 .

[595]– محمد الشريف ، ما قبل هيكلة الزوايا بالمغرب: الطوائف الصوفية خلال مرحلة الانحلال الموحدي، www.minculture.gov.ma ، ص 09 .

الدائمة والحماية التي تقيهم ضروب الضيم والمضرة ، فضلا عن إعفائهم من الوظائف المخزنية، والكلف الناشئة، وجميع ما يلزم من المؤن ، طالبا منهم التصدق بأعشارهم وتفريقها على المساكين، جريا على عادتهم في الصلاح . إلا أن محاولته منيت بالفشل، لأن شيوخ تيط مالوا لجانب خصومه السياسيين، واعترفوا مبكرا بسلطة المرينيين الذين لم يترددوا من جانبهم في إقرار ما بظهير أبي دبوس لهم، "بل أضافوا إليه امتيازات مادية، وبادروا إلى الاعتراف المبكر لهم بشرف نسبهم، بل قدموهم على رأس الركب الرسمي للحج في سنة 703 هـ .

يبقى توضيح الدور الذي يمكن أن يكون قد لعبه رباط آسفي في الصراعات التي واجهت الموحدين مع بني مرين. ولو أننا لا نتوفر على أية إيضاحات تسمح لنا بالجزم بأن أتباع أبي محمد صالح قد مالوا لصالح المرينيين –كما حدث مع بني أغمار بتيط – فإننا نجد أن الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني قد عين أصغر أبناء شيخ آسفي، وهو عيسى (ت. 698 هـ/1299م) لـ"ولاية الإمارة ببلد آسفي". ومن المحتمل أن الأمير المريني حاول – بهذه المبادرة– أن يكافئ أحفاد أبي محمد صالح على دعمهم له في صراعه مع الموحدي[596].

و إلى جانب الدور السياسي الذي لعبه المتصوفة في انحلال السلطة الموحدية و في الصراع مع بني مرين خلال القرن 7هـ/13م فإننا نلتمس تأثير المتصوفة في الثورات التي قامت ضد الموحدين بالأندلس و بالخصوص ثورة أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود (635هـ - 1238م) في مرسيه التي لقيت دعما كبيرا من طرف المتصوفة[597] .

ثالثا : العوامل الاقتصادية

1 – عسكرة النظام الاقتصادي

[596] – محمد الشريف ، ما قبل هيكلة الزوايا بالمغرب ، ص9.

[597]– ابن الزبير ، المصدر السابق ، ص 112 .

تميزت الدولة في العصر الوسيط بكونها عسكرية بامتياز ، حيث أولت جل اهتمامها لقضايا الجهاد و القتال داخليا و خارجيا ، فكون الجيش بذلك عمود الدولة و أساس قيامها و معيار قوتها ، و هذا ما نفسر به شيوع مقولات من قبيل " من كثرت أجناده عمرت بلاده " ، و لم تخرج الدولة الموحدية عن هذا السياق ، خاصة إذا أدركنا شساعة مجالها الجغرافي و تعدد خصومها و منافسيها و منهجها الذي اعتمد على البطش و القوة في إقامة الدولة ، و من الطبيعي في هذه الحالة أن يحتاج هذا الجيش إلى مصاريف و تكاليف باهضة لتوفير رواتبه و طعامه و شرابه ، فضلا عن أسلحته و هباته و أعطياته .

و إذا كانت الأمور تسير على ما يرام خلال فترات الخلفاء الأقوياء ، فالحال ليس كذلك بالنسبة للمتأخرين الذين شهدت فترات حكمهم انقلاباً في الموازين بظهور عصبيات منافسة و حدوث أزمات سياسية حادة و اضطراب في حبل الأمن ، عندما توجه الجميع الإمكانيات الاقتصادية لخدمة الأهداف العسكرية الشيء الذي يؤثر سلبا على قطاعات الإنتاج الأخرى و يؤدي إلى تدهور الاقتصاد[598] .

و رغم أن الخلفاء الأوائل أولوا اهتماما كبيرا بمختلف القطاعات الاقتصادية ، و عملوا على توفير الظروف المناسبة لازدهارها و تطورها[599] ، إلا أن هذا الواقع لم يستمر خلال مرحلة انحلال الدولة ، فقد توجه اقتصاد الدولة في هذه المرحلة نحو العسكرة ، و الشاهد على ذلك أن الميدان الحرفي عرف توجيها منظما نحو الصناعات الحربية بالدرجة الأولى ، فقد حظيت الصناعات التي لديها علاقة بالحرب بتشجيع من طرف الخلفاء[600] ، فازدهرت الصناعة المعدنية لحاجة الدولة للأسلحة ، كما ازدهرت صناعة النسيج لحاجتها للبنود و الأعلام و الخلع و الكسوات التي كانت تدخل ضمن

---

[598]– ابن خلدون ، المقدمة ، ص 220 .

[599]– ليلى أحمد النجار ، المرجع السابق ، ص424 .

[600]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 260 ؛ مجهول ، الحلل الموشية ، ص 121 .

رواتب الجند و مستلزماتهم[601] ، و في الوقت ذاته ازدهرت صناعة النجارة لحاجة الأسطول للمراكب و الأجفان الحربية .

و إذا كانت حركة البناء ذات الصلة بالمرافق و المنشآت العامة قد عرفت انكماشا في فترة الضعف الموحدي ، فإن الحكم لا ينطبق على حركة البناء المرتبطة بالانشغالات العسكرية[602] ، فقد ازدهر بناء الحصون و القلاع و المعسكرات و الجسور و الأربطة التي كانت الدولة في حاجة لها من تسهيل حركة الجيش و مراقبة المجال التابع لها[603] و لعل أضخم مشروع عمراني تم تشييده خلال القرن السادس هجري ألا وهو رباط الفتح كان لأغراض عسكرية[604] .

و في ميدان الجباية تزايد الحضور العسكري في عملية جمعه و إنفاقه على متطلبات الجيش الذي تزايدت مصاريفه بتزايد مهام الجيش في ظل التدهور الأمني المتنامي في ربوع الدولة الواسعة و في هذا الإطار ذهب فريق من الفقهاء إلى حد إعطاء الحق للإمام في فرض المغارم و المكوس على رعاياه في حالة عجز بيت المال عن توفير الإمكانيات الضرورية للدفاع عن مصالح المسلمين[605] .

و يتضح من خلال ما ذُكِرْ و بالرجوع إلى التصور الخلدوني أن الاقتصاد المنبثق عن أسلوب الإنتاج الحربي لا بد و أن يتناقض في إحدى مراحل نموه مع المقررات الشرعية في ميدان الجباية و يعد الس لطان و القادة العسكريون مسؤولين عن هذا التناقض[606] فمصاريف السلطان و متطلبات الحماية تستنفذان في " اقتصاد الغزو " كل موارد الدولة و للحفاظ على سيولة هذه المصاريف لا يجد

601- بولقطيب حسين ، جوائح و أوبئة ، عهد الموحدين ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ص 104 .

602- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 427 – 428 .

603- مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 151 .

604- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 214 .

605- أبي العباس أحمد بن يحيا الونشريسي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب ، ج5 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1401 – 1981 ، ص 32 – 33 .

606- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 32 .

السلطان سوى رعاياه الذين يفرض عليهم مختلف الضرائب و المكوس ، و في هذه المرحلة يتحول الجيش من حامٍ للاقتصاد إلى عبء عليه[607] .

و مما يؤكد طغيان الطابع العسكري على الاقتصاد الموحدي ، أن مبررات الإقطاع عرفت تحولا جذريا على عهدها فبعد أن كانت منحصرة في الفئات الاجتماعية المقهورة من صنف الفقراء و كثيري العيال أو المدينين أو كل من خدم الإسلام و المسلمين[608] اختفت كل هذه الأصناف من لائحة المقتطعين بدءا من القرن الخامس هجري ، فقد أصبح المؤهل الحربي شرطا أساسيا للحصول على الإقطاع خلال القرن السادس الهجري .

من خلال مجمل النصوص السالفة حول حضور الجند في الحياة الاقتصادية ، يمكن الخلوص إلى أن الدولة الموحدية عرفت تشكيلة اقتصادية يغلب عليها أسلوب الإنتاج الحربي ، فطغيان الهم العسكري على المجتمع الموحدي ، جعل المؤهل الحربي يتفوق على ما سواه من المؤهلات [609] .

و عليه إذا كان الجيش يقوم بدور محوري في توفير الأمن والحفاظ على استقرار الدولة و توفير بعض العائدات المالية كالغنائم و الأسلاب و المصادرات ، فإنه في المقابل يستهلك قسطا كبيرا من مدخرات الخزينة و في هذه الحالة يتحول الجيش من مصدر قوة خاصة عند تأسيسها إلى عبء خلال الفترة الأخيرة من عمر الدولة ، حيث يتحول الجنود إلى مستهلكين أساسيين لأن مهامهم الحربية تقتضي ذلك فيتعالون فوق المنتجين المباشرين و خلال فترات الأزمات يتحولون إلى عدوهم الأساسي بسبب المكوس و الضرائب الباهضة التي تفرض على القطاعات الإنتاجية لتوفير المتطلبات

---

[607]- محمد عابد الجابري ، العصبية و الدولة ، ط6 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1994 ، ص 362 .

[608]- يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية و أثارها في المغرب و الأندلس (238هـ - 488هـ) – (852 م – 1095 م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، إشراف : طاهر راغب حسين ، جامعة القاهرة ، 1421 – 2000 ، ص 101 .

[609]- بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 115 .

الحربية[610] ، فالاستعداد للحرب كان يلتهم قسطا وافرا من الإنتاج الزراعي في شكل مؤن و جبايات[611] ، و إذا علمنا بدائية التقنيات الزراعية آنذاك فضلا عن موجات القحط و الجراد و حالة انعدام الأمن السائدة أدركنا و لاشك ما كان يعانيه الفلاحون عندما تضاف إليهم مسألة إطعام الجند في قراهم و أريافهم ، عندها لا غرابة أن نرى حالة الهروب الجماعي من الأرياف و البساتين إلى المدن و ما يرافقها من تراجع على مستوى الإنتاج الزراعي[612].

كما شكلت مسألة إطعام الجند و رواتبهم الجارية و الهبات الظرفية و متحصلات الغنائم حافزا لسكان الإمبراطورية من أجل الانخراط في الجيش عندما يطلب منهم ذلك باعتبار العمل الحربي أكثر مردودية مقارنة بالعمل الفلاحي أو الحرفي أو التجاري[613] .

إن هذا الاهتمام الكبير بالهاجس الأمني من طرف الدولة جعلها تغلب هذا العامل على تعاملها مع الفاعلين الاقتصاديين بمختلف شرائحهم الشيء الذي لم يؤهلها للمساهمة في تحريك عجلة النمو الاقتصادي ، ذلك أنها لم تكن ترى في الفلاحين و الحرفيين و التجار سوى مصادر لتمويل أعمالها الحربية[614] .

2 – تأزم الحالة الاقتصادية

عرفت الدولة الموحدية في طور انحلالها تدهورا خطيرا على المستوى الاقتصادي تسبب في تداعيات اجتماعية مزرية أثرت سلبا و بعمق على كيان الدولة و استمرار يته ، و قد اعتبرت الأزمات

[610]– القادري بوتشيش ، إضاءات ، ص 88 .

[611]– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 198 – 199 .

[612]– بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 113 .

[613]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 155 .

[614]– بو لقطيب ، المرجع السابق ، ص 128 .

السياسية الحروب و الفتن و اضطراب حبل الأمن و سيادة الفوضى سببا رئيسيا في حالة الانهيار الاقتصادي الذي شهدته الدولة في الفترات الأخيرة من عمرها[615] .

و تعتبر الدولة الموحدية المسؤل الرئيسي عن حالة التأزم الاقتصادي الذي عرفته بلاد المغرب الإسلامي خاصة في بداية القرن السابع الهجري ، فبعد أن رأينا كيف ساهمت في إنتاج اقتصاد حربي موجه للخدمات العسكرية و تأثيراته السلبية على جميع الأصعدة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، لا يخفى الدور الذي لعبه خلفاء الموحدين في تشجيع الهجرات الهلالية خاصة إلى المغرب الأقصى و استقرارها به و تأثير ذلك على الاقتصاد و استقرار الدولة فقد عاث هؤلاء الأعراب[616] في البلاد فسادا ، و قطعوا الطرق و امتهنوا اللصوصية و مارسوا أعمال النهب و السلب و خربوا الزرع و هدموا المساكن[617] ، و قد تزامنت هذه الممارسات الخطيرة مع ضعف رهيب على مستوى السلطة المركزية التي عجزت في مرحلة انحلال الدولة عن الوقوف في وجه الأعمال التخريبية للأعراب ، بل نلاحظ توجهها في الكثير من الأحيان إلى مداراتهم و مجاملتهم و منحهم الامتيازات من أجل ضمان تحالفهم معها كما كان الحال مع الخليفة الموحدي الرشيد[618] الذي تحالف مع عرب

---

[615]- عز الدين عمر موسى ، دراسات ، ص 114 .

[616]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 73 ؛ جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقاتها ببلاد المشرق في العصر الوسطي ، تر: محمود عبد الصمد هيكل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1931 ، ص 324 – 325 ؛ عبد الحميد خالدي ، المرجع السابق ، ص190 .

[617]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص310؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 36 .

[618] – هو عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، بويع بالخلافة سنة 630 هـ ، أنظر : ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص255 .

الخلط[619] و لا غرابة أن نقول و من دون مغلاة أن تعسفات الأعراب التي أشرنا إليها كانت إحدى الأسباب التي أدت إلى ضعف الاقتصاد و إفقار الناس و تجويعهم[620] .

و لم يغب العامل الطبيعي عن لعب دوره كعامل من عوامل الانحطاط الاقتصادي الذي شهده المغرب في النصف الأول من القرن السابع الهجري ، فقد شكلت الجوائح هاجسا مدمرا للحياة الاقتصادية في هذه المرحلة الحساسة ، حيث شهدت الدولة موجات متتالية من الجفاف و الجراد تزامنت مع واقع أمني مزر عقب واقعة العقاب ففي المغرب الأوسط حل الجفاف و ألحق خسائر كبيرة بالمزارعين و تسبب في غلاء الأسعار و حدوث مجاعات سنة (610 هـ - 1214م)[621] و في(617 هـ - 1220 م)[622] و الأندلس حل الجراد و القحط و تبع ذلك أيضا شح في الموارد الغذائية و حدوث مجاعة واسعة و الشيء نفسه كان سنة(637 هـ - 1239م).

كما تسببت الأوبئة في ركود الحركة التجارية بسبب خوف التجار دخول المناطق الموبوءة و لعل أخطر وباء ضرب المنطقة هو وباء(610 هـ - 1228م)[623] ، و يضاف إلى ما سبق ذكره الأثر الخطير الذي كانت تخلفه السيول كما حدث سنة (626 هـ - 1228م) عندما ضرب فاس سيل عظيم و خلف دمارا كبيرا على البنية الاقتصادية[624] ، و يمكن الحديث عن عوامل أخرى و لو

---

[619]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 298 ؛ ابن زرع ، الأنيس المطرب ، ص 159 .

[620]- Dhina , op , cit , P344 ، غير أن هناك من الباحثين من يرى عدم مجاراة المستشرقين في تحميل العرب المسؤولية على كل أعمال التخريب و النهب و الفساد في المغرب بعد حلولهم به لأن هذه الأفكار غالبا ما تحمل في طياتها الكثير من الإجحاف في حق العرب ، و تفوح منها رائحة الحقد الصليبي و التميز العنصري ، لأنه لا يمكن إنكار الدور الذي لعبه العرب في الدفاع عن بلاد المغرب و إعلاء راية الجهاد بها ناهيك إسهاماتهم في الحياة الاقتصادية ، أنظر : مصطفى أبو ضيف ، المرجع السابق ، ص155 .

[621]- الغبريني ، المصدر السابق ، ص 135 ؛ التدلي ، المصدر السابق ، ص 429 .

[622]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 288 .

[623]- السلاوي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 237 - 238 .

[624]- بو لقطيب ، المرجع السابق ، ص 60 .

بدرجة أقل ،كما هو الحال مع الحرائق خاصة إذا علمنا ضعف الإمكانيات الموفرة للإطفاء ، الأمر الذي أدى بلا شك إلى أضرار مهولة على الاقتصاد ، و يمكننا الاستشهاد في هذا الصدد بالحريق الذي ضرب مراكش (607هـ - 1220 م) و تسبب في خسائر كبيرة رافقتها أعمال السلب و النهب للمتاجر و المحلات التي مارستها الغوغاء[625] .

و قد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى أحداث شلل في الحياة الاقتصادية خاصة النشاط الزراعي منها الذي عرف ضعفاً و شحاً على مستوى الإنتاج بسبب هجرة الفلاحين لأراضيهم و توجههم نحو المدن ، و نفس المصير لقيه القطاع الحرفي فقد عرف هذا النشاط تراجعا خطيرا بفعل شح الموارد الأولية الذي تسبب فيه تدهور النشاط الزراعي و تأثير الوضع الأمني السلبي على التجارة ما شكل عائقاً أمام عملية تسويق المنتجات الحرفية ، إضافة إلى المكوس و المغارم التي أثقلت كاهل الناس ، ناهيك عن أعمال التخريب التي لحقت بالورشات و المنشآت الحرفية و دور الصناعة بسبب الحروب الطاحنة التي خاضتها الدولة[626] .

و تعرضت التجارة داخليا و خارجيا إلى نكسة عظيمة ، فقد توقفت القوافل عن السير بسبب انتشار قطاع الطرق و حالة انعدام الأمن السائدة و تراجع الصناعة و مما زاد الأمور تدهورا المغارم و المكوس التي فرضت على كل السلع صادرة أم واردة[627] .

و أمام هذا الوضع الاقتصادي المزري ظهرت مشكلات اقتصادية أخرى أظهرت هشاشة النظام الاقتصادي للبلاد و زادت من حدة التدهور الاجتماعي ، كما كان الحال مع بروز ظاهرة الاحتكار حيث لجأ الناس إلى تخزين الزرع ، وكل أنواع الأغذية ، عند نشوب الحروب تحسبا لكل ما قد ينجم عنها من شح العيش أو نقصان في موارد التموين ، و قد عمل كبار المحتكرين من التجار على

[625]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 257 .

[626]– محمد المنوني ، الإمبراطورية الموحدية في دور الانحلال ، ص 57 .

[627]– هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 382 .

استغلال مثل هذه الظروف لتسويق بضائعهم بأثمان مضاعفة من أجل تحقيق أرباح طائلة من وراء هذه العملية و بطبيعة الحال على حساب العامة و المستضعفين و من الشواهد التاريخية على ذلك عمليات الاحتكار الواسعة التي عرفتها مراكش سنة (632 هـ - 1234م) بسبب خروج الخليفة عبد الواحد الرشيد في حملته ضد عرب الخلط ، و قد صاحب ذلك حدوث مجاعة عظيمة ألمت بالناس رغم أن مخازن المحتكرين كانت قادرة على توفير حاجيات الناس الغذائية[628] .

و تعرضت البنى التحتية الاقتصادية إلى حملات التخريب و الدمار و الهدم بسبب الحروب ، و لا تخفى النتائج السلبية على الاقتصاد الناجمة عن هجر الناس لمساكنهم و ممتلكاتهم ، فقد ترك الناس ورشاتهم الحرفية و أراضيهم الزراعية هروبا من حالة الفوضى و نجاة بأنفسهم الشيء الذي أدى إلى عودة نشاط البداوة و الترحال على حساب التمدن ما شكل ضربة قاسمة للاقتصاد الإنتاجي[629]

و قد تبع هذا التأزم الاقتصادي خصاص مالي عويص عانت منه الخزينة الموحدية بعد واقعة العقاب إلى درجة أن الخليفة المرتضى لم يجد ما يؤدى به رواتب الجيش النظامي بسبب فراغ بيت المال في غالب الأوقات[630] .

3 – إجحاف النظام الجبائي

لا سبيل إلى الإنكار أن الضرائب بمختلف أنواعها تعتبر موردا ماليا هاما يساهم بدرجة كبيرة في دخل الدولة ، فقد ربط ابن خلدون هذه الضرائب بعمر الدولة التي تكتفي في بداية عمرها بفرض الضرائب الشرعية كالزكاة و الخراج و الجزية في حين تستحدث في مرحلة انحلالها ضرائب و مغارم

[628]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 325 .

[629]– بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 101 – 103 .

[630]– ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 407 .

جديدة و بذلك تكثر المغارم و الإتاوات على الفلاحين و التجارة الباعة في الأسواق و يؤذن ذلك باختلال العمران و يعود ذلك على الدولة بالاضمحلال[631].

و من المعلوم أن الدولة الموحدية و حتى نهاية القرن السادس هجري / الثاني عشر ميلادي قد انتهجت سياسة ضريبية محكمة لاسيما و أنها نبذت ما استحدثه المرابطون من ضرائب و مغارم غير شرعية أواخر عمر دولتهم ، فخلال المرحلة التأسيسية للدولة الموحدية ، كانت الضرائب و المغارم الشرعية قد اقتصرت على العشور و الخراج[632] و الجزية و أخماس المعادن و الغنائم ، و كانت تستوفي من بلاد المغرب جباية وافرة فقد اتسع خراجها على عهد الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن حيث كان يرتفع إليه خراج افريقية و حملته كل سنة مائة و خمسون بغلا خلا بجاية و أعمالها و تلمسان[633] .

ولقد اتبعت الدولة الموحدية سياسة جبائية صارمة مبنية على محاسبة عمال الجباية حسابا عسيرا ، فقد كانت تنقلهم من مكان إلى آخر حتى لا تشتد شكوتهم ، فإذا تيقنوا أنهم غضبوا كان مصيرهم الامتحان أو العقاب أو المصادرة ، فقد عوقب شيخ كومية أبو زكريا بن حيون و ابنه الذي كان مشرفا على تلمسان و غيرهم سنة (579 هـ - 1183م)[634]، مثلهم كان مصير عمال الجباية في المناطق الأخرى من بلاد المغرب و كل ذلك من اجل الحفاظ على أموال الرعية و الدولة من النصب و قد جعلت الدولة الموحدية القبيلة هي الوحدة الأساسية لجمع الضرائب[635] ، و بفضل هذه السياسة الجبائية المحكمة تمكنت من توفير موارد ضخمة قامت باستغلالها في مختلف المشاريع[636] ،

---

[631]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 263 ؛ Telb Abdesslem , op , cit , p 61.

[632]- احمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ج1 ، ص 64 ؛ ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 193 – 194 .

[633]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 181 .

[634]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 155 .

[635]- عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 178- 179.

[636]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 206 .

غير أن هذا النظام الضريبي بدأ يسير نحو الإجحاف و الظلم في الفترة التي تلت موقعة العقاب ، فالسلاطين لم يفكروا في تغيير عاداتهم في العطاء و البذخ ، إضافة إلى أن اتساع مساحة الدولة و ما يفرضه من زيادة في إعداد الجند يؤدي حتما إلى زيادة الأعباء المالية خاصة إذا علمنا أن هذه الفترة عرفت تدهورا أمنيا رهيبا بسبب الفتن و التمردات و الحروب و يزيد الأمر استفحالا بابتكار الحيل من طرف المتنفذين للتهرب من أداء حصصهم الضريبية ، و عليه فإن تعثر الجباية و تناقض الخراج يصبح هاجسا يفرض على السلطان الزيادة في قيمة المكوس و المغارم المفروضة على الرعية[637] ، و داخل هذا السياق نفهم تلك الإشارة الواردة عن الإدريسي في قوله : " و كانت أكثر الصنع متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان و الصابون و المغازل و كانت القبالة على كل شيء يباع دق أو جل كل شيء على قدره "[638].

و كان لغياب السلطة المركزية و ممثليها على الصعيد الإقليمي أثر كبير في تفشي أعمال السطو و النهب و استرقاق النساء و اقتحام الديار و مصادرة الأملاك و مطالبة من هب و دب الرعية بمغارم مجحفة و يتوعدونهم بحرق الزرع و القتل إن توقفوا عن ذلك[639] ، فإبن مردنيش أثقل كاهل الرعية في المدن التي سيطر عليها بالضرائب و المكوس المختلفة من أجل تمويل أعمال حربية ضد الموحدين ، و يذكر لسان الدين بن الخطيب أنه جعل على الأعراس و المآتم رسوما و حتى على المواشي و الدواب[640] .

---

[637]- بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 106 .

[638]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 235 .

[639]- بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 209 .

[640]- لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 88 .

أما العرب فقد استغلوا هذا الضعف و الانحلال في جسم الدولة ، فقطعوا الطريق و هاجموا السابلة و المدن و القرى و فرضوا عليها إتاوات[641] .

و مما زاد في حدة الإجحاف الضريبي ظهور الإقطاع الجبائي الذي منحه الخلفاء لشيوخ القبائل و قادة العسكر من أجل الحفاظ على ولائهم في ظل الضعف الذي عرفه الخلفاء المتأخرون و في هذا المنحى يذكر ابن عذاري أن الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد و لكي يستميل ابن وقاريط أحد شيوخ هسكورة إلى صفه أنعم عليه بمجبي هزرجة و أغمات و ريكة و كتب له بذلك ظهائره[642]، و لم ترحم تلك الشخصيات المتنفذة سكان الاقطاعات التي كانت تحت رحمتهم و أصبح الإقطاع عبارة عن مجال سكاني لجمع المال و لو بالقوة الأمر الذي زاد من معاناة الرعية و تدهور أحوالها الاجتماعية[643] .

رابعا : العوامل الاجتماعية

1- تحلل العصبية المصمودية

شكلت العصبية المصمودية حجر الأساس الذي بنيت عليه الدولة الموحدية فقد أنشأ ابن تومرت مشروع دولته على أكتافها الذين تبنوا دعوته و دافعوا عنها و عملوا على نشرها بكل قوة و شراسة [644]، غير أن الدراس المتمعن في تاريخ هذه العصبية يرى حالة التلاشي و الوهن الذي عاشته في

---

[641]- البادسي عبد الحق بن إسماعيل ، المقصد الشريف و المنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، ط2 ، تح : سعيد إعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1414-1993 ، ص 61 ؛ غناي ، سقوط الدولة الموحدية ، ص265 .

[642]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 304 .

[643]- مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927 هـ/1192 – 1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، تحت إشراف : محمد الأمين بلغيث ، جامعة منتوري ، قسنطينة 1429 - 1430 / 2008 – 2009 ، ص 73 .

[644] – ابن خلدون، العبر، ج6ص 276 ؛ الزركشي ، المصدر السابق ، ص06 ؛ النويري ، المصدر السابق ، ج24 ، ص155 ؛ بوزيان الدراجي ، العصبية القبلية ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2003 ، ص72 .

مرحلة انحلال دولة الموحدين ومنه تظهر علاقة الترابط بين قوة الدولة و قوة العصبية و العكس صحيح .

و يمكن الإقرار بأن تلاشي العصبية المصمودية كان سببا في انحلال الدولة و سقوطها، فقد أصبحت عاجزة عن نجدة الدولة المتهالكة و من جهة أخرى أضحت الدولة غير قادرة على توفير الأمن و الاستقرار للمصامدة [645].

ويمكن إرجاع هذا التحلل الخطير على مستوى العصبية المصمودية و الولاء لها إلى تفرد الخلفاء و الأشياخ و الوزراء و عمال الدولة و من يدور في فلكهم و استئثارهم بوسائل الإدارة و التسيير وفقا لما تمليه مصالحهم المتناقضة و الخاصة[646]، ما أدى إلى تلاشي روح التضامن و الوحدة بين بطون مصمودة بعد أن شعر أغلبهم أنهم مجرد أدوات في يد الخلفاء لبسط نفوذهم و سيطرتهم[647] ، إضافة إلى ذلك كان طابع القساوة و الإخضاع الذي تميزت به سياسة الموحدين أحد أهم أسباب تداعي هذه العصبية فالكثير من المصامدة اعتنقوا عقيدة ابن تومرت خوفا من بطش أتباعه و ليس اقتناعا بأدائه الفكري[648] ، ناهيك عن الترف و الانغماس في اللذات الذي تسرب إلى الخلفاء و عمالهم[649] أفقدهم أهم عوامل قوتهم ، و هي القوة و البسالة و الورع و الصلابة التي ميزت الرعيل الأول من الخلفاء و التي كانت هي السبب في التفاف المصامدة حولهم [650] ، كما شكل التخلي

---

[645] – روجيه لوتورنو ، حركة الموحدين ، ص125 .

[646]– مؤنس ، المرجع السابق ، ص 08 – 09 .

[647]– ابن خلدون ، المقدمة ، ص 178 .

[648]– عبد الحليم عويس ، دراسة في سقوط ثلاثين دولة ، ص 83 .

[649]– ابن عذاري ، المصدر السابق، قسم الموحدين ، ص 440 ؛ حركات المرجع السابق ، ج1 ، ص 287 – 288 ؛ بوزيان الدراجي ، المرجع السابق ، ص193 .

[650]– ابن خلدون ، المقدمة ، ص 175 ؛ الجابري ، المرجع السابق ، ص 188 .

التدريجي عن العقيدة التومرتية[651] ضربة قاسمة للعصبية المصمودية باعتبار الترابط العضوي بين العصبية و الدين فقد شكلت هذه العقيدة رغم مآخذها الكثيرة عاملا هاما للتضامن بين بطون مصمودة و دافعها للالتفاف حول مشروع ابن تومرت السياسي .

وكان من أسباب ذلك الانحلال في حبل الأمن و التضامن بين قبائل مصمودة دخولها في الصراعات التي دار بين بني عبد المؤمن فقد شكلت قبائل هنتانة و أهل تنملل و كدميوة تجمعا كانت هسكورة ضده ، فعندما بايع التجمع يحي امتنعت هسكورة ، ولما بدأت بوادر الصلح بين الرشيد و التجمع صاحب ذلك تبدل في موقف هسكورة لتتحول إلى يحي بن الناصر ، وتكرس موقف هسكورة مع يحي سنة (633-1235م) بعد أن انضمت هنتانة و أهل تنملل إلى الرشيد سنة (632 – 1234م) ، وهكذا رافق النزاع على العرش نزاع دام بين القبائل الموحدية[652] ، تسبب في انهيار العصبية المصمودية التي كانت حاضنة الدولة و أحد أبرز عوامل قيامها .

2- تفكك النسيج البشري للمجتمع الموحدي

تعرض التركيب البشري للمغرب الإسلامي إلى تغير عميق خلال العهد الموحدي تسبب في الكثير من الأزمات و الفتن و التمردات التي لا يكاد يخلو منها يوم من أيام الدولة الموحدية ، فقد هاجرت القبائل المصمودية و الصنهاجية من مواطنها الأصلية في جبال الأطلس تاركة فراغا كبيرا فتح المجال أمام قبائل مغمورة كهسكورة[653] و زناتة للحلول محلها ما أدى إلى ظهور قبائل ليست لديها علاقة بالمشروع التومرتي شكلت عامل تهديد لاستقرار الدولة و أمنها كقبيلة تاجرا التي كانت تقيم بوادي درعة ثم انتقلت في العصر الموحدي إلى شمال المغرب غرب نهر ملوية و تحالفوا مع أبناء

651- أحمد العزاوي ، الرسائل الموحدية ، ص 40-91 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 317 .

652 - عز الدين عمر موسى ، دراسات ، ص106 .

653- و هم أشهر قبائل المصامدة ، و فيهم بطون كثيرة أوسعها بطن هسكورة ، انظر: ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 354 .

عمومتهم المسوفيين من بني غانية الثائرين على الدولة الموحدية المناوئين لها[654] ، كما انتقلت قبيلة بني مرين الزناتية من مواطنها ببلاد الزاب إلى جنوب المغرب الأقصى بدفع من الخلفاء الموحدين من أجل استخدامهم كعناصر في الجيش غير أن هذا الحال لم يستمر طويلا فبنو مرين أصبحوا بعد حين أحد أهم القوى المعادية للموحدين[655] و التي ساهمت في إسقاطها بقسط كبير بسبب حروبهم المتواصلة ضد الخلفاء الموحدين خاصة في عهد الخليفة المرتضى و السعيد .

كما كان إقدام عبد المؤمن و المنصور على حمل القبائل العربية على القدوم إلى المغرب الأقصى خطأ فادحا ساهم بقدر كبير في تفكيك البنية البشرية الموجودة بالمغرب و تسبب في حدوث اضطرابات و فتن كبيرة ، وساهم بقدر كبير في تفكيك البنية البشرية الموجودة بالمغرب و تسبب في حدوث اضطرابات و فتن كبيرة ، و ساعد في تفاقم الأوضاع التي ما فتئت تدنو من الفوضى ، فهؤلاء العرب لم يرتبطوا بأي رابط و لم يضبطهم أي ضابط بخلاف ما كان عليه معظم قبائل البربر التي كانت تضبطها التحالفات العرقية و التقاليد القوية[656] .

و رغم مشاركتهم الفاعلة في الجيش إلا أن مشاركتهم كانت سلبية في أغلب الأحيان لرفضهم النظام و عدم امتثالهم لأوامر القادة و ميلهم إلى روح التمرد و العصيان في أغلب الأحيان[657] .

فهؤلاء الأعراب لم يتوانوا في التحالف مع أفضل مساوم ، ولم يترددوا في تبديل مواقفهم إذا اقتضت مصالحهم ذلك[658] ما يعني أنه كانت لهم يد في الثورات و التمردات التي قامت ضد الموحدين .

---

[654]- مؤنس ، المرجع السابق ، ص 09 – 10 .

[655]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ص 182

[656]- روجي لوتورنو ، حركة الموحدين ، ص 118 – 119.

[657]- صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 70- 71 .

[658]- روجيه لوتورنو ، حركة الموحدين ، ص 119 .

و على ضوء المعطيات المتوفرة لدينا يتأكد جليا أن التحولات الاجتماعية الناتجة عن التدافع القبلي خلال العصر الموحدي لم تبلغ مداها و لم تصل إلى درجة وضع يستوعب التنوع السكاني العربي البربري[659] ، الأمر الذي ساهم في تصدع البناء الاجتماعي للدولة الموحدية تصدعا عضويا فقدت فيه الدولة أحد أهم مقوماتها البنائية متمثلة في القبائل الموحدية الموالية و على رأسها مصمودة خاصة و أنها أصبحت غير قادرة على رد هجمات الزناتيين المتكررة[660] ، ففي الوقت الذي نتحدث فيه عن خلافة الرشيد كان خطر بني مرين قد بلغ مبلغا جعل بلاد صنهاجة تحت رحمتهم ، أما الأعراب فكانوا يتحركون بكل حرية و دون أي رادع فقطعوا الطرق و هاجموا المدن و القرى و جمعوا الإتاوات و تدهور أحوال الناس الاجتماعية مما ساهم في حالة تذمر عميق بينهم من الخلافة القائمة و أصبحوا يترقبون أي مخرج من هذا الواقع الاجتماعي المزري الأمر الذي عجل بضعف الدولة و انحلالها[661] .

3 – تفشي مظاهر الترف و المجون

على الرغم من تعدد العوامل التي ساهمت في وضع نهاية للدولة الموحدية فإنه لا يمكن إغفال العامل الأخلاقي الذي لعب دورا مؤثرا في هذا المصير الذي آلت إليه الدولة ، فقد أصبحت القناعات الأساسية لدى معظم الباحثين و المتخصصين في فلسفة الحضارات الإنسانية أن العنصر الأخلاقي هو العنصر القوي و الفعال في الحفاظ على تماسك المجتمعات و تثبيت كيانها ، و كلما قلت مناعة هذا العنصر ، و دبت إليه عوامل الفساد كلما كان ذلك مؤشرا على تصدع المنظومة الحضارية لتلك المجتمعات ، و قد فطن ابن خلدون منذ القرن الثامن هجري (الرابع عشر ميلادي) إلى أبعاد الجانب الأخلاقي و دوره في سقوط الدول و انهيار الحضارات فأشار إلى ذلك في قوله " من مفاسد الحضارات الانهماك في الشهوات و الاسترسال فيها لكثرة الترف ، فيقع التفنن في شهوات

---

[659] – يوسف عابد ، المرجع السابق ، ص 25 .

[660]– مؤنس ، المرجع السابق ، ص 163 – 170 .

[661] – مراجع عقيلة ، سقوط الدولة الموحدية ، ص 263 – 264 .

الفرج بأنواعها من الزنا و اللواط .... " و في نفس الصياغ عبر ابن خلدون عما ينجم من نتائج وخيمة " إذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه و دينه فقد فسدت إنسانيته و صار مسخا على الحقيقة "[662] .

و لاشك في أن القواعد الخلدونية لها ما يبرزها في مبحثنا هذا فقد عايش ابن خلدون المحنة الأخلاقية التي عرفها المغرب الإسلامي و لاحظ بالعيان دورها في تصدع الكيان الإسلامي خاصة في الأندلس ، و علية انطلاقا من الرؤية الخلدونية المؤسسة على قوانين تاريخية مضبوطة مستمدة من عمق خبرته في الكتابة نحاول القيام بقراءة في إحدى العوامل التي أسهمت في إحداث الخلل الذي عرفته الدولة الموحدية ، وأسفرت على سقوطها في النهاية[663] .

حاول ابن تومرت و خلفاؤه أن يركزوا في أذهان الناس صورة ارتباط دولتهم بنهج إصلاحي شامل ، جوهره " إحياء الدين " و " تجديد العقيدة "[664] ، و لربما أوحى ذلك إلى بعض الباحثين أن الحياة الاجتماعية على عهد الموحدين كانت تستمد مظاهرها من النهج الذي شرعه ابن تومرت [665] .

إلا أن الحياة لم تكن في الواقع على تلك الصورة المثالية المرتجاة ، إذ أن كثيرا مما أنكره ابن تومرت على المرابطين كان سمة لم يبرأ منها عصر الموحدين ، و حسبنا أن نتخذ من ظاهرة شرب الخمر دليلا على صحة ما نذهب إليه ، فإنها كانت من أبرز المظاهر التي هاجمها الداعية الموحدي[666] ، غير أن هذا المسلك الذي انتهجه ابن تومرت و خلفاؤه من بعده لم يعدوا أن يكون نوعا من الدعاية

---

[662]- ابن خلدون ن المقدمة ، ص 175 .

[663]- القادري بوتشيش ، اضاءات ، ص 148 .

[664]- ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص 173 .

[665] - عبد الله علي علام ، المرجع السابق ، ص 164 .

[666]- البيذق ، المصدر السابق ، ص 32 ؛ ابن القطان ، المصدر السابق ، ص 92 .

السياسية التي تهدف إلى إعلان عهد جديد يشكل قطيعة مع نظام الحكم البائد[667] و يكفي أن نستحضر – بهذا الصدد – ما اشتهرت به منتزهات الأندلس – على عهد الموحدين – كمنتجعات لأهل اللهو و المجون، فمنتزه اشبيلية الواقع على ضفتي واديها لم يكن حسب الشقندي " يخلو من مسرة ، و أن جميع أدوات الطرب و الشرب فيه غير منكرة و لا نَاهِيَ عنها و لا منتقد "[668] ، كما عرفت خمرة مالقة بأنها مشهورة و مفضلة[669] ، و قد قيل عن أهل برشانة[670] أنهم " يداوون بالسلافة علل الجلافة "[671] .

أما في المغرب فقد كان أهل جبل درن من المصامدة لا يستغنون عن شراب الرب لمقاومته برد الجبل و ثلجه[672] ، و كان من حولهم أهل السوس الأقصى يتخذون شرابا اسمه " انزير " يقول عنه الأدريسي انه حلو يسكر سكرا عظيما[673] ، و لم تخلُ مراكش نفسها من أماكن مهيأة لشرب المسكرات ،كما كان بعض مرتاديها ينفقون كل ما لديهم في احتساء أقداحها[674] .

---

[667]– لخضر بولطيف ، المرجع السابق ، ص 375 .

[668]– المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص 212 .

[669]– الحميري ، المصدر السابق ، ص 548 .

[670]– من حصون بسطة ، عمل جيان ، يقع على مجتمع نهرين و هو من أمنع الحصون موقعا أثرها عمارة ، أنظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص 88 .

[671]– بولطيف ، المرجع السابق ، ص 375 .

[672]– مجهول ، الاستبصار ، ص 211 .

[673]– بولطيف ، المرجع السابق ، ص 376 .

[674]– التدلي ، المصدر السابق ، ص 423 .

و ليس من باب المصادفة أن تلحق تهمة شرب الخمر ابن الخليفة عبد المؤمن محمد الذي أسقطت عليه ولاية العهد بسبب شربه الخمر و ظهور السكر عليه[675] ، و مما يؤكد هذا الواقع شيوع الخمريات في أدب الموحدين ليكشف القناع عن استشراء هذه الظاهرة في العديد من الأوساط[676] .

كما انتشرت في مرحلة انحلال الدولة أمراض اجتماعية أخرى من قبيل ظاهرة عشق الغلمان[677] و الدعارة[678] ، و مجالس اللهو و الغناء[679] ، ولم يكن إقبال أوساط من المجتمع على ألوان اللهو و المجون سوى صورة مصغرة عما يدور في تصور الأمراء و الولاة و علية القوم ممن لا يرتفع عليهم يد قاض ، و لا تعاينهم رقابة محتسب[680] .

كل هذه القرائن تعكس انحراف الموحدين خاصة الرعيل الأخير عن القواعد الإصلاحية التي نادوا بها في بداية دعوتهم الإصلاحية ، و انجرافهم في تيار حضارة مدنية استهلاكية ، قوامها التفنن في الترف و البذخ و الإسراف في الإنفاق ، و نعتقد أن هذا الانحراف في الجانب الأخلاقي من قبل الدولة و انغماسها في حضارة مترفة كان وراء المصير الذي آلت إليه .

4 – الجوائح و الأوبئة

شهدت الدولة الموحدية في طور انحلالها الكثير من الفتن و الحروب ، غاب معها الأمن و ضاعت البلاد في حالة من عدم الاستقرار صاحبها انتشار واسع للفوضى و تدهور الاقتصاد ، و غرقت الدولة في وحل الأزمات السياسية الناتجة عن الصراع على السلطة ، و في الوقت نفسه

[675]– ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص216 .

[676]– محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، ص97.

[677]– المقري ، رياض الأزهار ،ج5 ص 151 .

[678]– ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج 2 ، ص 520 .

[679]– القادري بوتشيش ، اضاءات ، ص 134 .

[680]– لخضر بولطيف ، المرجع السابق ، ص 378 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 283 – 289 ؛ محمد المنوني ، الدولة الموحدية طور الانحلال ، ص 58 .

تعرضت البلاد لهجمات واسعة من طرف النصارى و العصبيات المنافسة للموحدين ، و صاحب هذا الوضع الحرج جوائح طبيعية كالجفاف و الجراد أدت هذه العوامل المجتمعة إلى تدهور خطير للأوضاع الاجتماعية ، و تردٍ في الحالة المعيشية و الصحية للسكان زاد من حدته توالي المجاعات و الأوبئة التي ضربت أجزاء واسعة من بلاد المغرب الإسلامي تاركة وراءها هلاك أعداد كبيرة من السكان .

و رغم أن الجوائح و الأوبئة لم تغب عن المشهد الاجتماعي للدولة الموحدية منذ قيامها ، غير أنها لم تكن بالحدة و الخطورة و العدد الذي أصبحت عليه بعد هزيمة العقاب 609هـ، فقد أدت هذه الهزيمة إلى هزة خطيرة في أركان الدولة تكاثرت معها كوارث الجفاف و المجاعات بفعل تراجع دور السلطة للمركزية في التخفيف من هذه الأزمات حتى أنه لا يكاد الفرق بين مجاعة و أخرى زمنيا يتعدى سنة واحدة ، ففي ظرف 37 سنة من (614 – 651) شهد المغرب عشر مجاعات ، و هكذا فإن عدد المجاعات مقسوما على عدد السنوات يدفع إلى القول أن المغرب شهد في النصف الأول من القرن السابع مجاعة كل ثلاث سنوات[681] .

وعلى سبيل الاستشهاد نذكر أن الأندلس لم يغب عنها مشهد المجاعات[682] هي كذلك ففي سنة (590 هـ – 1197م) شهدت سبتة قحطا أضر كثيرا بأهلها[683] ، و في سنتي(617 – 618 هـ / 1220 – 1221م) عرفت غرناطة مسغبة شديدة ذكرها ابن عبد الملك في ترجمته لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن صالح القيسي[684] و يشير ابن الخطيب أن المدينة أصابها قرح سنة (631

681– ا بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 47 .

682 – أنظر : الملحق ، ص159 .

683– أحمد بابا التنكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج1+2 ، ط1 ،إشراف و تقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1398 – 1989 ، ص 212 – 243 .

684– ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة ، ج5 ، ص 645 .

هـ - 1292م)[685] ، و في سنة(645 هـ - 1247م) وقعت مجاعة عظيمة باشبيلية فمات خلق كبير بسبب حصار النصارى لها و عدمت الأطعمة و أكل الناس الجلود بسبب ذلك[686].

ولم تكن العدوة المغربية في معزل عن المجاعات و سنوات القحط و الجفاف ، ففي بجاية حلت المجاعة بسبب القحط في (610 هـ - 1214 م)[687] ، و في الإطار نفسه يكشف لنا ابن عذاري بقدر من التفصيل عن حيثيات مجاعة شديدة شكاها البدو الحضر و تسببت في هلاك كثير من الناس و قد أخذت هذه المجاعة بخناق بلاد المغرب سنة (616 هـ - 1219 م) و كان أولها قحط شديد في سنتي(614 – 615 هـ/1217 – 1218م) ، و كانت قبائل المصامدة تسمي هذه السنة " سنة و قليل "[688] و يتحدث ابن أبي زرع عن وقوع مجاعة و غلاء بسبب القحط و الجراد في سنة(617 هـ - 1220م)[689] ، و في سنة(620 هـ – 1223م) ابتليت البلاد بالبلاء نفسه حيث حل القحط بسبب انحباس المطر و الجراد مما تسبب في حدوث غلاء[690] ، و في سنة (630 هـ - 1232م) وقع غلاء ببلاد المغرب و كثر بها الجوع بسبب انحباس المطر ما تسبب في نزوح الناس و موتهم جوعا[691] ، و في سنة (632 هـ - 1240م) وقع قحط و قلة أمطار ببلاد المغرب أدى إلى ارتفاع الأسعار بسبب كثرة الفتن و قلة الأمطار[692] ، و في سنة (636 هـ - 1240م)

---

[685]- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 131 – 132 .

[686]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 380 ؛ فخري الوصيف ، المجاعات في الأندلس ، مجلة الفسطاط ، www efustat.blogspot.com، ص 19 .

[687]- الغبريني ، المصدر السابق ، ص 135 ؛ التدلي ، المصدر السابق ، ص 429 .

[688]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 266 .

[689]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 288 .

[690]- مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 113 .

[691]- السلاوي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 237 .

[692]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص325-326 .

حل ببلاد المغرب غلاء فاحش عم أرجاء البلاد و تسبب في مجاعة خطيرة أكل الناس إثرها بعضهم بعضاً و كان يدفن في الحفرة الواحدة مئة من الناس[693] .

إضافة إلى الفتن و سنوات القحط و المجاعات عانى المجتمع الموحدي الأوبئة و الأمراض المستعصية التي كان لها الأثر الواضح على البنية السكانية ، و على المستوى المعيشي و الصحي للناس فقد حل الوباء ببلاد المغرب سنة (610 هـ - 1213م)، إضافة إلى الوباء سنة (630 هـ - 1232م) و وباء سنة (635 هـ - 1237م) إضافة إلى الجوائح و الأوبئة السابقة شكلت الفيضانات و السيول عامل تهديد آخر لسكان المغرب في هذه المرحلة االعصيبة التي تميزت بكثرة الفتن و الإضرابات الاجتماعية ، فقد تحدثت المصادر عن السيل العظيم الذي ضرب مدينة فاس (626 هـ - 1228م) و تسبب في دمار و خراب عظيمين .

كانت هذه الجوائح بتنوع أصنافها و الأوبئة عبئاً أثقل كاهل الدولة الموحدية المتهالكة أصلا ، فقد انجرت عنها أثار وخيمة و مدمرة على الحياة الاجتماعية ، حيث كثرت مظاهر السرقة و السلب و النهب التي لم تنج منها حتى ممتلكات الأولياء و الصالحين ، كما كثرت مظاهر سلبية أخرى مثل التسول و الأرامل و البغاء بفعل التدهور الحاد في الحياة الاجتماعية الموحدية[694] و قد تزامنت هذه الحالة مع واقع انعدم فيه الأمن و الاستقرار و كبرت فيه الهوة بين السلطة و السكان و تعالت معه الأصوات الداعية إلى الخلاص من هذا الحكم الذي تسبب بقدر كبير في المعاناة الاجتماعية التي كان يعيشها الشعب بفعل سياسة القتل و التصفية التي مارسها الموحدون من أجل إرساء حكمهم ، و انضمت بسبب ذلك طبقات واسعة من المجتمع إلى العصبيات المعادية للموحدين قصد الخلاص من حكمهم .

---

[693]- السلاوي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 237 .

[694]- بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 61- 68 .

يتضح مما ورد أن أسباب سقوط الدولة الموحدية لم تكن حكراً على العوامل السياسية ، بل هي نتاج تدهور شامل أصاب جل المكونات الحضارية للدولة بمختلف أوجهها الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية ، فتناقضات العقيدة التومرتية و المعارضة التي قادها الفقهاء و المتصوفة و تدهور الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية شكلت إلى جانب الأوضاع السياسية المتردية عوامل متفاعلة أودت بحكم الموحدين و قوضت سلطانهم .

الفصل الثالث

تداعيات انهيار الدولة الموحدية

- تمهيد

أولا: التداعيات السياسية

ثانيا: التداعيات الثقافية

ثالثا : التداعيات الاقتصادية

رابعا : التداعيات الاجتماعية

امتلأت أيدي بني مرين بالأسلاب والغنائم[695].

وبعد هذا الانتصار زحف عبد الحق بن محيو بجيوشه إلى رباط تازا[696] ، في هذه الآونة اصطدم بأطماع منافسيه من بني عمومته بني عسكر الذين تقابل معهم في معركة ضارية بالقرب من وادي سبو[697] سنة (614 هـ – 1217م) ، انتهت بمقتله[698]، ليخلفه ابنه أبو سعيد عثمان الذي أقسم وعشيرته على الثأر لقتلاهم والانتقام من أعدائهم، فزحفوا على معسكر بني عمومتهم وحلفائهم عرب رياح ، فأثخنوا فيهم قتلا وسلبا ونهبا لأموالهم ومتاعهم ، وأرغموهم على الإذعان لسلطانهم مع دفع إتاوات سنوية[699].

واستغل أبو سعيد عثمان ضعف الموحدين وأخذ يدعو قبائل المغرب إلى الدخول في طاعته، فبايعته أغلبها و فرض عليهم الخراج ووزع عليهم العمال ، وألزم أهل فاس ومكناس وتازا وقصر كتامة بضريبة معينة يدفعونها إليه كل سنة تأمينا لطرقاتهم واتقاء لغاراته[700]، فاستطاع بذلك أبو سعيد عثمان وضع كيان سياسي لبني مرين يفرض إقامة دولة فعلية تمثلهم، أصبح لا ينقصها إلا الإعلان عنها شرعا، فاعتبر بذلك أبو سعيد عثمان المؤسس الحقيقي لملك بني مرين[701].

خلف أبو محمد بن عبد الحق أخاه المغتال أبا سعيد عثمان في (637 – 642هـ/ 1232 – 1244م)[702] وسار على سياسة سلفه في التمكين لقومه ومواصلة الجهود السياسية والعسكرية

---

[695]– ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 27– 28 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 188 ؛ ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص 348 .

[696]– ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 32– 33 .

[697]– عن موقع هذا الوادي والسهول التي يخترقها ، انظر: حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 248 .

[698]– ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص 349 ؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 33 .

[699]– ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ، ص 191 ؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 35 ؛ عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 12 .

[700]– ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 36 – 37 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7 ، ص 350 .

[701]– محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 19 .

[702]– ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 59 .

لإقامة كيان لهم ، يفرض هيبتهم ووجودهم ، وذلك بتمهيد مناطق المغرب الشمالية والاستيلاء عليها ، وإخضاع قبائلها وفرض الضرائب عليهم[703]. فكانت هذه السياسة كفيلة بتحقيق المزيد من المكاسب لبني مرين خصوصا بعدما سعى إلى إضعاف الموحدين[704] ، وفي هذه المرحلة شرع بنو مرين في التأسيس العملي لدولتهم ، فبعدما استولوا على البوادي في شمال المغرب تحولوا إلى المدن والأمصار، فحاصروا مكناس ثم سلفات[705].

ولما تولى أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق رئاسة بني مرين(642 - 656هـ/ 1244 - 1258م) ، سعى جاهدا لتحقيق مشروع سلفه في إقامة دولة فعلية ، فأظهر مواهبه في الحكم والإدارة وانكشفت حنكته السياسية بعدما أعاد تنظيم قبائل بني مرين[706] وأصلح ما بينها من خلافات وجعلها لحمة واحدة ، كما خلع أبو بكر طاعة الموحدين وجهر بها[707] ، ولما بلغ خبر مقتل الخليفة السعيد على يد يغمراسن ابن زيان إلى أبي بكر المريني استولى على أجر سيف ، وجميع حصون وقلاع وادي ملوية وسلمها إلى أخيه أبي يوسف ، ثم انتهى إلى الاستيلاء على مدينة فاس بعد أن طرد منها عاملها الموحدي ، فأقبلت عليه الوفود من معظم مناطق المغرب تعلن البيعة والطاعة ، وكان ذلك سنة (646 هـ - 1248م)[708].

---

[703]- هورية بكاي ، المرجع السابق ، 18.

[704]- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 60 .

[705]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص328 .

[706]- قام الأمير أبو يحيى بتقسيم البلاد والمناطق التابعة له إلى مقاطعات إدارية ولى على كل منها إحدى قبائل بني مرين وأسرهم وأشياخهم ، وأطلق يدهم في جباية الأموال وتحصيل الضرائب ، وطالبهم بتجنيد الجند وتأليف قلوب الناس حولهم استعدادا لمواجهة الموحدين ، كما اتخذ لنفسه شعائر الملك ومظاهره من تجيش الجيوش ، واتخاذ الآلة وضرب الطبول وعرض الجند ، انظر: ابن خلدون، العبر ، ج7، ص 353 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 194 ؛ السلاوي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 11 .

[707]- ابن خلدون ، العبر، ج6 ، ص 618 – 619 .

[708]- ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 356 – 358 ؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 72- 73 ؛ محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ج3 ، ص 532 – 532 .

و بوفاة أبي يحيى أبي بكر انتهى بنو مرين من مرحلة الاستيلاء على المدن الكبرى[709] وجعلوا من فاس عاصمة لهم ، ولم يبق من تحقيق مشروعهم في إقامة دولتهم إلا الاستيلاء على مدينة مراكش عاصمة الموحدين.

خلف أبو بكر على حكم بني مرين ولده عمر، فانقسم حينها بنو مرين على أنفسهم بين مؤيدين ومعارضين ، وانتهى الخلاف بتولية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي واصل سياسة أخيه أبي يحيى في فتح الأمصار ومد النفوذ المريني إلى المناطق والنواحي ، فاستولى على ريف تامسنا[710]، وانتصر على الموحدين في معركة أم الرجلين[711] على وادي أم الربيع سنة (660هـ - 1262م) ، ومنذ ذلك الحين أصبح وادي أم الربيع الحد الفاصل بين ملك بني مرين وملك الموحدين.

لم ينتظر أبو يوسف يعقوب طويلا للقيام بالخطوة الحاسمة في التوجه نحو العاصمة الموحدية وافتتاحها ، فتحرك نحوها سنة (661هـ أو 662هـ) - (1262م أو 1263م) على الأرجح مستغلا في ذلك الخلاف الذي وقع في البيت الموحدي بين الخليفة المرتضى وأبي دبوس الذي لجأ إلى أبي يوسف يعقوب طالبا منه العون والمناصرة على المرتضى، عاقدا معه اتفاقية فحواها تقسيم ما يستولي عليه أبو دبوس فيما هو مقبل عليه، مناصفة بينهما ، وذلك مقابل إمداده بالمال والجند في حركته للاستيلاء على عرش مراكش[712].

وتأمينا لمشروعه وتطلعا لغايته ، لم يتوان أبو يوسف يعقوب في إمداد الثائر الموحدي أبي دبوس بكل ما يحتاجه من مال وجند وعتاد، فتوجه أبو دبوس بالقوة التي زوده بها بنو مرين في ذي القعدة سنة (663هـ - 1264م) ، إلى مراكش وعسكر جنوبها ، وهناك وفد عليه أنصاره من الموحدين والجند الراغبين في خدمته وأطاعته قبائل عديدة لما أصابها من المرتضى نتيجة اتهامهم بالتواطؤ مع أبي

709- كان بنو مرين قد استولوا على مدينة القصبة وسلا وسجلماسة ودرعة ، بعد صراع طويل مع خصومهم الموحدين وبني عبد الواد .

710- السلاوي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 23 ؛ محمد عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 30 ، وعن منطقة تامسنا بحدودها وموقعها ، انظر: الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 194 – 197 .

711- وقعت هذه المعركة بين بني مرين والموحدين بوادي أم الربيع في موضع شبيه بجزر صغيرة ، ينحصر فيها الماء، فتبدو وكأنها أرجل فسميت بذلك موقعة أم الرجلين، أنظر: ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 95 – 96 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 202 ؛ ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص 369 ؛ الاستقصا ، ج3 ، ص 24 .

712- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 109 .

دبوس[713]، فانتشرت بذلك الفوضى ، وصارت لقمة سائغة تنتظر طريقها وبذلك استطاع أبو دبوس دخول المدينة بسهولة ، خاصة بعد فرار المرتضى ، وبذلك تولى أبو دبوس خلافة الدولة الموحدية تحت لقب الواثق بالله ، فوصل خبر دخول أبي دبوس مراكش إلى أبي يوسف يعقوب ، فبعث إليه يهنئه بالفتح ويذكره بالاتفاق الذي كان بينهما طالبا منه الوفاء بالعهد ، غير أن الواثق بالله تنكر لتلك الوعود[714]، فغضب لذلك أبو يوسف وعزم على غزو مراكش سنة (666 هـ - 1268م) ، التي سار إليها في جيش ضخم ، متبعا في مسيره ما يسمى سياسة الأرض المحروقة من حرق المحاصيل الزراعية وتخريب الضياع ، وتهديم الآثار وتدمير الطرقات والجسور والدور، وأغار على القبائل المؤيدة للموحدين بقوة وعنف فاضطربت أحوال المنطقة وانقطعت الموارد عن العاصمة وقلت الأقوات ، وغلت الأسعار[715] وكان أبو دبوس عاجزا عن مواجهة بني مرين منفردا فاستصرخ بحليفه يغمراسن بن زيان يستنصره عليهم ، فقام يغمراسن بشن الغارات على الأملاك الغربية لبني مرين بوادي ملوية وغيره ، متتبعا بدوره سياسة الأرض المحروقة، فاضطربت أحوال تلك المناطق ، مما اضطر أبا يوسف للانسحاب ليعد العدة للقاء بني عبد الواد ، ثم خرج من فاس ليلتقي بخصمه في وادي تلاغ إلى الشرق من نهر ملوية ، في معركة ضارية مني فيها يغمراسن بن زيان بهزيمة نكراء، و قتل فيها عدد كبير من أكابر بني زيان وفي مقدمتهم أبو عثمان بن يغمراسن، وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة(666هـ - 1267) م[716].

أما أبو يوسف يعقوب فاتجه بقواه كلها إلى الجنوب للفراغ من أمر الموحدين ، فجمع حشوده وخرج من فاس في شعبان (666 هـ - 1268م) ، وعبر وادي أم الربيع وكالعادة أفسد الزروع وخرب القرى والدور، وغزا القبائل المؤيدة للموحدين ، كتادلا وصنهاجة[717] وغيرها ، فاتخذ خطة عمادها الانسحاب والتراجع التدريجي نحو الشمال وألا يصطدم بعده إلا في المكان والزمان الذي

---

[713]- ابن خلدون ، العبر، ج6، ص 574 – 548 ؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 109 ؛ محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج3 ، ص 556 – 557 .

[714]- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 111 .

[715]- نفسه، ص 115 .

[716]- ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص 371 .

[717]- السلاوي ، الاستقصاء ، ج3 ، ص 26 .

يختاره ، وكان الجيش الموحدي يقتفي أثره من مكان لآخر حتى وصلوا إلى وادي غفو، وهناك توقف بنو مرين واستداروا للقاء الموحدين، فنشبت بينهم معركة ضارية ، انتهت بهزيمة الموحدين ومقتل أبي دبوس واستيلاء بني مرين على محلتهم ودخلوا عاصمتهم ، وذلك في محرم سنة (668 هـ - 1269م)[718]، وبمقتل أبي دبوس وسقوط مراكش في يد أبي يوسف يعقوب انتهى عصر الدولة الموحدية، وقامت دولة أخرى في ربوع المغرب الأقصى هي دولة بني مرين الزناتية[719].

امتدّت الدولة المرينية أيام أبي سعيد في الجنوب إلى معاقل الصحراء و قصور توات و تيكورارين و تنمطيت[720]، كما امتدّت في فترات أخرى إلى خارج المغرب الأقصى فامتلك يعقوب أجزاء من الأندلس قدرت بثلاثة و خمسون مسورًا ما بين مدن و حصون ، زيادة على القرى و البروج التي تزيد على الثلاث مائة[721] ، و كان الحدّ بينه و بين المملكة النصرية هو حصن ذكوان بمقربة من مالقة[722]، كما أنّ يوسف بن يعقوب بسط نفوذه على نواحٍ كثيرة من المغرب الأوسط[723] .

كان سقوط الدولة الموحدية و نشأة هذه التكتلات السياسية وراء ظهور خريطة سياسية جديدة للعلاقات بين هذه الكيانات السياسية الناشئة ، ميزها الصراع و العداء الدّائم و الحروب المستمرة ، من أجل بسط النفوذ على كامل المغرب الإسلامي ، فراحوا يستغلون كل الظروف والمناسبات، و يستعملون مختلف الطرق و الوسائل لتحقيق ذلك ، فظلت العلاقة بينها متوترة تتخللها بعض فترات السلم والهدنة على حسب اختلاف شخصيات السلاطين و سياستهم و أهدافهم و وسائل الوصول إليها لكن و على الرّغم من هذا الصراع و التنافس المستمر السياسي و العسكري ، إلاّ أنه لم يمنع من وجود علاقات ثقافية، و تواصل فكري و علمي بين هذه الأقاليم.

2- تسارع حركة الاسترداد بالأندلس

---

[718]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص205 ؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 11- 118 ؛ ابن خلدون، العبر، ج7 ، ص 375 ؛ محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج3 ، ص 328 ؛ حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 21 .

[719]- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 161 – 162 .

[720]- ابن خلدون ، العبر، ج7 ، ص 244 .

[721]- ابن أبي زرع ، الذخيرة ، ص 98 .

[722]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 284 .

[723]- نفسه ، نفس الصفحة .

كانت تبعات سقوط السلطة الموحدية بالأندلس ثقيلة الحمل و مزرية على المسلمين ، فبمجرد خروج الأندلس عن سيطرة الدولة ، ظهرت زعامات محلية منقسمة و متفرقة و متحاربة سهلت كثيرا مهمة النصارى الذين كانوا يتوجهون و بسرعة نحو الإتحاد مدفوعين بالشعور القومي و النزعة الصليبية المشتركة ضد المسلمين ، و هكذا أصبحت الممالك النصرانية بعد حالة التشتت و الفرقة و الحروب الأهلية ثلاث ممالك فقط هي قشتالة ، أرغون و البرتغال .

ساهمت هذه الظروف بالإضافة إلى انحلال سيادة الموحدين في التمهيد لمشروع الاسترداد الذي راود المسيحيين منذ عقود من الزمن ، و أصبحت الفرصة سانحة لتسديد ضربات قاتلة للبقية الباقية من المسلمين في الأندلس ، وتجسيدا لهذا المشروع بادر ملك قشتالة فردناند الثالث عمليا بغزو الأراضي الإسلامية المتاحة له مستغلا الفراغ الذي تركه تهاوي سلطة الموحدين بالأندلس ، فاستولى على عدد من الحصون و استولى على مدينة أبدة في سنة (631 هـ - 1232م)[724] ، و في أوائل سنة (632 هـ - 1239م) سار لغزو قرطبة و تمكن من دخولها في (633 هـ - 1234م) ورفع الصليب فوق المسجد الجامع في إشارة إلى نصر المسيحيين على المسلمين ، وواصل زحفه على سائر المدن و الحصون القريبة منها مثل استجه و اشته ، و غيرها[725] .

و بعد الانتهاء من أمر قرطبة التفت فردناند الثالث إلى غرناطة الإمارة الناشئة في ظل حكم بني الأحمر و انتزع منها حصن أرغوته و مدينة جيان بعد أن عقد معاهدة صلح مع بني الأحمر في(643 هـ - 1244م) و التي أصبح بموجبها ابن الأحمر تحت حماية ملك قشتالة و بذلك بلغ فردناند الثالث ذروة القوة ، و أصبحت الأندلس الجنوبية كلها تحت رحمته[726] .

وبعد أن تمكن فردناند الثالث من بسط نفوذه على المناطق المذكورة أخذ يتأهب لضم اشبيلية أعظم قواعد الأندلس ، و بدأ بمحاصرة قرمونة إحدى أهم الحصون الأمامية لاشبيلية ثم دخلها و من ثم توجه إلى لورة و استولى عليها ثم زحف على قنطانة الواقعة شمال اشبيلية ، و قصد بعد ذلك غليانة ثم

---

[724]- يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ج2 ص 183 ؛ Leon Geley , op , cit , p 123.

[725]- ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 183 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 585 .

Marles , op , cit , p 284 .

[726]- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص 551 .

بلدة القلعة و تمكن من إخضاعها جميعا و ذلك بمساعدة و معونة ابن الأحمر الذي كان له دور فعال في سقوط هذه الحصون في يد النصارى[727] ، و بعد أن تمكن فردناند الثالث من إسقاط الخطوط الأمامية الدفاعية للمدينة ، توجه لحصارها بداية من سنة(615 هـ - 1247م) ، و رغم المقاومة الشديدة التي أبداها سكان المدينة اشتد بهم الحصار و اضطروا إلى تسليم المدينة صلحا في (616 هـ - 1248 م[728])، و قد كان لسقوط المدينة اشبيلية وقع عظيم في الأندلس ، فقد كان ناذرا سقوط سائر القواعد الغربية و لاسيما القواعد التي أصبحت معزولة عن بقية القواعد الإسلامية .

و ما كاد فردناند الثالث ينتهي من تنظيم شؤون مملكته المتنامية حتى سير قواته شرقا و غربا و استطاع بسط نفوذه على مجمل القواعد بهذه المنطقة بضمه لشريس و تادمس و شلونة و أركش و البريجة و روطة و لبلة[729] .

أما قواعد غرب البرتغال كشلب و طبيرة و و شنتمرية ، فكانت من نصيب التوسعات البرتغالية بقيادة ألفونسو الثالث[730] ، ولم تأت سنة (648 هـ - 1250 م) حتى كانت جل القواعد الإسلامية الغربية المتاخمة لمملكة البرتغال قد سقطت في أيدي البرتغاليين كما كان الحال مع أورشة و أورنيسة [731].

أما مملكة أراغون فقد شكل وصول خيامي الأول[732] إلى سدة عرشها قفزة هامة في طريق مناهضة المسلمين ، فقد أحيا هذا الملك عقيدة الكره للمسلمين و شحذ الهمم لحربهم ، و ما كاد يستقر في

---

[727]- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 68 ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2 ، ص 99 ؛ عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 477 .

[728]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 22 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج4 ، ص 472 – 473 ؛ ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 73 ؛ Leon Geley , op , cit , p 180

[729]- أشباخ ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 184 – 198 ؛ Marles , op ,cit , p 285.

[730]- مللك البرتغال بعد أخيه سانشو الثاني الذي دخل معه في صراع مرير من أجل العرش البرتغالي ، يعود له الفضل الكبير في التوسعات البرتغالية على القواعد الإسلامية الغربية و في توسع رقعة مملكة البرتغال ، انظر : أشباخ ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 215 – 216 .

[731]- محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 492 – 493 .

عرشه حتى بدأ حملاته ضد المسلمين ، قصد الظفر بأكبر نصيب من أراضي المسلمين ، حيث زحف على الجزائر الشرقية من شواطئ أراغونة و سيَّر إليها حملة في (626 هـ - 1229م) توجهت إلى ميورقة في 627 هـ ثم سيطرت الجيوش الأرغوانية على جزيرة يابسة[733].

و بعد أن انتهى خيامي الأول من أمر ميورقة توجه للعناية بأمر بلنسية كبرى قواعد المسلمين بالشرق ، حيث بدأ حملته عليها في(631 هـ - 1233م) وأثناء زحفه على المدينة تمكنت جيوشه من الاستيلاء على المدن و الحصون القريبة منها فسيطروا على بلدة آوش ثم مورلة ثم بريانة ثم بنشكلة ، ثم تلتها حصون و أماكن منها شفيت و بريول و كويفاس ، و المصورة و سلطونة و قلعة مونكادة و مشروس و قد تمت كل هذه التوسعات (632 هـ - 1234م) و في هذه السنة أيضا وقع حصن أينشة المنيع الواقع بالقرب من مدينة بلنسية على بعد أميال من شمال المدينة في أيدي الأرغوابين[734] و ذلك بعد هزيمة ساحقة تعرضت لها جيوش المسلمين و كان ذلك نذيرا بسقوط المدينة التي فرض عليها الأرغوانيون حصارا خانقا انتهى بسقوطها في أيدي النصارى في (636 هـ - 1238 م)[735] .

و على أثر سقوط بلنسية تابع خيامي غزواته لباقي الأراضي الإسلامية القريبة منها ، فاستولى على دانية و لنقت و شقر و البيضاء في (641 هـ - 1244 م) ، ثم استولى على شاطبة و أريولة سنة (644 هـ - 1246 م)[736] ، و في سنة(664 هـ - 1266 م) استولى على مدينة مرسية[737]

---

[732]- ملك أرغون منذ 1214م ، بعد أن ورث العرش عن أبيه بيدرو و عمره لا يتجاوز سبع سنوات ، عرف بشدة عدائه للمسلمين و دوره الكبير في تحريك عجلة حروب الاسترداد نحو القواعد الإسلامية الشرقية ، وعلى رأسها بلنسية ، أنظر : أشباخ ، المرجع السابق ، ص167 .

[733]- الحميري ، المصدر السابق ، ص 191 ؛ القرقوطي ، المرجع السابق ، ص 257 .

[734]- ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص 205 ؛ عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 439 - 440 .

Males , op ,cit , p 285.

[735]- ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ص 205 ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 273 ؛ حجي ، المرجع السابق ، ص 473.

[736]- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 61 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج4 ، ص 472 .

[737]- ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص 365 . Males , op ,cit , p 205

.

، ثم منورقة في(686 هـ - 1287م)[738] ، و عليه استطاع خيامي الأول في ظرف ثلاثين سنة أن يفرض سيطرته على سائر الثغور الإسلامية شرق الأندلس .

يمكن الانتهاء في الأخير إلى أن اضمحلال دولة الموحدين بالأندلس ساهم بقسط كبير في تنشيط حروب الاسترداد و ضياع جل أراضي الأندلس ، و ذلك أن النصارى و منذ سقوط دولة الموحدين التي لعبت دورا جهاديا هاما في الذود عن الأندلس ، أصبحوا في طريق مفتوح أمام تحقيق مشاريعهم التوسعية على حساب الأراضي الإسلامية في المرحلة الأولى تمهيدا لاجتثاث الوجود الإسلامي نهائيا في المرحلة الثانية التي عرفت اتحاد مملكتي أرغوان و قشتالة و القضاء على آخر معقل للمسلمين في غرناطة .

ثانيا : التداعيات الثقافية

1. تسيد المذهب المالكي للفقه بالمغرب الإسلامي.

نجح المذهب المالكي مرة أخرى في الثبات والاستمرارية في الغرب الإسلامي رغم ما شهده من تضييقٍ خلال القرن6هـ/12م ، ذلك أن انتكاسة المذهب التومرتي طالت الأصول والفروع معًا خلال العهد الثاني للدولة الموحدية (595هـ-688هـ/1198م–1288م) ، فلم تسجل لنا المصادر خلال هذه الفترة ذلك الحماس للمنهج الظاهري الذي انتاب خلفاء الدولة الموحدية في عهدها الأول، إذ تراجع المذهب الحزمي "ولم نجد من أتباعه خلال القرن السابع الهجري إلا عددا قليلا، مثل أثير الدين أبي حيان النحوي، وأحمد بن صابر القيسي الشاعر وكان كاتبا للأمير أبي سعيد فرج بن محمد نصر أول سلاطين بني الأحمر،... ولم يبق له أثر يُذكر إلاَّ في بطون الكتب"[739].

فبعد حملة المنصور لا نجد في المصادر أي صدى لاستمرار محاصرة كتب الفروع وأصحابها، إذ سرعان ما استحوذ على الدولة وخلفائها مشاكلِ جسام تبدأ بمضاعفات كارثة حصن العقاب سنة(609هـ/1212م) وتستفحل بتكاثر وتوالي الفتن الداخلية لينتهي الأمر بثورة المأمون العقدية بلعن المهدي وتخلصه من أشياخ الموحدين[740].

---

[738]- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 176 – 177 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص 319 .

739- أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص66 -67.

740 – مصطفى مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص314

إلا أن المذهب الظاهري ترك أثراً واضحا وإيجابياً على الفقه المالكي في الفترة الموحدية[741]، إذ أصبح المذهب المالكي أقلَّ انغلاقا وأكثر تفتحاً على النصوص[742]، فشهد ثراءً في مادته كما شهد تحسناً في منهجه، وأخذ في الاقتراب أكثر من النصوص، فلم يبق ذلك الفقه الساذج الذي يقارب أئمة المذاهب بعضها ببعض ويُرجعها في النهاية إلى رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، بل صار يعتمد على الأدلة وينظر في الخلاف العالي، وأصبح التعامل بالدليل الشرعي من الحديث النبوي أمرًا مُلحا خاصة في المناظرات مع الفقهاء الظاهريين، كما ازداد إقبال المالكية على علم الأصول والكلام أكثر من ذي قبل، كما انتعش علم الحديث كثيرا وألفت فيه تآليف هامة[743] .

وصار المالكية يغترفون من علوم الحديث[744]، فهذا إبراهيم بن الكماد المرادي الفاسي (663هـ/1235م) كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مع مالكيته يميل إلى الظاهر[745] ، و أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي المعروف بابن القطان (628 هـ/1230م) الحافظ المحدث المؤرخ، كان مُلماً برجال الحديث ورواياته، نشأ بفاس وأخذ عن شيوخ عصره ، انتهت إليه في المغرب صناعة الحديث وروايته وحفظ رجاله كما اشتغل بالتأليف فكتب المصنفات الكثيرة في الحديث والتاريخ وغيرها[746]، و أبو المجد أحمد بن الحسن بن عمر بن محمد الحضرمي المرادي الغرناطي ت 651 هـ/1253م "كان فقيها حافظا ذاكرا للنوازل بصيرا بالفتوى متقدما في علم الكلام وأصول الفقه سُنياً فاضلاً متين الدين ... خطب زماناً بجامع قصبة غرناطة القديمة " [747] .

741- محمد المغراوي، صمود المذهب المالكي، ص 106.

742 – نجم الدين الهنتاتي، مرجعيات المدرسة المالكية الفاسية في العصر الوسيط وخصائصها العامة، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد: 51، 2010م، ص 206 .

743 – محمد المغراوي ، صمود المذهب المالكي، ص 106.

744 – نجم الدين الهنتاتي، مرجعيات المدرسة المالكية الفاسية في العصر الوسيط وخصائصها العامة، ص 206 .

745 – ابن القاضي، جذوة المقتبس، ص85 .

746 – ابن الزبير، صلة الصلة، ص131 ؛ ابن الأبار، التكملة، ج:2، ص 686 ؛ التنبكتي، النيل، ص:200 ؛ المقري، نفح الطيب ، ج3، ص،180.

747- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص، 95.

فإذا أمعنَّا النظر في مالكية القرن السابع الهجري نجد أن تكوينهم وثقافتهم وعطاءاتِهم لم تعد تقتصر على كتب الفروع والرأي، بل يجمعون إلى ذلك دراسة علوم أخرى وعلى رأسها الحديث[748].

ومع ذلك الانتعاش الذي عرفه المذهب الظاهري إلاَّ أنَّ الغلبة عادت في الأخير للوجهة الفقهية القائمة على الفروع والتقليد على حساب منهج الأصول والاجتهاد[749] ، ومثَّل عودة المذهب المالكي وانتعاشته نهاية العصر الموحد – وبداية العصر المريني – عدد من الفقهاء الذين برزوا في الفقه المالكي بفتاويهم ومصنفاتهم ودروسهم ومجالسهم، وتعصبهم أحياناً، من أشهرهم: الإمام ابن الحاجب (646هـ/1248م) رجل المختصرات، صاحب كتاب "جامع الأمهات" المشهور "بالمختصر" الذي جمع فيه أكثر من ستين ألف مسألة في ذلك المقدار الوجيز من الكلام، اختصر فيه الفقه المالكي كما اختصر الأصول، واختصر النحو والصرف، حتى قال عنها ابن خلدون إن صاحبه لخص فيه طرق " أهل المذهب في كل باب وتعديد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب"[750].

وتوالت المختصرات والشروح عليها، بمرور الزمن حتى أصبح الفقه المالكي عبارة عن رموز لا تُفهم ، يُحفظ عن ظهر قلب ، ويُقرأ أحزاباً ، ولا تُفكُّ رموزه إلا بالرجوع إلى عشرات المجلدات من الشروح والحواشي والتعليقات دون إدراك لروح التشريع ،" وغدا بعض المدرّسين لا يختم مختصر خليل إلا بعد أربعين سنة وبذلك تقرَّر جمود الفقه و تحجره و استمر إلى أيامنا هذه"[751].

ومما يُؤَكِّدُ حضور المذهب المالكي بكل ثقافته الفروعية استمرار القضاة المالكية في ممارسة القضاءِ وفق اجتهادات المذهب المالكي[752] .

وتعزز المذهب المالكي في الغرب الإسلامي بسيطرة المرينيين على مراكش عاصمة الموحدين، حيث يذكر إسماعيل بن الأحمر أن الأمير: أبا يوسف يعقوب المريني (656هـ-684 هـ/1259م–

[748] – نوازل البرزلي، من خلال سعيد أعراب مقال موقف الموحدين من كتب الفروع، مجلة دعوة الحق المغربية، يونيو 1985، عدد 249، ص 26 – 30 .

749- يقول المقري ت 1041هـ/ 1631م حاكيا عن أهل قرطبة : " وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية، حتى إنهم كانوا لا يولون حاكماً إلا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم" ، نفح الطيب ، ج:3، ص: 216.

750 – ابن خلدون ، العبر، ص 571.

751 – أُنظر مقدمة كتاب: الذخيرة في الفقه المالكي، القرافي ، ج1، ص6.

[752] – محمد المغراوي ، صمود المذهب المالكي، مجلة دعوة الحق، ص 106 .

1286م) " طلب منه أهل المغرب الرجوع في القضاء إلى مذهب مالك عن طيب أنفسهم ، و أمر قضاة المغرب بذلك وترك مذهب الظاهرية وعدم العمل بالأحاديث الموضوعة".

وبنهاية العصر الموحدي وبداية العصر المريني عادت الفروع أكثر قوة مع المرينيين لينتصر بالمغرب من جديد انتصارًا نهائيا[753]، فبنو مرين لم ينطلقوا في تأسيس دولتهم من مشروع سياسي واضح يقوم على مذهب من المذاهب، فانتبهوا إلى ضرورة حصولهم على الدعم المعنوي الذي وجدوه في المالكية، وبهذا سارعوا إلى تقريب المالكية وإلى دعم جهودهم، فراجت من جديد المدونات المالكية وأقبل الطلبة على الأمهات من تلك المدونات[754].

وبلغ من هيمنة المذهب المالكي عصر المرينيين أنَّ أكبر علماء المالكية حينها الفقيه عبد الرحمان بن عفان الجزولي ت(747هـ/ 1346م) كان يحضر مجلسه العلمي أكثر من ألف فقيه مالكي معظمهم يستظهر المدونة[755]، هذا إلى جانب العديد من العلماء الآخرين الذين قاموا بتدريس المذهب المالكي في المدارس المرينية والمساجد، حيث كان المذهب المالكي محوراً لنظام التعليم في العصر المريني[756].

لذا أُعتبر الانتصار النهائي للمالكية على سائر الفرق والطوائف في الغرب الإسلامي قد تمَّ في زمن بني مرين وبمساعدتهم خلال القرن 7هـ/13م وهو القرن الذي بسط فيه المرينيون الحكم على بلدان المغرب وعلى قسم من الأندلس[757]، ونقض المرينيون بذلك جهود الموحدين كلها كما يقول الحجوي في تأريخه للمذاهب الفقهية[758] .

753 – مصطفى مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص321

[754] – عبد السلام شقور، جهود المالكية في مواجهة الفرق المخالفة في الغرب الاسلامي، ص279 .

755– محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبل من العلماء و الصلحاء بفاس، ج2، تح: الشريف محمد حمزة علي الكتاني، ص 124 ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 258 ؛ ألفرد بل، المرجع السابق، 323.

756– عيسى الحريري، المرجع السابق ، ص 340.

[757]– عبد السلام شقور، المرجع السابق، ص279 .

758– مصطفى مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص322

وعاد المذهب المالكي بعد العصر الموحدي أقوى من ذي قبل ، ففي الوقت الذي تراجع فيه المذهب في موطنه الأصلي بالمدينة المنورة منذ أوائل المائة السادسة[759] ، ظهرت مدرسة مالكية بفاس و سبتة نهاية العصر الموحدي وبداية العصر المريني بشخصياتها ومؤلفاتها[760].

و لم يتأخر ملوك بني عبد الواد ولا شَعْبُهُم عن نظرائهم المرينيين في ترسيم المذهب المالكي و التمكين له عبر جميع السبل الممكنة كاستقدام الفقهاء المالكية و تشيد المدارس و اعتماد المذهب المالكي في دراستها الفقهية ، والدليل على إلحاح السلاطين الزيانيين على استقدام الفقهاء المالكية ، استقدم يغمراسن الفقيه المالكي أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي إلى مدينة تلمسان لتولي الإقراء بها[761] .

أما الحفصيون فرغم تمسكهم بالمذهب الموحدي في بداية نشأة دولتهم ، فإن ذلك لا يعدوا أن يكون مجرد تمويه سياسي لتجنب ردة فعل الموحدين سرعان ما زال مع نهاية القرن السابع الهجري بعودة المذهب المالكي ليتسيد الدولة[762].

وبقيت تقاليد المذهب التي أرساها فقهاء المالكية مستمرةً سواء على مستوى التدريس أو التأليف أو الفتوى أو القضاء ، الشيء الذي يجعلنا نقول أن مساعي الموحدين لمحو مذهب مالك أو تهميشه كان مفعولها ظرفياً[763] زال بزوالهم .

ويُمكن القول أن المذهب المالكي وفقهاءه وأنصاره قطعوا محنة العهد الموحدي للوصول إلى شاطئ القرن السابع مطمئنين آمنين[764]، و بالتالي عاد المذهب المالكي ليسود الساحة الفقهية في الغرب الإسلامي، فتوًى وتصنيفاً وتدريسا، لتعلُّق المغاربة بالمذهب المالكي من جهة، وطبيعة التغيير الموحدي المتسرِّع من جهة أخرى، بالإضافة إلى الدور الريادي والأساسي الذي لعبه فقهاء المالكية في الحفاظ على مذهبهم .

---

759 - الونشريسي، المعيار المعرب، ج2 ، ص 450 .

760 - نجم الدين الهنتاتي ، مرجعيات المدرسة المالكية الفاسية في العصر الوسيط ، ص 199 و208 و209 .

761 - ألفرد بل ، المرجع السابق ، ص312-313.

762- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص120.

763 - وهو ما قرّره أيضًا الباحث محمد المغراوي، أُنظر: المغراوي، صمود المذهب المالكي، ص 103 .

764 - مصطفى مغزاوي ، التحولات المذهبية ، ص322.

2. انتكاس الحياة الفكرية

رافق انحطاط الدولة الموحدية انتكاسة رهيبة في الحياة الفكرية فعلى الرغم من أن الأدب يزدهر في عصور الشدة ، فإن الضعف السياسي و الفتن و الثورات ، جعلت مقام العلماء بالمغرب أمرا صعبا و مطلبا شاقا[765] ، مما أدى إلى فتور و انقطاع في المسيرة العلمية المظفرة على عهد الموحدين ، كما أن السلطات الوارثة ورغم تشجيعها و إكرامها للعلم و العلماء ،لم يكونوا أصحاب فكرة جديدة من حيث الفقه و العقائد ، أو أصحاب دعوة إصلاحية كما كان الحال مع بني عبد المؤمن ما تسبب في حالة من الجمود و غياب الاجتهاد ، فقد حرصت هذه السلطات على إرجاع الأمور إلى نصابها أي على ما كان عليه الحال ما قبل الموحدين ، و ذلك قصد كسب النفوذ الروحي و المعنوي الذي كان من العوامل الأساسية و الحساسة لتدعيم أسس الدولة ، الأمر الذي دفع الكثير من الباحثين إلى وصفهم بأنهم لم يأتوا بجديد رغم حماستهم الدينية[766] .

ومن أهم مظاهر هذه النكسة الفكرية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي ما بعد الموحدين ضعف الحس التأليفي العلمي الاجتهادي الإبداعي باعتباره تعبيرا صريحا و واقعيا على مدى الازدهار و التطور[767] ، فقد اقتصرت جل المؤلفات على المختصرات و الحواشي و المتون و الشروح[768] ، الأمر الذي اعتبره محمد المقري و ابن خلدون و جمع من العلماء الذين زامنوا هذه الفترة سببا في فساد العلم ، و في ذلك يقول المقري: "فاقتصروا على حفظ المتون و أفنوا أعمارهم في حل لغزها و فهم رموزها ، و لم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الصحيح من ذلك و الضعيف"[769] .

---

[765]– عز الدين عمر موسى ، دراسات ، ص 116 ؛ محمد المنوني ، الإمبراطورية الموحدية في دور الانحطاط ، ص 57 .

[766]– عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ص 188 ؛ ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 51 .

[767]– مريم سكاكو ، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين (8 – 9هـ/ 14- 15م) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : مبخوت بو دواية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 1433 – 2012 ، ص 18 .

[768]– ألفرد بل ، المرجع السابق ، ص 361 ؛ الحسن السائح ، المرجع السابق ، ص 262 .

[769] – مريم سكاكو ، المرجع السابق ، ص19 .

و في هذا السياق أنكر ابن القباب كذلك على ابن عرفة ما ألفه في مختصره الفقهي فقال له ابن عرفة : " ما صنعت شيئا ، لأنه لا يفهمه مبتدئ و لا يحتاجه منتهي"[770] ، فالتآلف الرديئة التي غمرت الحياة الفكرية ساهمت في إفساد العلم الشرعي و أبانت عن فقر في التحصيل لدى العلماء و غياب للروح النقدية[771] بسبب الابتعاد عن المصادر الأساسية و هو الأمر الذي اعتبره الموحدون أساسا للدراسات الفقهية ، و بزوال دولتهم فترت الهمم عن الاجتهاد و ركن الناس إلى التقليد و اقتصروا على النقل عمن قبلهم[772]، و هنا يبرز التباين الذي أشار أليه مالك بن نبي بين المغرب عهد الموحدين وما بعدهم[773] .

غير أن هذا الواقع الفكري لم يكن محل إجماع من قبل جميع العلماء ، فقد برز ابن خلدون كأكبر ناقذ لهذا المنهج الفكري الركيك ، و عقد فصلا في مقدمته ، في أن كثرة التأليف عائقة عن التحصيل و مخلة بالتعليم ، بل ذهب إلى استنكار جعل المختصرات في العلوم هي المقررات الدراسية الأساسية للإخلالها بالعلم ، ذلك أن فيه تلخيصاً على المبتدئ بإلغاء الغايات من العلم عليه و هو لم يستعد لقبولها بعد[774] .

و من المآسي الحضارية التي صاحبت سقوط دولة الموحدين الهجرة الجماعية للعلماء من الأندلس و المغرب إلى مناطق أكثر أمنا ، فقد اتجه جلهم صوب حاضرة الحفصيين تونس لاسيما منهم علماء الأندلس و على رأسهم ابن الآبار و رفقاؤه أما من جاء منهم إلى المغرب ، فلم يتيسر له المقام بها فواصل سيره نحو افريقية كابن عميرة و من لف لفه[775] ، و ذلك كنتيجة حتمية لسقوط قواعد العدوة

---

[770]- أحمد بابا التنبكتي ، كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج ، ج1 ، تح : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1423 – 2004 ، ص 41 .

[771]- ألفريد بل ، المرجع السابق ، ص 363 .

[772]- مريم سكاكو ، المرجع السابق ، ص 19 .

[773]- مالك بن نبي ، وجهة العالم الاسلامي ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، ص 1986 ، ص 34 .

[774]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 582 – 683 .

[775]- عز الدين عمر موسى ، دراسات ، ص 116 .

الأندلسية واحدة تلو الأخرى ، وقد صاحب ذلك أن خفت نور الحضارة الإسلامية الأندلسية التي كان لها بالغ الفضل على العدوة المغربية[776] .

وقد استغل سلاطين الدولة الحفصية ذلك فحرصوا على حسن وفادة العلماء و إكرامهم ، فأصبحت حاضرة الحفصيين تونس و على غرارها بجاية قبلة الفقهاء والعلماء من الأندلس سواء ممن كانوا ينشدون الأمن و الاستقرار ، أو من كانوا يطمحون إلى التلبس بالأعمال السلطانية ، و كان أن تشكل من أعدادهم المتزايدة ما عرف في المصادر الإفريقية باسم "الجماعة الأندلسية"[777] .

ثالثا : التداعيات الاقتصادية

ترتب عن تفكك الدولة الموحدية أن تقاسمت الدول الأربع التي قامت على أنقاضها اقتصادها ، فأصبحت كل دولة تستحوذ على جزء من علاقاتها الاقتصادية بنسب متفاوتة و أضحت هذه الدول تمارس نشاطاتها الاقتصادية في إطار الحدود التي وقعت تحت يدها حيث إن لكل دولة مجالها الجبائي الزراعي و الصناعي و لها موانئها و طرقها التجارية التي تعتبر جزءا من اقتصادها[778] .

و قد صاحب اختفاء الدولة الموحدية التدريجي أحداث سياسية جسيمة أثرت تأثيرا كبيرا على المقومات الاقتصادية لبلاد المغرب الإسلامي في مختلف نواحيه بنسب متباينة فبينما فقد الأندلس جل أراضيه تحت وطأة المد النصراني ، تهاوت القواعد الإسلامية الأندلسية[779] و تهاوت معها الأهمية الاقتصادية لهذه المدن التي طالما شكلت مصدرا هاما لمختلف المنتجات الزراعية و الصناعية و مجالا هاما للمبادلات التجارية[780] ، ما أفقد المغرب الإسلامي إحدى أهم حلقاته الاقتصادية باضمحلال الحياة الاقتصادية بهذا القطر الهام[781] .

---

[776]- ألفريد بل ، المرجع السابق ، ص 320

[777]- الغبريني ، المصدر السابق ، ص 242 – 243 .

[778]- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 290 .

[779]- عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 388 .

[780]- هشام أبو رميلة ، المرجع السابق ، ص 375 .

[781]- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 290 .

أما في العدوة المغربية فقد اشتد الصراع بين الموحدين والمرينيين[782] من جهة و بين بني زيان و بني مرين من جهة أخرى[783] ، كما بادر بنو حفص بإعلان الاستقلال عن الموحدين[784] و انعكست هذه الأحداث على الأوضاع الاقتصادية ، حيث انعدم الأمن الذي لا يتحقق إلا بوجود سلطة مركزية قوية فتراجعت التجارة و ترك الفلاحون أراضيهم و تخلى الحرفيون عن حرفهم[785] ، فكان أن فقدت الكثير من المراكز الاقتصادية أهميتها بل و اختفى الكثير منها بسبب فقدانها لأهميتها الاقتصادية[786] .

و في افريقية أيضا أتى صراع الحفصيين مع بني غانية ، و تجاوزات العرب الهلالين على الكثير من مقوماتها الاقتصادية و ليس أدل على ذلك من قول التجاني : " ....و وصلنا إلى صفاقس ظهرا .... و كانت قبلُ غابة زيتون ملاصقة لسورها أفسدها العرب ..."[787] .

و مما أسفرت عنه الفوضى العارمة التي صاحبت سقوط الدولة الموحدية أن توقفت حركة العمران و البناء و أصاب الدمار ما شيده الموحدون في طور الازدهار ، ففي فاس اضمحلت الكثير من المنشآت الصناعية و العمرانية[788] ، وكثر الخراب في ديار مراكش[789] و في مكناس اندثرت مدائنها القديمة ولم يبق سوى الصوامع و الأطلال العتيقة[790] ، و أما الرباط فتهدم جامع حسان الذي نقضه السعيد ليصنع بخشبه الأجفان الغزوانية[791] ، و في هذه الفترة خربت مدينة مغيلة[792] التي لا تزال

782– ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية ، ص 10 .

783– خالد بلعربي ، المرجع السابق ، ص04 .

784– ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 163 .

785– بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 102 – 103 ؛ مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 94 – 97 .

786– عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 417 .

787– التيجاني ، المصدر السابق ، ص 65 – 68 .

788– ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 66 .

789– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 485 .

790– ابن غازي ، المصدر السابق ، ص 32 – 33 .

791– ابن أبي زرع ، الذخيرة ، ص 66 .

792– ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 207 ؛ ابن أبي زرع ، الذخيرة ، ص 107 .

أطلالها قائمة غرب فاس[793] ، و هدم الموحدون أسوار فاس و سلا و سبتة ، بل و خربوا مدن بأكملها خلال صراعاتهم المريرة مع مناويئهم[794] ، واختفت مدينتان كانتا تقعان شمال مدينة فاس و هما صاع و بني تاودا[795] ، أما سلا فقد دخلها النصارى عام(688 هـ - 1259م) و خربوا الديار و أشعلوا في كل ما وجدوا في ديار المدينة و أسواقها من الأثاث و الأمتعة و الفرش و غير ذلك من السلع[796] .

هذا الحال لم يستثن المنشآت الحرفية و دور الصناعة التي تلاشت بسبب تخريبها و هجرة الناس لها ، و لا تخفى النتائج السلبية على الاقتصاد من جراء ذلك ، و من تبعات ذلك أيضا عودة الناس إلى الترحال و الرعي على حساب التمدن هروبا من الواقع الأمني المزري داخل المدن و هو ما يؤثر سلبا على النشاط الحرفي و التجاري[797] .

وكان من تبعات تصاعد العصيان القبلي على الدولة منذ بداية القرن السابع هجري أن فقدت الدولة الكثير من مواردها الاقتصادية خاصة في مجال الجباية بخروج أراض واسعة عن طوع الدولة , حتى أنه في الغالب كان لا يربطها بالعديد من المناطق سوى ضرائب هزيلة تجمعها أثناء حملاتها على المناطق الخارجة عليها[798] , واستمر الحال على ذلك الوضع حتى في بداية نشأة الدويلات القائمة على أنقاض الدولة الموحدية .

فعندما احتل السلطان الحفصي أبو زكريا مدينة تلمسان سنة(1242/640) استولى على الضرائب و الجباية[799] وكذلك فعل السلطان المريني أبو عنان عندما ارتحل إلى بسكرة بجيشه ونزلوا جبل اوراين واقتضوا جبايته ومغارمه[800] ، و الأمر نفسه قام به العرب في الأراضي التي وقعت تحت

---

[793]- محمد المنوني ، الإمبراطورية الموحدية في طور الانحلال ، ص 58 .

[794]- بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 10 .

[795]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 244 .

[796]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 424 .

[797]- بولقطيب ، المرجع السابق ، ص 183 .

[798]- عز الدين عمر موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 336 .

[799]- الزركشي ، المصدر السابق ، ص 29 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 166 – 167 .

[800]- السلاوي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 204 .

سيطرتهم[801] ، و هذا ما يعكس واقع الفوضى الجبائية التي سادت بسبب سقوط الدولة و غياب السلطة المركزية التي تنظم هذه العملية .

2- تغيير الخارطة التجارية للغرب الإسلامي

و من أهم التداعيات الاقتصادية التي أعقبت سقوط دولة الموحدين حدوث تغير عميق في المراكز و الطرق التجارية و حتى في القواعد و القوانين التجارية الداخلية و الخارجية بسبب التطورات السياسية التي واكبت سقوط الدولة ، حيث تمركزت التجارة بالمدن الساحلية على حساب المدن الداخلية بسبب انعدام الأمن و انتشار أعمال القرصنة و اللصوصية و قطع الطرق التي مارستها القبائل المناوئة للسلطة المركزية[802] ، وقد وضح ابن خلدون ذلك في انحسار سلطة الدولة في الحواضر الساحلية في محاولة لتفادي الصدام مع الأعراب و القبائل المنشقة ، كما عملت على إرضائهم بمختلف الامتيازات و الاقطاعات[803] ، لكن هذا الضعف الفاحش أثر على تجارة السودان و غير وجه التجارة إلى المدن الساحلية[804] .

و من التغيرات التي عرفتها التجارة بالمغرب الإسلامي انحرافها إلى المغرب الأدنى و الأوسط بسبب الوضع الأمني المتدهور في المغرب الأقصى بسبب الصراع الموحدي المريني و تحسنه في المغرب الأدنى بعد أن تمكن أبو زكريا من القضاء على بني غانية و تأمين الطرق الصحراوية وهذا ما نفسر به تهافت التجار الأجانب على موانئهم[805] .

كما أن الصراعات الداخلية بالمغرب الأقصى و الخطر النصراني بالأندلس و تراجع تجارة سبتة[806] أفرز ظهور قواعد تجارية جديدة هي تلمسان و موانئها التي أصبحت واسطة بين سجلماسة و مدن البحر المتوسط (بجاية ، هنين)[807].

---

[801]- ابن خلدون العبر ، ج6 ، ص ؛ مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 88 .

[802]- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 292 ؛

Le Comle de Maslatrie , op , cit , p 151

[803]- مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 99 .

[804]- أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ص 206 .

[805]- الزركشي ، المصدر السابق ، ص 25 ؛ ابن قنفد ، المصدر السابق ، ص 112 .

[806]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 350 ؛ ابن ابي زرع ، الانيس المطرب ، ص 254 .

و أسفرت هذه التغيرات التي عرفتها المبادلات التجارية في عهد الزيانيين و الحفصيين على تنظيم و توسيع علاقاتها التجارية مع مدن البحر المتوسط (كجنوة ، صقلية ، بيزا ، البندقية ، نابلي ، مرسيليا ، مومبولية و برشلونة و أرغون)[808] .

هذا التحسن الذي عرفته التجارة بالمغرب الأدنى و الأوسط قابله تدهور ظرفي لتجارة عدة مدن و طرق بالمغرب الأقصى كما كان الحال مع تجارة سلا و سجلماسة التي كانت تعتبر إحدى أهم مصادر الذهب نحو البحر المتوسط[809] .

و أفرز سقوط الدولة الموحدية تنامياً في التجارة الساحلية التي شكلت مجالا أوسع للتجارة – المغربية الأوربية – الأمر الذي أخل بالنشاط التجاري و فتح الباب أمام التفوق الاقتصادي الأوربي على الاقتصاد المغربي و سيطرته على العلاقات الاقتصادية بحوض المتوسط و في غمره هذه الأحداث أرسيت قواعد للتجارة تقنن و تنظم ذلك من خلال اتفاقيات ثنائية[810] .

وقد أدى سقوط الدولة الموحدية إلى انتقال النفوذ الاقتصادي من مراكش إلى عواصم الدول الناشئة في المغرب و الأندلس[811] ، و هو ما يطلق عليه ابن خلدون مصطلح " حوالة الأسواق " في إشارة إلى ما ينجم عن ذلك من ظهور مراكز اقتصادية وتجارية جديدة و علاقات اقتصادية جديدة و ارتفاع أسعار العقارات في العواصم الجديدة و انخفاض في المراكز الاقتصادية القديمة و تحول العلاقات التجارية الداخلية في الدولة القديمة إلى علاقات خارجية في الدول الحديثة[812] .

و في خضم هذه الأوضاع السياسية و الاقتصادية الجديدة تبلورت علاقات تجارية بين دول المغرب ، و ربطت حواضرها بصورة تلقائية نتيجة للوحدة البشرية و المذهبية و تقارب العادات بين السكان ، وكما هو معلوم كانت التجارة تخضع لقاعدتي الحاجة و الأسعار إذ لم تكن العلاقات التجارية تتم

807- أحمد عزاوي ، رسائل موحدية ، ص 200 .

808- Le comte , op , cit , p 157 .

809- ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 344 ؛ ابن ابي زرع ، الذخيرة ، ص 106 .

810- عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 202 .

811- نفسه ، ص 292 .

812-ابن خلدون ، المقدمة ، ص 453 .

بمنأى عنهما لأنهما عاملان مهمان في خلق التبادل التجاري[813] ، كما أسفرت التطورات الاقتصادية و السياسية الجديدة بالمغرب الإسلامي عن رسم معالم علاقات تجارية جديدة مع مدن البحر المتوسط اتسمت بتراجع تجارة المدن الايطالية و توسع المبادلات التجارية بين مدن المغرب و مرسيليا[814] .

رابعا : التداعيات الاجتماعية

1- تراجع المكانة الاجتماعية لقبائل مصمودة

على إثر انهيار الدولة الموحدية ، انهار ذلك الصرح القبلي الشامخ ، الذي كان ينتظم عقده، من سائر قبائل المصامدة ، والموحدين، كلما جد الجد أو أقبل الجهاد، وكانت هذه القبائل تنقسم إلى مجموعتين: الأولى قبائل المصامدة، والثانية قبائل الموحدين [815] ، فأما المجموعة الأولى، فكانت تضم قبائل هسكورة و دُكالة و هيلانة و حاحة وغيرها، من قبائل المصامدة ، وكانت هسكورة أكبر هذه القبائل عددا وأكثرها بطونا، ومن بطونها قبيلة جنفيسة ، وكانت لضخامتها ووفرة حشودها ، تحتل مكانة ملحوظة، بين قبائل الدولة الموحدية ، بيد أن أهلها كانت تغلب عليهم البداوة ، لا يخالطون الموحدين، فيما انغمسوا فيه من حياة الحضر والترف، بل يؤثرون التزام جبالهم المتشعبة من جبال الأطلس الشامخة، والممتدة في جنوب شرقي مراكش حتى مشارف السوس الأقصى ، ولما غلب بنو مرين الزناتيون على الدولة الموحدية ومحوا آثارها، اضطهدوا قبائل مصمودة و على رأسها هسكورة وفرضوا عليها المغارم الثقيلة، فلزموا السكينة، ولبثوا معتصمين بجبالهم، ولم يرتضوا خدمة الدولة الجديدة، ولم يدينوا بدعوتها، وكانت كلما اشتدت عليهم وطأة عسكر بني مرين ردوهم بدفع الإتاوات من آن لآخر.

وهكذا لبثت هسكورة بعيدة عن الولاء لبني مرين ، لا تدين بطاعتهم ، إلا عن طريق الجزية، كما حدث أيام السلطان أبي الحسن المرينى ، وأحيانا تناوئهم متى شعرت بضعف الدولة وتراخيها [816].

---

[813]-عاشور بوشامة ، المرجع السابق ، ص 293 .

Le comte , op , cit , p 153.-[814]

[815] - عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص577 .

[816] - ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 354 .

كذلك استقلت بقية قبائل المصامدة غربي مراكش، مثل دكالة وهيلانة وحاحة، بأمرها ورياستها، وكانت منازلهم تمتد غربا حتى شاطىء المحيط [817].

أما المجموعة الثانية فكانت تضم قبائل الموحدين، ومنازلها على مقربة من مراكش، وكانت منها سبع قبائل امتازت بالسبق والإيثار على غيرها، لاعتناقها دعوة المهدي ابن تومرت، قبل أن يتوطد أمره، أو بعبارة أخرى قبل افتتاح مراكش ، وهذه القبائل السبع تنتمي إلى المصامدة، وهي هرغة قبيلة الإمام المهدي ، وهنتاتة، وتينملّل وهم الذين بايعوه مع هرغة في بداية أمره ، وجنفيسة ، وهزرجة، وجدميوة و ريكة ، وتلحق بها قبيلة ثامنة، هي كومية قبيلة الخليفة عبد المؤمن ابن علي كبير صحابة المهدي ، وكانت هذه القبائل الثماني لسبقها في البيعة والطاعة، تتمتع بمزايا الإيثار في السلطان والنفوذ، وتولى المناصب والقيام بمهام الأمور، فلما انهارت الدولة الموحدية ضعف أمرهم، وأضحوا من الرعايا العاديين للدولة الغالبة [818]، وقد اندثرت قبيلة هرغة – قبيلة المهدي – بعد سقوط الدولة بقليل، وفقدت كل مكانة ونفوذ ، وكذا كان مصير قبيلة أو أهل تينملّل، وهم الذين نزل بينهم المهدي وأعلن إمامته، وأنشأ داره ومسجده ، وكان لهم شأن في مناصب الدولة، وعملاتها، ولكن رجالاتهم انقرضوا ، وملك أمرهم غيرهم من زعماء المصامدة ، وكان قبر المهدي لديهم بتينملّل، ما يزال حتى العصر الذي كتب فيه ابن خلدون تاريخه، حوالى سنة 780 هـ، ما يزال مزاراً مرموقاً، وعلى ما كان عليه من التجلة والتعظيم ، يتلى به القرآن والأحزاب باستمرار ويقوم عليه الحجاب والحفاظ ، وتترى إليه الوفود من كل فج، وتقدم الصدقات نذرا وتبركا[819].

أما هنتاتة، فكانت من أشد قبائل الموحدين بأسا وتمكنا في الدولة، وذلك لما كان عليه زعيمها الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى، أحد الصحب العشرة، من مكانة ملحوظة لدى المهدي، وقد لبث أبناؤه يتبوءون أرفع مناصب الدولة، وانتهى زعيمهم أيام الناصر، الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص، بأن غلب على ولاية إفريقية، ومهد ملكها لعقبه، فأقاموا بها دولة مستقلة عظيمة[820] ، ولما انتهت الدولة الموحدية، لبثت هنتاتة في موطنها القديم بجبال درن، على مقربة من

[817] – نفسه ، ص 356.

[818] – نفسه ، ص 266.

[819] – نفسه ، ص359-360 .

[820] – ابن القنفد ، المصدر السابق ، ص105 .

مراكش، وكانوا أيام بني مرين، من القبائل الخاضعة لسلطان الدولة الجديدة، يولون عليها من شاءوا لضبطها وتحصيل جبايتها.

وكانت قبيلة جدميوة تابعة لهنتاتة ، وتينملل ، وجبلهم بجوار جبل هنتاتة، فلما انهارت الدولة افترق أمرهم، وخضع بعضهم لبني مرين، وامتنع البعض الآخر عن الطاعة. وكانت وريكة كذلك من القبائل المجاورة لهنتاتة، وكانت بينهم فتن وحروب مستمرة هلك فيها كثير من الفريقين المتخاصمين [821].

وهكذا كانت الخاتمة المأساوية ، لتلك المجموعة من القبائل البربرية التي فقدت هيبتها أمام تنامي القوة الزناتية ، التي همشتها و أفقدتها مكانتها كطبقة حاكمة لها من الامتيازات الشيء الكثير[822] و هذا ما يعني أن مصمودة فشلت في الاحتفاظ بالدولة التي قامت على أكتافها و لم تستطع الإبقاء على القبائل التي كانت ترزح تحت سيطرتها وهو ما يفضي إلى أن العلاقة بين مصمودة و بقية القبائل كانت علاقة غالب بمغلوب [823] .

2- تزايد حركة الهجرة بالمغرب الإسلامي

ساهم اضمحلال الدولة الموحدية و تهاوي سلطانها بالأندلس أمام تسارع حركة الاسترداد في هجرة أعداد غفيرة من المسلمين الفارين من القواعد الإسلامية التي سقطت في أيدي النصارى هروبا بدينهم و أنفسهم من اضطهاد النصارى[824] نحو غرناطة التي ضاقت بالمهاجرين إليها الذين بلغ عددهم ست مئة ألف مشكلة إحدى أضخم التجمعات السكانية في العالم في هذه الفترة ، و نحو المغرب الذي شكل بالنسبة لهؤلاء المهاجرين الملاذ الآمن و المصير المحتم[825] .

و لم يكن المسلمون وحدهم المعنيين بهذه الهجرة الكبيرة إلى المغرب ، بل حتى اليهود كان لهم نصيبهم من الاضطهاد النصراني في الأندلس ، الأمر الذي يفسر هجرتهم إلى المغرب الذي لم يختلف عن غيره من المجتمعات الإسلامية تسامحا مع اليهود الذين ازدادت أعدادهم في هذه الفترة و في

---

821 – ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص370 .

822 – مؤنس ، المرجع السابق ، 170.

823 – روجي لوتورنو ، حركة الموحدين في الغرب ، ص125 .

824 – أنظر : الملحق ، ص157 .

825 – محمد بن احمد شقور ، المرجع السابق ، ص 33 ؛ عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 92 – 93 .

الفترات التي تلتها ، وهذا ما توضحه جالياتهم بالعديد من الحواضر المغربية أين أقام اليهود آمنين مطمئنين متمتعين بجميع حقوقهم المادية و المعنوية كفاس و مكناس و مراكش و تلمسان و بجاية و تونس [826] .

و نلاحظ أن الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب انحصرت في بدايتها على حواضر افريقية لأسبقيتها إلى الاستقرار بعد استقلال الحفصين على الموحدين ، وكذلك لتطورها الحضاري و العمراني ، بالإضافة إلى العلاقة الوطيدة التي ربطت السلطان الحفصي أبا زكريا بالأندلس منذ كان واليا على اشبيلية[827] .

وقد أصبح الأندلسيون بعد هجرتهم إلى بلاد المغرب يشكلون جاليات كبيرة داخل حواضره ، لهم بساتينهم و حقولهم و ديارهم و حرفهم و عاداتهم وتقاليدهم ، و الجدير بالذكر أن هؤلاء المهاجرين كانوا في أغلبهم من سكان الحضر و من الطبقة المثقفة ، و لذلك شكلوا مساهمة فعالة في كنف الدويلات الناشئة ، فقد كان تأثيرهم قوياً و فعالاً و إيجابياً على عادات السكان و طريقة حياتهم كما ساهم هؤلاء في تطوير الثقافة العربية الإسلامية بالمغرب عبر الطرق و الأساليب العلمية الأندلسية الحية[828] .

كما احتل الأندلسيون مكانة مرموقة في السلك الإداري و التوظيف الديني و شؤون الأمارة لما تميزوا به من كفاءة و مستوى علمي و إخلاص فقد تولى أبو بكر ابن خلدون وزارة المالية بالدولة الحفصية و تولى ابنه محمود الحجابة ثم رئاسة الوزراء[829] .

و يرجع مرسيه التحضر المتسارع لبني عبد الواد للتأثير الأندلسي و يذكر في هذا السياق إقدام أبو حمو[830] على اصطفاء عائلة " الملاح " الذين جاءوا من قرطبة و توليته لأربعة وزراء منهم[831] .

---

[826]- نفسه ، ص 39 – 40 .

[827]- جورج مارسيه ، المرجع السابق ، ص 344 – 345 .

[828]- ناصر الدين مولود سعيدوني ، التجربة الأندلسية بالجزائر ، مدرسة بجاية الأندلسية و مكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق 6 – 7 هـ / 12 – 13 م) ، ندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات ، مكتبة الملك عبد العزيز ، الرياض ، 1414 – 1993 ، ص 81 .

[829]- جورج مرسيه ، المرجع السابق ، ص 345 ؛ محمد الأمين بلغيث ، فصول في التاريخ و العمران بالمغرب الإسلامي ، ط1 ، منشورات انتر سيني ، الجزائر ، 1428 – 2007 ، 62-63 .

و من التداعيات الاجتماعية لهذه الهجرة ظهور فئة اجتماعية جديدة مشكلة من المسلمين الذين آثروا البقاء في مساكنهم و مدنهم التي طالها المد النصراني ، و أطلق على هذه الفئة " المدجنون " – Mudejares – و شكلت هذه الفئة طائفة اجتماعية كبيرة داخل الممالك النصرانية الناشئة بالأندلس خاصة شرق الأندلس في مدينتي بلنسية و مرسية[832] ، و قد تعرضت هذه الفئة لانتقادات من طرف العلماء الفقهاء بسبب إيثارهم البقاء في بلاد الكفر على الهجرة إلى بلاد الإسلام و من أمثال هؤلاء العلماء ، ابو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني الونشريسي الذي كتب في ذلك رسالة سماها " أسمى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر و ما يترتب عليه من العقوبات و الزواجر[833] .

وكنتيجة لسقوط الدولة الموحدية أيضا نشطت حركة الهجرة الداخلية بالعدوة المغربية ، حيث تحركت قبائل زناتة من بني عبد الواد و المرينين من مواطنها في شمال الصحراء الكبرى بين الصحراء و تفيلالت نحو المناطق التلية الشمالية حيث استقرت قبائل بني عبد الواد شرق و جنوب تلمسان في نواحي المدية و مليانة و سهل شلف[834] ، بينما نفد بنو مرين إلى وادي ملوية و منطقة مرصيف تاوريرت بين الأطلس الأوسط و الريف مستغلين انحلال النفوذ الموحدي ، و تمكنوا من الزحف على سلا ثم تامسنا ثم فاس و تازة عبر جبال فازاز إلى تلادلا و أحيانا إلى سجلماسة[835] .

و كنتيجة لذلك انسحبت قبائل مصمودة إلى الجبال و البوادي غربي مراكش و هنتانة إلى جبل درن بالقرب من مراكش[836] .

---

[830] – هو موسى بن عثمان سلطان الدولة الزيانية من 707-718هـ/1308-1318 ، كان حازما يقظا داهية حسن الأخلاق ، رتب قواعد الملك و هذب مراسمه حتى انقاد بنو زيان لنهجه وتقبلوا طريقته ، أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص131-132 .

[831] – جورج مرسيه ، المرجع السابق ، ص 338 .

[832] –عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 56 .

[833] – حجي ، المرجع السابق ، ص 531 .

[834] – ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية ، ص 09 .

[835] –ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص 440 ؛ أحمد العزاوي ، رسائل موحدية ، ص 213 .

[836] – ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 970 .

و لم يستتن العرب من ذلك ، فبعد استيلاء بني عبد الواد على تلمسان و ضواحيها انتقلوا إلى المدن و الحواضر ، لتحل محلها زغبة من أوطانها في الصحراء إلى التلال و السهول ، و سيطروا على ما بقي من البربر ، و انتقل عرب المعقل إلى أوطان زغبة بالصحراء و استبدوا بمن بقي فيها من عرب زغبة[837] .

و في المغرب الأقصى رحل يعقوب ابن عبد الحق القبائل العربية المقيمة بدرعة إلى مراكش و أحوازها حتى يكونوا تحت رقابته[838] ، و استقرت قبائل جشم و هي : سفيان و الخلط و العاصم و بنو جابر في تامسنا ، و أقامت قبائل المعقل في السوس الأقصى ، أما قبائل رياح فقد أقامت في أزعار و بلاد الهبط[839] .

أما الحفصيون فنقلوا بعض بطون رياح إلى ضواحي القيروان و بلاد قسطيلية[840] ، و كنتيجة لقيام ثلاث دول متنازعة على أنقاض الدولة الموحدية اضطرت كل دولة إلى الاعتماد على القبائل العربية التي جاورتها للحفاظ على أمنها و حدودها[841] .

3- تنامي مكانة اليهود في المجتمع

تذهب عدة مصادر ومراجع إلى أن فترة حكم الموحدين كانت أسوأ أيام اليهود الذين تعرضوا لأشنع أنواع الاضطهاد و التضييق[842] ، فقد أعلن بنو عبد المؤمن صراحة أنه لا مجال لديانة أخرى في المناطق الخاضعة لهم لغير الإسلام[843] ، فقد أصدر عبد المؤمن بن علي مرسوما يخبر فيه اليهود بين الإسلام أو الهجرة أو سفك دمائهم[844] ،كما ألزم الخليفة الموحدي المنصور اليهود بلباس خاص

---

[837]- أبو ضيف أحمد عمر ، المرجع السابق ، ص 155 .

[838]- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 138 .

[839]-السلاوي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 31 – 32 .

[840]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 32 – 37 .

[841]- أبو ضيف أحمد عمر ، المرجع السابق ، ص 334 .

[842]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 368 ؛ شوقي نورة ، المرجع السابق ، ص 67 .

[843]- ألفريد بل ، المرجع السابق ، ص 326 .

[844]- التيجاني ، المصدر السابق ، ص 347 .

يميزهم عن بقية المسلمين[845] ، بسبب أذيتهم للمسلمين و التآمر عليهم و التجسس على الجيش و نقل أسرارهم إلى الأعداء و هو ما يبرر هذه العدوانية التي مارسها الخلفاء الموحون ضد اليهود[846].

و لم يسلم اليهود من أعمال السلب و النهب و القتل خاصة في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة بسب النزاعات التي عمت ربوع الدولة[847] .

و على إثر سقوط الدولة الموحدية عاد اليهود لتبوء مكانة هامة داخل المجتمع المغربي ، فقد تمكن اليهود من الظهور مجددا كعنصر هام داخل التركيب الاجتماعي للدويلات الناشئة على أنقاض الدولة الموحدية ، و قد ساعدت الظروف السائدة في بلاد المغرب الإسلامي على تزايد هذه العناصر داخل المجتمعات المغربية ، فقد كانت الحملة التي خاضتها الكنيسة ضدهم عاملا حاسما في هجرة أعداد كبيرة منهم إلى حواضر المغرب ، و نلاحظ أن هؤلاء اليهود المهاجرين كانوا من السفرديون[848] .

و قد شكلت هذه الطائفة جالية كبيرة في عواصم المغرب مستغلين التسامح الديني و الوقف الذي أظهرته الحكومات الناشئة اتجاههم ، خاصة و أن سكان المغرب أحسنوا استقبالهم ووفادتهم و سمحوا لهم بالإقامة في جوارهم و قد استطاع اليهود في ظل هذا التسامح أن يُكَوِنُوا بِيَّعَ لهم في بلاد الغرب منها بيعة توات[849] ، و يذكر البكري أن فاس كان يسكن بها خلق كبير من اليهود ، و شهد المغرب في بعض مدنه تجمع جاليات شكلته أكثرية ساحقة كدبدو و صفور و الصويرة و ميسورة[850] .

و كان اليهود يؤدون شعائرهم الدينية في حرية تامة ، خاصة و أن الفقهاء أفتوا بأن الوفاء لأهل الذمة واجب[851] .

---

[845]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص356 .

[846]– شرقي نورة ، المرجع السابق ، ص 74 .

[847]– William Carverly , op , cit , p 37 .

[848]– محمد بن أحمد ابن شقور ، المرجع السابق ، ص 220 .

[849]– الحسن السائح ، المرجع السابق ، ص 269 – 270 .

[850]– البكري ، المصدر السابق ، ص 115 .

[851]– كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996 ، ص 38 .

و لعب اليهود دوراً كبيراً في الحياة السياسية ، حيث كان لهذه الطائفة دور خفي داخل البلاطات الملكية نظرا لاتصالهم السري بالحاشية و الأسر المالكة و لتعاطيهم الحرف و صناعات فنية تمت للنساء بصلة كبيرة و ترتبط بميدان الانفعال و الوجدان أيما ارتباط ، و عن طريق هذه الوسائل السرية النفسية استطاعوا استمالة قلوب الملوك و النيل من عواطفهم[852] .

و هكذا يتضح لنا الدور الذي قام به اليهود و النفوذ الذي حصلوا عليه ، لذلك كان منهم ندماء و خزنة و مدبرو شؤون خاصة و وزراء[853] ، و الشاهد أن حلبقة بن حبون بن زمامة كان حاجبا للسلطان يعقوب بن عبد الحق ، كما تولت أسرة بني وقاصة اليهودية قهرمة القصر السلطاني في عهد يوسف بن يعقوب بن عبد الحق[854] .

و انتعش دور اليهود كذلك في الحياة الاقتصادية فاهتموا بالتجارة خاصة منها تجارة العبور و سيطروا على أسواق الذهب ، و تفردوا بصناعات مختلفة خاصة بهم بصفة عامة ، كالصياغة و الصيرفة وضع الأقمشة و الألبسة السنوية ، ناهيك عن ممارستهم للفلاحة و امتلاكهم للاقتطاعات الفلاحية الخصبة بالقرب من فاس و تلمسان و تونس[855] .

غير أن اليهود – غالبا – ما كانوا يستغلون تسامح السلطات معهم فينكثوا بما التزموا به ، و يتآمرون ضد المسلمين ويتجسسون عليهم و يحاولون نشر الفساد بينهم و هو ما دفع الحكام إلى اتخاذ إجراءات عقابية ضدهم في الكثير من الأحيان[856] .

يبقى أن نشير إلى أن سقوط الدولة الموحدية يعتبر أخطر حدث عرفه المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، فبالرغم من الظلم الذي مارسه الموحدون على رعياهم ، و التضييق الذي فرضوه على

852- السلاوي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص99 – 100 ؛محمد شقور ، المرجع السابق ، ص 41 .

853- محمد شقور ، المرجع السابق ، ص41 .

854- عيسى الحريري ، المرجع السابق ، ص 316 – 319 .

855- عبد الرحمان بشير ، اليهود في المغرب العربي(22-462هـ/642-1070م)، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، ص87-93 .

856- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني " 685 – 706 هـ / 1286 – 1306 م " ، دراسة سياسية حضارية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : عبد الواحد ذنون طه ، جامعة الموصل ، 1425 – 2004 ، ص 91 .

المذهب المالكي و فساد المنهج الفكري التومرتي في عمومه إلا أن اضمحلال دولتهم فتح الباب أمام مآس تاريخية عظيمة جسدها تفتت الدولة الواحدة إلى كيانات سياسية متناحرة في أغلب الأوقات ، و تنامي الخطر النصراني الذي استولى على جل أراضي المسلمين بالأندلس بل و أصبح يهدد المسلمين في عقر دارهم مستغلا حالة الضياع التي عرفتها في طور انحلالها ، ومن الآثار الوخيمة لهذا الحدث التاريخي انتكاس الحياة الفكرية بسبب ركون أغلب العلماء إلى التقليد ، ناهيك عن الانعكاسات الاقتصادية السلبية التي دمرت اقتصاد المغرب و كرست الهينة الأوربية على تجارة الحوض المتوسط ، وعليه يمكن الحكم بأن سقوط الدولة الموحدية كانت آثاره سلبية في مجملها .


خاتمة

كان سقوط الدولة الموحدية أخطر حدث عرفه المغرب الإسلامي نظرا لما قدمته هذه الدولة من خدمات جليلة في الجانب الحضاري و الأمني ، فقد مثل هذا الحدث نهاية مأساوية لإحدى أهم و أكبر دول المغرب الإسلامي ، و فتح الباب أمام تطورات سياسية و حضارية شكلت بداية لتاريخ مليء بالمآسي و الأحزان .

و تعود أسباب سقوط الدولة الموحدية إلى جملة من العوامل التي تنوعت بتنوع مكوناتها الحضارية ، إن المتتبع لتاريخ هذه الدولة يجد أن بذور انهياريها نشأت مع قيامها ، فالمنهج السياسي الذي اتبعه بنو عبد المؤمن و القائم على الاستئثار بالحكم و تهميش غيرهم فتح الباب أمام نزاعات و ثورات و فتن عديدة ضد حكمهم ، أنهكت دولتهم و استنزفت كامل مقدراتها ، كما أن هذا الصراع لم يكن بعيدا على البيت الموحدي الذي عرف صراعات مريرة على السلطة و الحكم بين أفراده ،كان لها بالغ الأثر على هيبة الدولة وقوتها ، فضلا عن الدور السلبي الذي لعبه الأشياخ و الإداريون الذين استأثروا بمناصبهم و غلبوا مصالحهم على مصالح الدولة العليا ، ولم تكن مظاهر الفساد بعيدة كذلك عن هرم السلطة الموحدية فلا عجب أن تستمع عن انغماس عدة خلفاء في الترف و المجون و اللهو و هي كلها ظروف إذا اجتمعت اعتبرت إيذانا بانهيار الدولة واضمحلالها ولم يكن الجيش الموحدي بأحسن حالاً من ولاته و حكامه، فقد خرج هذا الجيش الذي كان من أبرز أسباب قوة الدولة عن إطاره الخاص به و أصبح هَمُّ قادته و جنوده المال و المصالح و الاقطاعات و الامتيازات ليشكل بذلك عبأ على الدولة بعد أن كان حاميها و مصدر هيبتها .

و قد كان للتركيب الفكري و الذهني للدولة و الموحدية دوره البارز في تحطيم مصداقية الدولة وتراجع قبضتها على بلاد المغرب الإسلامي فالمنهج الفكري التومرتي لم يكتب له النجاح في البداية إلا لتضافر عدة عوامل أهمها الواقع المزري للمرابطين أواخر دولتهم و كذلك أسلوب البطش الذي اعتمده ابن تومرت لفرض منهجه الفكري ، وهذا ما ينبئ بأن الشعوب التي رضخت للموحدين لم يكن أغلبها مقتنعا بعقيدتهم التي حملت في طياتها الكثير من الزلات و التناقضات جعلتها بعيدة عن متناول إدراك الإنسان المغربي البسيط ، كما جعلتها من جهة أخرى تقابل بالنكير و الإعراض من

طرف العلماء و الفقهاء الذين لديهم المقدرة على وضع الأمور في ميزان الشرع ، و هذا ما يفسره تخلي من هم أجدر بحمايتها من خلفاء الدولة الموحدية عنها .

و كانت للأوضاع الاقتصادية المزرية للبلاد بسبب حالة اللاأمن و انعدام الاستقرار و كثرة الثورات و الحروب أثارها السلبية على الأوضاع الاجتماعية للسكان و حتى على السلطة التي لجأت إلى الضرائب و المكوس لتغطية العجز الذي عرفه بيت المال ، و قد أثرت هذه الضرائب تأثيرا بالغا على الحياة الاقتصادية و أرغمت كثيرا من الناس على التخلي عن أنشطتهم أو تغييرها وأمام عجز المال على تأدية رواتب الجند انضم الجيش إلى قائمة الأعباء التي أنهكت كاهل الناس بالضرائب بل أصبح مجمل الاقتصاد في خدمة الجيش و متطلبات القصور و هو الأمر الذي كرس شعوراً الاحتقان و الكراهية للسلطة الموحدية بل ألب عليها الكثير من الثورات و التمردات ، كما أصبغ نظام الدولة الاقتصادي بصبغة الظلم و الاستبداد و الأنانية و هو يندرج ضمن الشروط الفاعلة في انهيار الأمم عموما ناهيك عن الدولة الموحدية .

أما فيما يخص العوامل الاجتماعية فتتلخص أساسا في التحلل الذي أصاب العصبية المصمودية وهي التي بنى ابن تومرت على أكتافها دولته ، وذلك بسبب استئثار بني عبد المؤمن بالحكم بينهم وتهميش غير هم من القبائل الموحدية ، ناهيك على أن أقدام المأمون على قطع أخر عوامل الإخلاص و الترابط بين المصامدة و الدولة الموحدية و المتمثل في العقيدة التومرتية بالإضافة إلى الدور الذي لعبته العصبيات المنافسة في كسر شوكة المصامدة و الحد من سيطرتها على قبائل المغرب الإسلامي ، و أمام هذا التحلل ظهر ظرف اجتماعي أخر زاد من حدة التأزم بالدولة الموحدية نعني به التفكك الذي أصاب النسيج الاجتماعي بسبب ظهور عصبيات منافسة على مسرح الأحداث ساهمت في تفكيك المجتمع الموحدي و نخص بالذكر منها العرب الذين لعبوا دورا كبيرا في انتشار الفوضى و تدهور الأوضاع الأمنية و الاقتصادية بالإضافة إلى القبائل الزناتية التي لعبت دورا مفصليا في تفكيك التحالفات القبلية القائمة خلال العهد الموحدي و عزل الدولة اجتماعيا, و من العوامل

الاجتماعية كذلك المجاعات و الأوبئة بسبب الغلاء و الأزمات الاقتصادية التي انجرت عن الحروب و الفتن الكثيرة التي ميزت العهد الأخير للدولة الموحدية.

أما الانعكاسات التي انجرت عن سقوط الدولة الموحدية فتكمن في قيام كيانات سياسية على أنقاضها ، حيث أنشأ الحفصيون دولة لهم في إفريقية ، وكذلك الشأن مع المرينيين الذين أقاموا دولة لهم في المغرب الأقصى عاصمتها فاس و أسس الزيانيون دولتهم بالمغرب الأوسط و عصمتها تلمسان وفي الأندلس تمكن ابن الأحمر من إنشاء إمارة حضارتها غرناطة ، ومن التداعيات التي افرزها اضمحلال الدولة الموحدية تهاوي المدن الأندلسية أمام المد النصراني و سقوط زعمائها في أيديهم أمام عجز المسلمين عن رد عدوانهم و ضعف الدولة التي يفترض بها ذلك مما فتح الباب على مصراعيه أمام حركة الاسترداد النصرانية .

وفي الميدان الثقافي عرف المغرب الإسلامي عودة قوية للمذهب المالكي الذي عاد لتسيد الحياة الفقهية بعد زمن يمكن اعتباره نكسة لهذا المذهب ، و بذلك ازداد عمقا و تجذرا داخل المجتمع المغربي ،كما شهد المغرب الإسلامي نكسة على مستوى الحياة العلمية خَفَتَ معها صوت الإبداع و الاجتهاد و روح النقد و علت معه نبرة المتون و الحواشي و المختصرات و التقليد.

و أثر سقوط الدولة الموحدية بعمق على الأوضاع الاقتصادية للمغرب الإسلامي حيث تفكك الاقتصاد بين الدول الناشئة و تحولت العلاقات الاقتصادية الداخلية إلى علاقات خارجية بينها ، كما رافق ذلك تراجع كبير للاقتصاد بسبب الحروب و الفتن التي تزامنت مع سقوطها ، و فيما يخص النشاط التجاري فقد عرف تغيرات عميقة في طرقه و تنظيماته و قوانينه حيث انحرفت الطرق و القوافل التجارية إلى افريقية لأسبقيته للاستقرار و العمران و ظهر طابع جديد للعلاقات بين مدن شمال إفريقيا و مدن حوض المتوسط تميز سيطرة المدن الايطالية و الفرنسية على تجارة حوض المتوسط .

أما فيما يخص النتائج الاجتماعية فتتلخص في تراجع دور مصمودة في المجتمع المغربي بعدما كانت لها السيادة و الأبهة و الامتيازات لصالح العصبيات المنافسة ، وكذلك حدوث حركة واسعة للسكان في مختلف أرجاء المغرب حيث هجر جل الأندلسيين مدنهم نحو غرناطة أو حواضر شمال إفريقيا كما هاجرت قبائل مصمودة للجبال لتتقدم قبائل زناتة للحواضر و المدن كما هاجرت قبائل عديدة من العرب مواطنها فحلت إلى جانب الزيانيين في حواضرهم بصفة مؤيدين لدويلاتهم الناشئة و حلوا محلهم في الصحاري و البراري التي كانوا يشغلونها كما علا شأن اليهود بعد عقود من التهميش و الاضطهاد و برز دور اليهود بشكل كبير داخل المجتمعات الناشئة على أنقاض الدولة الموحدية حيث لعب اليهود دورا بارزا في الحياة السياسية و الاقتصادية.

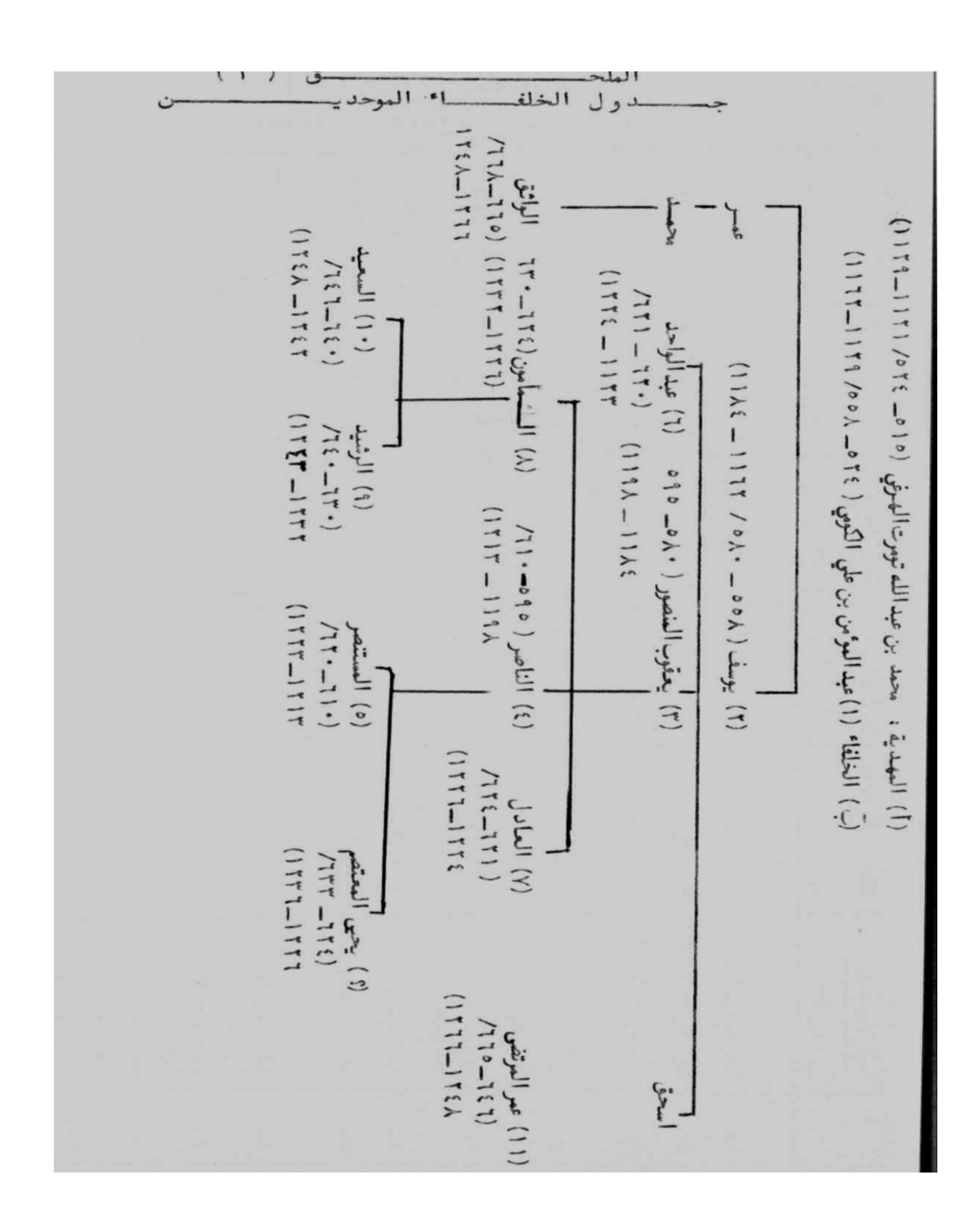
الملاحق

1 – نصوص و مخططات

2– جداول

3 – خرائط

الملحق رقم (1) : مخطط يوضح خلفاء الدولة الموحدية[857]



---

[857] – عز الدين عمر موسى ، الموحدون في الغرب الإسلامي ، ص374

الملحق رقم (02) : رسالة الخليفة المأمون الموحدي التي خرجت عن نهج الموحدين وعقائدهم

"من عبد الله إدريس أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين،إلى الطلبة والأشراف والأعيان والكافة، ومن معهم من المؤمنين والمسلمين أوزعهم شكر أنعمه، ولا أعدمهم طلاقة أوجهِ الأيام الوِسام.

وإنا كتبناه إليكم .كتب الله لكم عملا مُنقادا، وسعدا وقَّادا، وخاطرا سليما، لا يزال على الطاعة مُقيما، من حضرة مراكش .كلأها الله تعالى . وللحق لسان ساطع، وحسام قاطع، وقضاء لا يرد، وباب لا يسد، وظِلالٌ على الآفاق تمحو النفاق وبعد: فالذي نوصيكم به تقوى الله العظيم، والاستعانة به، والتوكل عليه.

ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم، روح الله، وما سمي: مهديا إلا لأنه تكلم في المهد، فتلك بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على هذه القلادة التي تقلَّدناها. وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فيمحى ويسقط ولا يثبت.

وقد كان سيدنا المنصور . رضي الله عنه . هم أن يصدع بما به الآن صدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا، فلم يُساعده لذلك أملُه، ولا أجَّله إليه أجلُه، فقدم على رأيه بصدق نية وخالص طِوَّية.

وإذا كانت العصمة لا تثبت عند العلماء للصحابة، فما الظنُّ بمن لم يدِر بأي يدٍ يأخذ كتابَه.أُفٍّ لهم قد ضَلُّوا وأَضَلُّوا، ولذلكَ ولُّوا وذُلُّوا، ما تكون لهم الحجة على تلك المِحَجَّة؟!.اللهم اشهد أنا قد تبرأنا منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك ياجبارُ من فِعْلِهم الرَّثِيثِ، ولأَمِرهم الخبيث... إنهم في المعتقد من الكفار، وإنا نقول فيهم كما قال نبيك عليه السلام (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا). والسلام على من اتبع الهدى واستقام"[858]

[858] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، قسم الموحدين ، ص286-287

الملحق رقم (03) :ظهير الخليفة الرشيد بإسكان المهاجرين من بلنسية و جزيرة شقر و شاطبة في مدينة رباط الفتح .

" هذا ظهير كريم من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ، أيده الله بنصره ، وأمده بمعونته و يسره للمنتقلين من بلنسة و جزيرة شقر و شاطبة ، ومن جرى من بلاد المشرق مجراهم ، ومن عراهم من عير الأيام ما عراهم .... ، وما أصابهم من الجلاء ، ودهاهم من أمر الأعداء ، وسعى لهم سعي من يقضى فيهم ، ويلتمس لهم مكانا للقرار ، ومنزلا لإلقاء عصى التيسار و عند ذلك أذن لهم الله تعالى إذنه وجدد مجده و يمنه ، في النقلة إلى رباط الفتح عمر الله تعالى ، بقضيضهم و قضهم ، و أن يتخذوا مساكنه و أرضه بدلا عن مساكنهم و أرضهم ، ويعمروا بلدا منه بقبل أولا من قبل و يحملهم إنشاء الله تعالى بخير البلاد ما حمل ....."[859]

توضح هذه الرسالة الهجرة الجماعية التي قام بها المسلمون في بلاد الأندلس هروبا من المد النصراني المتزايد في نهاية العهد الموحدي بسبب عجز الموحدين في رد العدوان عنهم .

[859] – عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص737 .

2 – الجداول

الملحق رقم (04) : ضحايا حادثة التمييز[860]

اسم قائد الحملة	القبيلة المعاقبة	عدد الضحايا
أبو أكدم ويحيى ابن كرط	هزميرة	500
محمد ابن مسكان و عبد الله ابن ملات	ركراكة	800
أبي سعيد و عثمان ابن عفان	حاحة	800
ابن يكبت وابن نصوي	أهل سوس	600
ومصال بن درح و ابن سيان	إيتكست	600
موسى ابن عيسى و الحسن بن سليمان	جزولة	500
سليمان ابن ميمون وعلي ابن يحيى	هسكورة	2500
عمر ابن ميمون و عبد الله ابن داود	تدلا	7500
بوسيد يخلف و محمد ابن يحيى الكسيري	الرباط	12800
أبو عبد الله محمد ابن سليمان ويحيى بن نوكروني	غمارة	900
عبد الله ابن بن فاطمة اللتروني و ابو ترتارت	برغواطة	600
اسحاق بن عمرو الهنتاني	دكالة	600
الحسن ابن المعلم وعلي ابن يخلف	هرلانة	800
زكريا ابن سعد الله الوريكي	وريكا ومزرحة	250
محمد بن سحنون و عبد الكريم النباني	لجاعة وغيدانة	150
يحيى و عبد الصمد الدرعي تادراوت	درعة	600
محمد ابن أبي بكر ابن ترتدوب	لم يذكر لها اسم	1000
يوسف بن سليمان عبد الله ابن خيار الجباني	فاس ومكناسة	580
المجمـــوع		33000

يبين هذا الجدول مدى تساهل الموحدين في سفك الدماء و قتل كل من يخالفهم و هو ما يدل على وجود نزعة خارجية في العقيدة التومرتية .

860 – بولقطيب ، المرجع السابق ، ص95

الملحق رقم (05) : جدول يوضح أخطر المجاعات التي ضربت المغرب في فترة ضعف الدولة الموحدية[861]

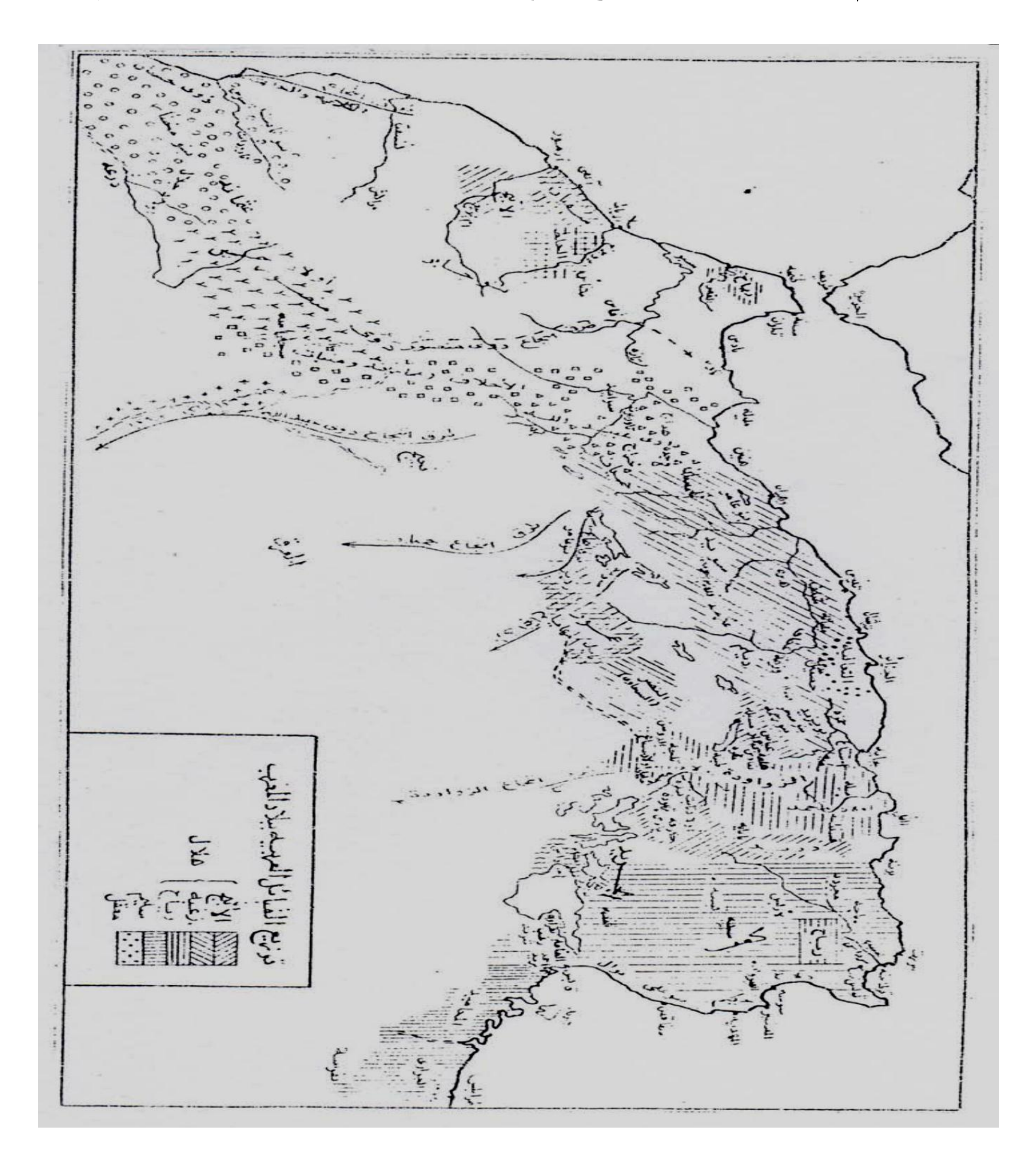
سنة المجاعة		مجاعات عامة	مجاعات محلية	المصدر	الجزء و الصفحة
1	596 هـ		فاس	كتاب في تراجم الاولين (مخ)	288
2	607 هـ	X		البيان المغرب	259
3	614 هـ	X		البيان المغرب	267
4	616 هـ	X		البيان المغرب	266
5	617 هـ	X		الذخيرة السنية	54
6	617 هـ	X		البيان المغرب	267
7	617 هـ	X		الاستقصا	ج2 / 262
8	619 إلى 637 هـ	X		روض القرطاس	41
9	619 إلى 637 هـ	X		جذوة الاقتباس	ج1/34
10	624 هـ	X		الاستقصا	ج2 / 264
11	630 هـ	X		الاستقصا	ج2 / 264
12	632 هـ		مراكش	البيان المغرب	325
13	634 هـ	X		البيان المغرب	399
14	635 إلى 638 هـ		الريف	المقصد الشريف	61
15	637 هـ		سبتة	البيان المغرب	351
16	651 هـ	X		البيان المغرب	267

نلاحظ من خلال هذا الجدول تعدد سنوات القحط و المجاعات خاصة في نهاية العهد الموحدي و هو ما زاد في تداعي أركان الدولة الموحدية المتهاوية أصلا .

[861] – بولقطيب ، المرجع السابق ، ص95

3 – الخرائط

الملحق رقم (06) : خريطة توضح توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب الإسلامي[862]

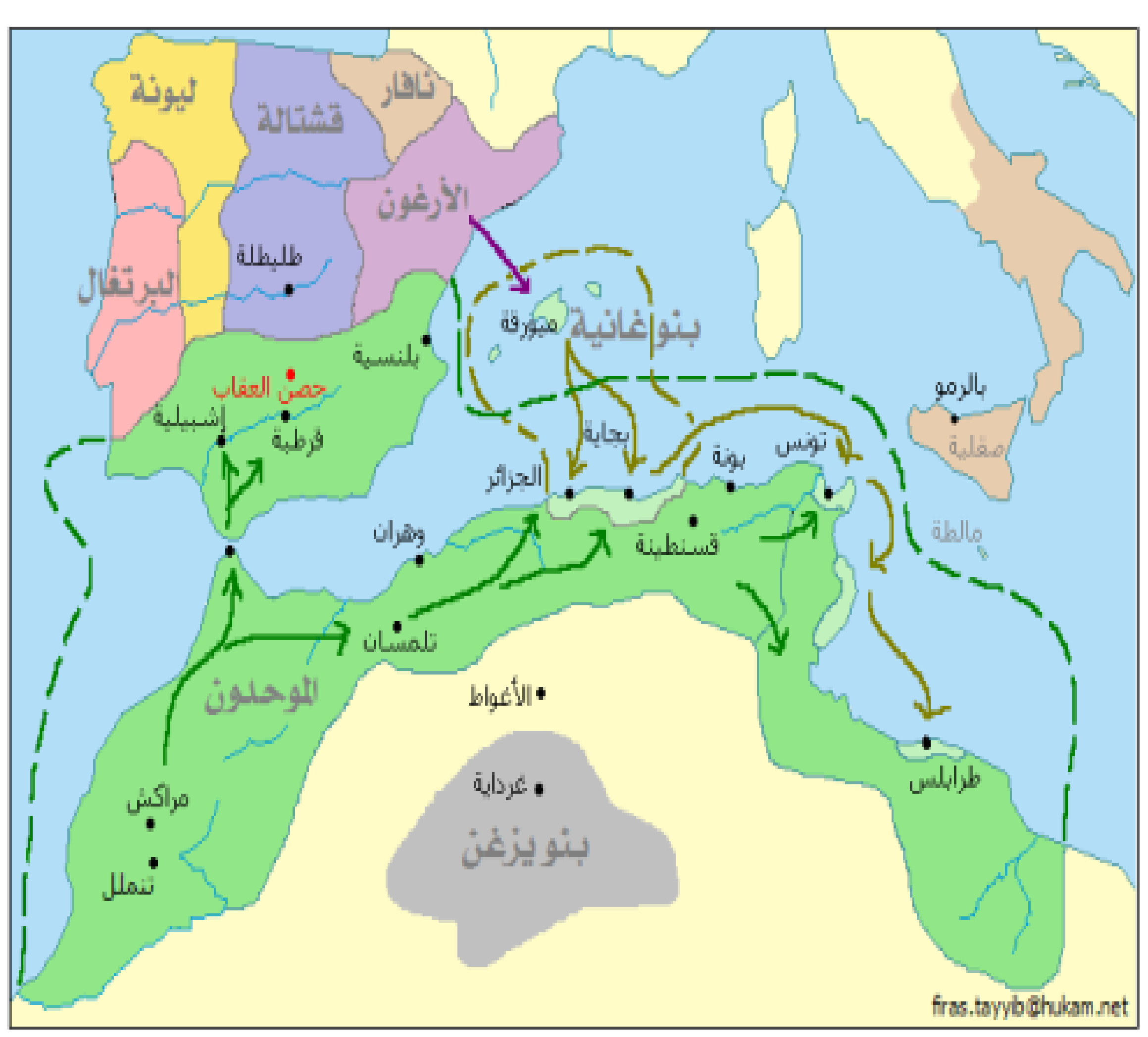


توضح هذه الخريطة توزيع القبائل العربية خلال العهد الموحدي و التي لعبت دورا بارزا في إسقاط الدولة الموحدية و بناء الدويلات التي قامت على أنقاضها .

---

862 – شرقي نورة ، المرجع السابق ، ص286

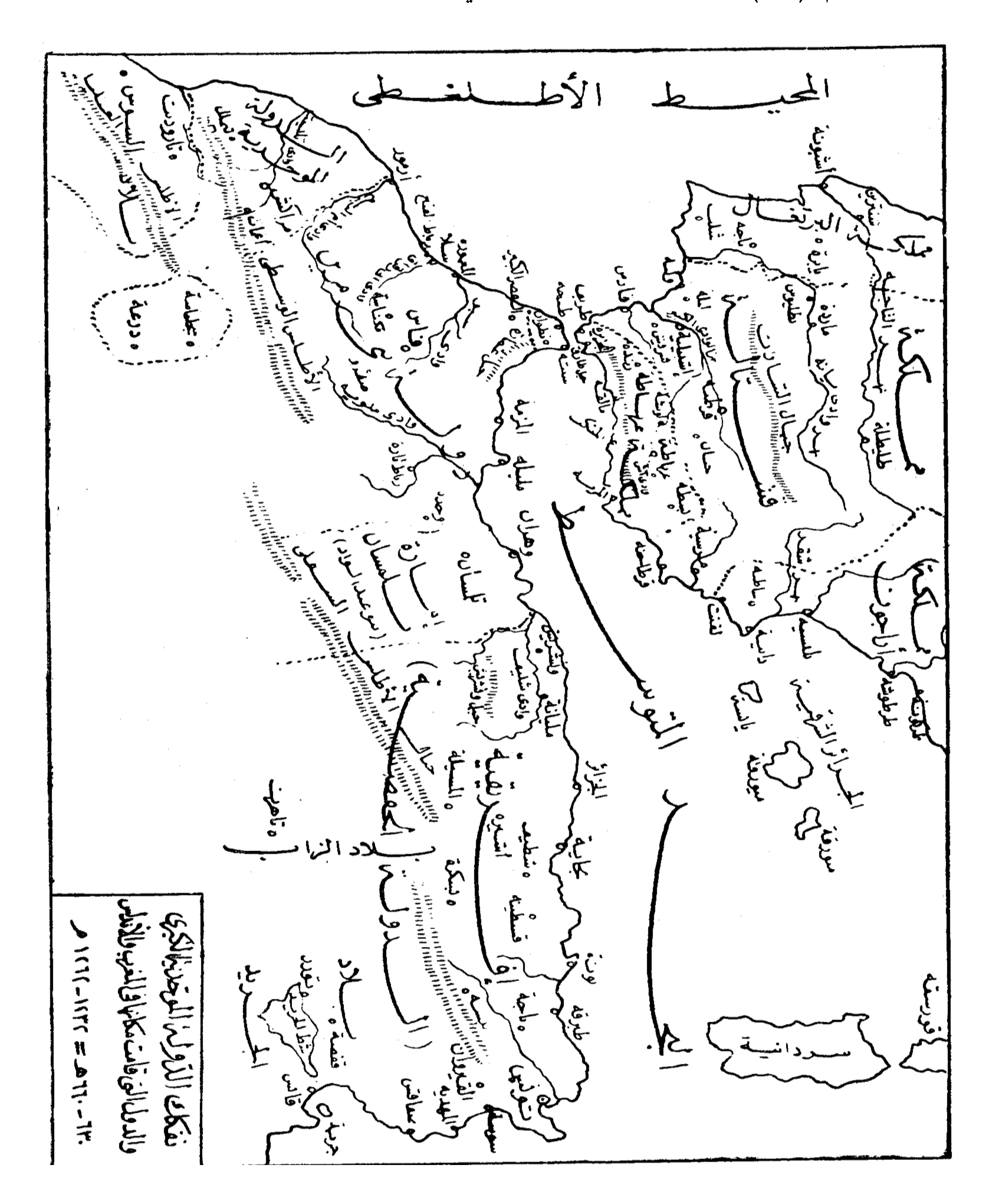
الملحق رقم (06) :خريطة توضح الصراع بين الموحدين و بني غانية[863]





[863] UQU/ EDU. SA –

الملحق رقم (07) : خريطة للمغرب الإسلامي بعد تفكك الدولة الموحدية[864]



توضح هذه الخريطة المجال الجغرافي للدويلات التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية

864 – عبد الله عنان ، المرجع السابق، ج3 ، ص569

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- القرآن الكريم (رواية ورش)

1. ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت 668هـ/1269م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح: رضا نزار، دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان.
2. ابن أبي دينار أبو عبد الله الرعيني ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، ط1، تونس، 1967.
3. ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي ، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.
4. ـ ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرنية، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
5. ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/ 1259م)، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة، 1415هـ/1995م.
6. ـ ، الحلة السيراء ، تح: حسين مؤنس، الطبعة 02، القاهرة، مصر، دار المعارف، 1985م .
7. ابن الأثير أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، ط4 ، راجعه و صححه: محمد يوسف دقاف، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 – 1423.
8. ابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل، كتاب روضة النسرين في دولة بني مرين ، تح: عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية الرباط، 1962.
9. ـ ، بيوتات فاس الكبرى، دار منصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1972م.
10. ابن الخطيب لسان الدين، المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تح :أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.
11. ـ ، كتاب أعمال الأعلام، ط2 ، تح : لافي بروفينصال ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 .
12. ابن الخطيب لسان الدين، كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح : محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، 1956.

13. ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني (ت708هـ/ 1308م)، صلة الصلة، تح: ليفي بروفنسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية، 1938م.
14. ابن الزيات أبو العباس التادلي (ت 617ه / 1220م) ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط02، الرباط، المغرب، منشورات كلية الآداب، طبع مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.
15. ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح : الطاهر بن محمد المعموري ، الدار الغربية للكتاب.
16. ابـن القاضـي أحمـد المكناسـي (تـ 1025هـ/ 1615م)، جـذوة الاقتبـاس في ذكـر مـن حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط ، 1973م.
17. ابـن القاضـي عيـاض أبي عبـد الله محمـد، التعريـف بالقاضـي عيـاض، تـح: محمـد بـن شريفة، ط 2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1982م.
18. ابـن القطـان المراكشـي (تـ منتصـف القـرن7هـ/13م)، نظـم الجمـان لترتيـب مـا سـلف مــن أخبــار الزمــان، تــح: محمــود علــي مكــي، بــيروت، لبــنان، دار الــغرب الإســلامي، 1409ه/ 1989م.
19. ابـن بشـكوال أبـو القاسـم خلـف بـن عبـد الملـك بـن مسـعود بـن موسـى ، الصـلة ، ط1 ، تح : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1410-1989ز
20. ابن تومرت محمد بن عبد الله الهرغي المصمودي (ت 524 ه/ 1130م)، أعز ما يطلب، تح: عبد الغني أبو العزم، المغرب، مؤسسة الغني للنشر.
21. ابن حزم الظاهري محمد علي بن أحمد ، الفصل في الملل و النحل ، ط2 ، تح : محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1416- 1996.
22. ابن حوقل أبو القاسم محمد، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.
23. ابن خلدون عبد الرحمن ، التعريف بابن خلدون رحلته شرقا وغربا، تح : محمد بن تاوية الطنجي، نشر لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951.
24. ـ ، المقدمة، طبعة بيروت، 1968. وطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.

25. ابن خلدون أبو زكرياء يحيى بن محمد، بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، جزءان تح : عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية،الجزائر 1980.
26. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ / 1283 م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس ، ط01، بيروت، لبنان، دار صادر، 1994م.
27. ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي (ت 633هـ /1235م) ، المطرب في أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، بيروت، دار العلم للجميع، 1415م/ 1955م.
28. ابن سعيد أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت 685هـ/ 1286م)، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط03، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1995م.
29. ابن صاحب الصلاة عبد الملك محمد بن أحمد (ت578هـ/ 1182م) ، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، ط03، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1987م.
30. ابن عبد الملك أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري المراكشي (ت 703هـ/1303م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس (بقية السفر الرابع، والسفر الخامس، والسفر السادس)، ومحمد بن شريفة (السفر الأول والسفر الثامن)، ط01، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973م.
31. ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج4، (جزء خاص بالموحدين)، تح : محمد إبراهيم الكتاني و آخرون ، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
32. ـ، نفس المصدر، ج3، ط2 ، تح : ليفي برفينصال و كولان ، دار الثقافة ، بيروت ،1983.
33. ابن غازي محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي المكناسي (ت 919هـ/ 1513م)، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، المغرب،1371ه/1952م.

34. ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري (تـ799هـ / 1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ط1، ، تح : مأمون بن محي الدين جنان ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417 – 1996 .

35. ابن قنفذ القسنطيني، كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح : محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

36. ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد، كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، نشره : محمد بن أبي شنب، وقدم له: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986.

37. ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج2 ، تح : حسين محمد ربيع ، مراجعة : سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتاب و الوثائق القومية ، مصر.

38. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ/ 1058م)،الأحكام السلطانية ، القاهرة، مصر، دار الحديث .

39. أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج3 ، تح : أحمد زهور و أحمد عناية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

40. أبو العباس المقري ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا،إبراهيم،عبد العظيم شلبي، القاهرة، مصر، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، 1358هـ/1939م.

41. أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ،1287.

42. الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد .

43. ـ ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق تح :. إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983

44. البادسي عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الغرناطي(كان حيا سنة 722هـ/ 1321م)،المقصد الشريف و المنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، ط2 ، تح : سعيد أعراب ، المطبعة المالكية، الرباط، 1414 -1993 .

45. البكري ابن عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمتغرب، نشر دي لان ، 1965.

46. البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي ابن تومرت، تح : عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

47. التيجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد ، رحلة التيجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1981.

48. التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، على هامش ديباج ابن فرحون، تح : علي عمر، جزءان ، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، 2004.

49. ـ ، كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج ، ج1 ، تح : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1423 – 2004.

50. الجزنائي علي، جني زهرة الآس في أخبار مدينة فاس، ط02، ، تح : عبد الوهاب منصور ، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/ 1991م.

51. الحموي شهابا لدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (تـ 626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، ط02، دار صادر، بيروت، 1415هـ/ 1995 م.

52. الحميري محمد بن عبد المنعم السبتي، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي)، ط2 ، تح : لافي بروفينصال، دار الجيل ، بيروت ،1408 – 1988.

53. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله(تـ 748 هـ/ 1347 م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط02، دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان، 1413 هـ/ 1993 م.

54. ـ ، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط 03، الرسالة، 1405 هـ / 1985 م.

55. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح : محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 .

56. الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، كتاب الجغرافية ، تح : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد .

57. السلاّوي أحمد أبو العباس الناصري ، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1955.

58. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (تـ 548 هـ / 1153م)، الملل والنحل، ط1، تح : أمير علي مهنا ، و علي حسن فعود ، دار المعرفة ، بيروت، 1414 -1993.

59. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

60. الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، ط1 ، علق عليه : أحمد علي سليمان ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، 2005.

61. القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس (684هـ/ 1285م)،الذخيرة في الفقه المالكي، تح:محمد حجي، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1994م.

62. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة، ج5، القاهرة، 1963.

63. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق سعد زغلول ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد.

64. مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط01، دار الرشاد الحديثة، 1399هـ/ 1993م.

65. مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتح: عبد القادر بوباية، ط01، الرباط، المغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 1425هـ/ 2005م.

66. شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ، دار صادر ، بيروت .

67. المراكشي محيي الدين عبد الواحد، كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح : محمد السعيد العريان ومحمد العلمي، القاهرة، 1949 .

68. المراكشي عبد الواحد (منسوب إليه)، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط 01، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997م .

69. المقري أحمد بن محمد التلمساني، كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض، تح : مصطفى السقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة، 1940.

70. ـ، كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1968.

71. الموردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، ط1 ، تح : أحمد مبارك البغدادي ، مكتبة دار ابن قتيبة ، الكويت ، 1409هـ – 1989م.

72. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، (ت 733هـ / 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط 01، دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة، مصر، 1423 هـ / 2002م.

73. الوزان حسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، جزءان، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

74. الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إعداد: محمد حجي ومحمد العرايشي وأحمد الشرقاوي إقبال،بيروت، 1981.

ثانيا :المراجع

75. ابن شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/ 1985م.

76. أبو رميلة هشام ، علاقات الموحدون بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس ، ط1 ، ، دار الفرقان ، عمان ، 1404هـ – 1984م.

77. ابن قربة صالح ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985 .

78. أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، ط 01، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1411هـ/ 1990م.

79. أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمه ووضع حواشيه: محمد عبد الله عنان، ط 02، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، 1377هـ / 1957م.

80. إمــام مرعــي خلــف الله، العلاقــات بــين الخلافــة الموحديــة والمشــرق الإســلامي، دار المعارف، 1405هـ/1985م .

81. بدوي عبدالرحمن ، مذاهب الإسلاميين ، دار العلم ، بيروت ، 1997.

82. بلغيــث محمــد الأمــين ، فصــول في التــاريخ و العمــران بــالمغرب الإســلامي ، ط1 ، منشورات انتر سيني ، الجزائر ، 1428 – 2007 .

83. بن نبي مالك ، وجهة العالم الاسلامي ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق ، ص 1986.

84. بوتشــيش إبــراهيم القــادري، إضــاءات حــول تــراث الغــرب الإســلامي و تاريخــه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، 2002م.

85. ــــ ، المغـرب والأنـدلس في عصـر المـرابطين، المجتمـع، الـذهنيات، الأوليـاء، ط 01، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م.

86. بولقطيــب حســين ، جــوائح و أوبئــة ، عــهد الموحــدين ، مطبــعة النجــاح الجديــدة ، الدار البيضاء.

87. التــازي عبــد الهــادي، جــامع القــرويين المســجد والجامعــة بمدينــة فــاس، دار الكتــاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1973م.

88. التليـدي عبـد الله بـن عبـد القـادر، المطـرب بمشـاهير أهـل المغـرب، ط04، دار الأمـان، الرباط، المغرب، 1424هـ / 2003م.

89. التهــامي إبــراهيم ، جهــود علمــاء المغــرب في الــدفاع عــن عقيــدة أهــل الســنة، دار الرسالة، الجزائر، 1422هـ/ 2002م.

90. التميمـــي إبـــراهيم ، الأشـــعرية في المغـــرب ، ط1 ، دار قرطبـــة ، الجزائـــر ، 1427- 2006.

91. توفيــق الغلبــزوري، المدرســة الظاهريــة بــالمغرب والأندلس،نشــأتها –أعلامهــا-أصــولها- أثرهــا، ط 01، الريــاض، المملكــة العربيــة الســعودية، مكتبــة ودار ابــن حــزم للنشــر والتوزيع،1427هـ/2006م .

92. الجــابري محمــد عابــد ، العصبــية و الدولــة ، ط6 ، مــركز دراســات الوحــدة العربيــة ، بيروت ، 1994.

93. جمـال أحمـد طـه، مدينـة فـاس في عصـري المـرابطين و الموحـدين، دراسـة سياسـية وحضارية، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2001م.
94. حاجيـات عبـد الحميـد ، أبـو حمـو موسـى الزيـاني ، حياتـه وآثـاره ، الشـركة الوطنيـة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982.
95. حجـي عبـد الرحمـان علـي ، تـاريخ الأنـدلس مـن الفـتح الإسـلامي إلى سـقوط غرناطـة (92هـ - 897هـ/ 711م 1492م) ط2 ، دار القلم ، دمشق ، 1981.
96. حركـات إبـراهيم، المغـرب عـبر التـاريخ، دار الرشـاد الحديثـة ، بـيروت، لبنـان، 2000م.
97. الحسـن السـائح ، الحضـارة الإسـلامية في المغـرب ، ط2 ، دار الثقافـة ، الـدار البيضـاء ، 1406 ، 1986.
98. الحقـي عبـد المـنعم ، موسـوعة الفـرق و الجماعـات و المـذاهب الإسـلامية ، ط1 ، دار الرشاد ، القاهرة ، 1413 – 1993.
99. حسـن علـي حسـن، الحضـارة الإسـلامية في المغـرب والأنـدلس عصـر المـرابطين والموحدين، ط 01، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980م.
100. خالـدي عبـد الحميـد ، الوجـود الهـلالي السـليمي في الجزائـر ، دار هومـه ، الجزائـر ، 2012 .
101. الدراجي بوزيان ، العصبية القبلية ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2003
102. الشطشـاط علـي حسـين ، نهايـة الوجـود العـربي في الأنـدلس ، دار قبـاء ، القـاهرة ، 2001.
103. سـامية مصـطفى محمـد مسـعد ، الحيـاة الاقتصـادية و الاجتماعيـة في إقلـيم غرناطـة عصري المرابطين و الموحدين ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2003.
104. سعد زغلـول عبـد الحميـد، تـاريخ المغـرب العـربي، الإسـكندرية، مصـر، منشـأة المعـارف، 1990م.
105. السـلاوي أبـو العبـاس خالـد الناصـري(تـ1319 هـ/ 1901م)، الإستقصـا لأخبـار دول المغـرب الأقصـى ، تـح : جعفـر الناصـري ومحمـد الناصـري ط01، الـدار البيضـاء، دار الكتاب،1418هـ/1997 م .

106. السامرائي خليل إبراهيم و آخرون ، تاريخ العرب و حضارتهم بالأندلس ، ط1، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2000.
107. الصلابي محمد علي، الدولة الموحدية، الأردن، ط01، دار البيارق، 1419 هـ /1998م.
108. الطمار محمد عمرو ، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984.
109. الطيبي أمين توفيق ، دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس ، ج2 ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1997.
110. العبادي أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، مصر، 1982م.
111. ـــ ، ، صورة من حياة الحرب و الجهاد في الأندلس ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، 2000.
112. عبد الرحمان بشير ، اليهود في المغرب العربي(22-462هـ/642-1070م)، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية.
113. عبد الله محمد عبد الله ، ولاية الحسبة في الإسلام ، ط1 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1998.
114. عبد المنعم محمد حسين ، مدينة سلا في العصر الإسلامي ـ دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري ـ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1993.
115. عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
116. ـــ ، النشاط الاقتصادي بالمغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1424-2003.
117. ـ ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الشروق ، بيروت.
118. عز الدين ماضي أبو العزائم ، إسلام الصوفية هو الحل لإسلام الخوارج ، ط1 ، دار الكتاب الصوفي ، 1414- 1993 .

119. عــزاوي أحمــد، رســائل موحديــة – مجموعــة جديــدة، تــح: ، المغــرب، ط 01، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، 1416هـ/1995م.

120. عصام الـدين عبـد الـرءوف الفقهـي ، تـاريخ المغـرب والأنـدلس، مكتبـة نهضـة الشـرق، القاهرة، مصر، 1990م.

121. عصـمت عبـد اللطيـف ، الأنـدلس في نهايـة المـرابطين ومسـتهل الموحـدين – عصـر الطوائف الثاني، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م.

122. عـلام عبـد الله علـي، الدولـة الموحديـة في عهـد عبـد المـؤمن بـن علـي، صـدر الكتـاب عـن وزارة الثقافـة بمناسـبة الجزائـر عاصـمة الثقافـة العربيـة، 2007م، سـحب المطبعـة الشـعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

123. عنــان عبــد الله، دولــة الإســلام في الأنــدلس، مكتبــة الخــانجي، ط02، القــاهرة، مصر،1411هـ/ 1990م .

124. عـويس عبـد الحلـيم، دراسـة لـسقوط ثلاثـين دولـة إسـلامية، ط 03،دار الـوفاء، 1410هـ/1989م.

125. ـ ، عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ط2 ، دار الصحوة ، القاهرة ، 2002

126. عيـسى الحريـري، تـاريخ المغـرب الإسـلامي والأنـدلس في العـصر المرينـي (610هـ/1213م- 869هـ/1465م)، ط 01، دار القلـم للنـشر والتـوزيع، الكويـت، 1405هـ/ 1985م.

127. غناي مراجع عقيلة ، قيام الدولة الموحدية ، ط2 ، دار الكتاب ، ليبيا.

128. ـ ، سقوط الدولة الموحدية ، ط2 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2008.

129. الغنيمـي عبـد الفتـاح مقلـد ، موسـوعة المغـرب العـربي ، ج3 ، ط1 ، مـكتبة مـدبولي ، القاهرة ، 1414 – 1994.

130. فـيلالي عبـد العزيـز ، تلمسـان في العـهد الزيـاني ، ج1 ، مـوفر للـنشر والـتوزيع ، الجزائر، 2002.

131. القرقـوطي محمـد الهـادي ، جهـاد الموحـدين بالأنـدلس ، دار هومـة ، الجزائـر ، 2005.

132. كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب.
133. ــــ ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوي المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ، 1996.
134. كنون عبد الله الحسني، النبوغ المغربي، ط 02، مطبعة تطوان،1380هـ/1960م .
135. ـ ، جولات في الفكر الإسلامي ، مطبعة الشويخ ، قطوان ، 1400- 1980.
136. لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، الطبعة 01، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1429ه/2009م.
137. مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارته، دول المرابطين والموحدين والحفصي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992م.
138. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط ، ج1، إشراف: إبراهيم مصطفى ، و آخرون ، دار الدعوة ، القاهرة.
139. محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط 01، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال، 1989م.
140. ــــ ، تاريخ الوراقة المغربية ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1991 .
141. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر ، القبائل العربية في عصري الموحدين و بني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.
142. المصمودي الطاهر ، الغزالي و علماء المغرب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1990.
143. المطوي محمد العروسي ، السلطنة الحفصية التاريخ السياسي و دورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1406 – 1987.

144. الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب.
145. الميلي محمد بركات، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ط 01، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1996م.
146. النجار عبد المجيد،المهدي بن تومرت : حياته آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/ 1983م .
147. ــ ، تجربة إصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط 02، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1415هـ/ 1995م.
148. ـــ، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط 01، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1413هـ/ 1992م.
149. الهروس مصطفى ، المدرسة المالكية في الأندلس ، مطبعة فضالة ، المغرب ، 1418 – 1997.

ثالثا :المراجع الإستشراقية

150. ألفريد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، ط3 ، دار الغرب الإسلامي،1987م.
151. أمبرو سيو هويثي ميرندا ، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية ، ط1 ، تر : عبد الواحد أكمير ، النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2004.
152. أنخيل جثالث بالنسيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، تر: حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص414 .
153. جورج مارسيه ، بلاد المغرب و علاقاتها ببلاد المشرق في العصر الوسطي ، تر: محمود عبد الصمد هيكل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1931.
154. روجيه لي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس.
155. شال أندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، تر:محمد مزايا و بشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر ، ج2 ، 1983.

156. ليفي بروفنسال ، مجموعة الرسائل الموحدية ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، 1941.

رابعا: الرسائل و الأطروحات

157. بان علي محمد البياتي ، النشاط التجاري بالمغرب الأقصى خلال القرن (3-4هـ/ 9-11 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجيستر في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : صباح إبراهيم الشيخلي ، جامعة بغداد ،1425-2004.

158. بكايي هوارية ، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا و ثقافيا ، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في التاريخ الإسلامي ، إشراف : بودواية مبخوت ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2007-2008.

159. بلحسن إبراهيم ، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن (7 إلى القرن 9هـ/ 13 إلى 15م)، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2005/2004.

160. بلعربي خالد ، التطور السياسي ، و الحضاري لدولة بني عبد الواد (633- 681 هـ / 1235- 1282 م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، إشراف : عبد الحميد حاجيات ، جامعة الجيلالي اليابس ، بلعباس ، 2003 – 2004.

161. بوداعة نجادي ، الحياة الفكرية في الأندلس على عهد الدولة الموحدية (541-1147/668-1269) ، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف: عبدلي لخضر ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2010.

162. بوشامة عاشور ، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس ،(626 هـ - 981 هـ / 1228 م – 1573 م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : حسين أحمد محمود ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1411 – 1991.

163. جدو فاطمة الزهراء ، السلطة و المتصوفة في الأندلس عهد المرابطين و الموحدين ،(479 – 635 / 1086 – 1238) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف : إبراهيم بكير بحاز ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 1429 – 2008.

164. راكة عمر ، علاقات الدولة الموحدية بالإمارات الإسلامية و الممالك المسيحية ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : بودواية مبخوت، جامعة تلمسان ، 2011.

165. سكاكو مريم ، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس ما بين القرنين (8 – 9 هـ / 14- 15 م) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : مبخوت بو دواية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 1433 – 2012.
166. شرقي نوارة ، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524 – 667) (1126 – 1268) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، إشراف : عبد العزيز محمود لعرج ، جانعة الجزائر ، 1429 – 2008.
167. عابد يوسف ، الموحدون في بلاد المغرب ، (515 – 595 هـ / 1120 – 1199 م) ، دراسة في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية ، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي ، ج1 ، إشراف : عبد العزيز فيلالي ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، 2007.
168. عبد النبي بن محمد ، مسكوكات المرابطين و الموحدين في شمال إفريقيا و الأندلس ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية ، إشراف : عبد الرحمان فهمي محمد ، جامعة الملك عبد العزيز بمكة ، 1399 – 1979.
169. غرداين مغنية ، الحركات المناوئة للموحدين في المغرب الأندلسي ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف : لخضر عبدلي ، جامعة تلمسان ، 2009 – 2010.
170. ليلى أحمد نجار ، المغرب و الأندلس في عهد المنصور الموحدي ، دراسة تاريخية و حضارية (580هـ - 595هـ) – (1184م – 1198م) ، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، إشراف : أحمد السيد الدراج ، جامعة أم القرى ، مكة ، 1409- 1989.
171. مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927 هـ / 1192 – 1520 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، تحت إشراف : محمد الأمين بلغيث ، جامعة منتوري ، قسنطينة 1429 - 1430 / 2008 – 2009.
172. المسعودي جميلة ميلي ، المظاهر الحضارية في دولة بني حفص منذ قيامها (621 – 893 هـ)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : محمد المسني محمود العاصي ، محمود العاصي ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1421 – 2000.

173. مغزاوي مصطفى ، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي و الأندلس خلال العصر الموحدي (6هـ- 8هـ) (11م- 13م) ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: خالد علال كبير ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ،2011- 2012.

174. ـــ ، العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه ، (5هـ- 11 م / 8هـ - 14م) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف: خالد كبير ، جامعة الجزائر ، 1429 - 2008.

175. ملياني زينب ، التصوف في الغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، إشراف : محمد الأمين بلغيث ، جامعة الجزائر ، 1428 - 2007.

176. نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني " 685 - 706 هـ / 1286 - 1306 م " ، دراسة سياسية حضارية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف : عبد الواحد ذنون طه ، جامعة الموصل ، 1425 - 2004.

177. يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية و آثارها في المغرب و الأندلس (238هـ - 488هـ) - (852 م - 1095 م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، إشراف : طاهر راغب حسين ، جامعة القاهرة ، 1421 - 2000.

خامسا :مجلات و دوريات

178. أعراب سعيد ، موقف الموحدين من كتب الفروع، مجلة دعوة الحق، العدد : 249 ، الرباط ، 1985.

179. ـــ، نوازل البرزلي، مقال عن موقف الموحدين من كتب الفروع، مجلة دعوة الحق المغربية، 1985، العدد: 249.

180. حاجيات عبد الحميد ، ملاحظات حول تطور الحياة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين ، مجلة كلية الآداب ، المجلد 2 ، تلمسان 2000.

181. صادق شكري محمود ، الفكر السياسي عند الموحدين على عصر عبد المؤمن ابن علي ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد 12 ، العدد : 03.

182. سعيدوني ناصر الدين مولود ، التجربة الأندلسية بالجزائر ، مدرسة بجاية الأندلسية و مكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق 6 – 7 هـ / 12 – 13 م) ، ندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات ، مكتبة الملك عبد العزيز ، الرياض ، 1414 – 1993.

183. مبروك المهدي ، المدرسة الفقهية المالكية ، مجلة الثقافة الإسلامية ، العدد : 01 ، الجزائر ، 2005.

184. الهنتاتي نجم الدين ، مرجعيات المدرسة المالكية الفاسية في العصر الوسيط وخصائصها العامة، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد: 51، 2010م.

185. المغراوي محمد ، صمود المذهب المالكي، مجلة دعوة الحق، العدد : 391، الرباط ، 2009.

186. المنوني محمد ، الإمبراطورية الموحدية في طور الانحلال ، مجلة دعوة الحق ، العدد : 02 ، الرباط ، 1964.

سادسا: مراجع باللغة الأجنبية

187. Dhina Atuclah,les états de l'occident musulman aux 12/13 siecles ,o,p,u,Alger .

188. Erest Mercier , l’Afrique Septentrionale , T1 , Ernest Leroux , Editeur , Paris , 1888.

189. Faure Bigauet , histoire de L' afrique Septentrionale sous la domination Musulman , charles, Lavauzele , Editeur Militaire , Paris.

191 - Kaddach Mahfoud ,L’Algérie Médiéval , Société National , d’Edition et de diffusion , Alger.

192- La comtesse Drohojowski , l’histoire de l’Algérie , A-Allwrd , Libraire , Editeur commissionnaire , Paris , 1848.

193 - Le Comte de MAS LATRIE , relation et commerce de l' Afrique septentrionale , librairie de frimindidot , paris , 1886 .

194 -Lieutenant – colonel Magin , La force noire , Libraire Hachette , Paris , 1910.

195 - Leon GELEY , l'Espagne des Goths et des Arabes , librairie léopold CERF, Paris,1882.

196- MDE Marles , Histoire de conquête de l’Espagne par les arabes , Ad Mame et Ce, Libraire , 1847.

197- Telb Abdesselem , l’organisation financière de l’empire Marocain , Emile Larose Libraire , Editeur , Paris , 1911.

198- William Caverly , Hosting Dynasties and fars: chronicling the religious history of a Medieval Moroccan Oasis City , In partial fulfillment of the requirement for the degree of master Arts .

سابعا :الوثائق الإلكترونية

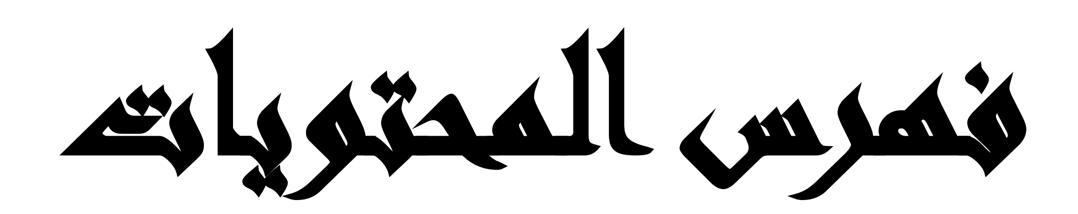
199 – الجيلالي شقرون ، أوضاع المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري ، www efustat.blogspot.com .

200 – فاروق حمادة ، النهضة الفقهية في ضلال الدولة الموحدية ، www.attarikh-alarabi.ma.

201 – فخري الوصيف ، المجاعات في الأندلس ، www efustat.blogspot.com.

202- محمد الشريف ، السلطة و المتصوفة بالمغرب الإسلامي . www.minculture.gov.ma.

203 – ـ ، ما قبل هيكلة الزوايا بالمغرب: الطوائف الصوفية خلال مرحلة الانحلال الموحدي، www.minculture.gov.ma.


فهرس المحتويات

الفصل الثاني : عوامل سقوط الدولة الموحدية

الفصل الثالث : تداعيات انهيار الدولة الموحدية

ملخص:

يعالج هذا الموضوع بالدراسة و البحث و التحليل أسباب و تداعيات سقوط الدولة الموحدية من خلال معرفة الوضع العام لهذه الدولة في طور ازدهارها مع تتبع و تقصي أهم العوامل التي أدت إلى سقوطها و الانعكاسات التي انجرت عن ذلك ، في مختلف جوانب تكوينها الحضاري السياسية والثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية .

الكلمات المفتاحية :

الدولة الموحدية ، سقوط ، الأسباب ، التداعيات .

Résumé

Cette thèse concerne l'étude, la recherche et l'analyse des causes et conséquences de la décadence de la dynastie Almohades.

Cette étude est établie à partir de la connaissance de la situation de ces derniers dans la phase de leur épanouissement et suite à une recherche minutieuse des causes et conséquences de leur décadence dans tous les aspects politiques, culturels, économiques et sociaux de leur civilisation.

Mots clé : Almohades, la décadence, des causes, les conséquences.

Summary

This humble work tries to find out and analyze the chief factors as well as the remarkable repercussions that resulted from the collapse of Almohad's State. To do so, it is advisable to examine the general situation that characterized the State's affairs in its development phase through dealing with a detailed follow up of both events and factors that led to the decline of this State as well as the main consequences, which undoubtedly influenced the State's political, social and cultural formation.

Key words: Almohads , the collapse, factors, consequences